في مشلح أبي وجدّي

طفولتي: الذّاكرة الطّاغية

أمل التميمي

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أمل التميمي

في مشلح أبي وجدّي

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

في مشلح أبي وجدّي

أمل التميمي

ما فكرت يوما أن في استطاعتي الكتابة عن حياتي خوفا من الكذب، ذلك لعدم استطاعتي قول الحقائق في بعض جوانبها. كتاب حياتي الحقيقي حقائق لا تغادره صغيرة ولا كبيرة أحصتها الملائكة الكرام الكاتبون، رغم أنني نسيت بعض الأحداث وتناسيت بعضها، ولا زال في ذاكرتي الكثير من تفاصيل الألم، بينما الذاكرة الطاغية (الطفولة) هي الذاكرة المستعادة دائما، وهي الشريط الجميل الذي أراه بعدة ألوان؛ لذلك سأُركز على ذاكرتي المستعادة دائما وهي الملهمة لحياتي.

ما الميزة التي تعلمتها وأنا حفيدة الشيخين؟ تعلمت أن الحرية هي في احترام مشاعر الآخرين، وأن ذوي الاحتياجات الخاصة هم محل احترام وتقدير، وأن تعدد الزوجات هو أحيانا رحمة وامتداد لنسل طيب، فالبيوت جدران تشبه عقول من يسكنها، فجدّي الشيخ عبد الواحد تزوج جدتي مرشودة العمياء المصابة بالجدري لأنه إنسان، وجدّي الشيخ صالح تزوج جدتي هنية الصماء والبكماء لأنه إنسان.

وما علِمته من جدتي مرشودة العمياء، وهي الزوجة التي زوَّجتها جدتي فاطمة العامرية إلى زوجها لتشاركها فيه، أنها كانت تحكي لي عن طيبتها وحنانها وكرمها، فإن تحدَّثت ضرَّة بشأن ضرَّتها بهذه الصفات فهذا يعني أن هذه الإنسانة ليست عادية في طيبتها، فكانت جدتي مرشودة عمياء وزوَّجتها زوجها رحمة بها، وأبي الطفل اليتيم مات وبه حسرةٌ عليها. وكانت مرشودة تخفف عنه بالحكايات عن فاطمة العامرية. رحمك الله يا جدتي فاطمة العامرية وجعل مثواك الجنة يا كريمة في كل شيء حتى في زوجك، ونادرة بين النساء من تجود بزوجها كرما.

ISBN: 978-614-01-3406-5

نيل وفرات.كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

توزيع
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

في مشلح أبي وجدّي

طفولتي: الذّاكرة الطّاغية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رقم وثيقة فسح توزيع
59201320220126
تاريخ: 26 - 01 - 2022 م

الطبعة الأولى
1443 هـ - 2022 م

ردمك 978-614-01-3406-5

جميع الحقوق محفوظة للناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح
مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التوزيع في المملكة العربية السعودية
دار إقـــراء للـنـشـــر

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

أمل التميمي

في مشلح أبي وجدي

طفولتي: الذّاكرة الطّاغية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

ذكريات

كنت منذ الطفولة أترقبُ مجدًا ينتظرني

لمن نكتب؟
لمن عاد منكسرا
فرق بين أن تعيش الحياة
وأن تراقب من يعيشونها

وزارة الإعلام
Ministry of Media

وثيقة فسح توزيع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
تم منح هذه الوثيقة ل امل محمد عبدالواحد التميمينفيدكم بأنه تمت معاينة المطبوع الموضح بياناته أدناه، ولا نرى مانعاً من فسحه وتوزيعه داخل المملكة العربية السعودية، .

وبالله التوفيق.

اسم المطبوعة	في مشلح أبي وجدي (طفولتي: الذاكرة الطاغية)
نوع المطبوعة	كتاب
المؤلف - المعد	- امل محمد عبدالواحد التميمي
منشأ المطبوعة	الامارات
الموزع داخل المملكة العربية السعودية	شركة الدار العربية للطباعة والنشر المحدوده، النشر والتوزيع: شركة الدار العربية للطباعة والنشر المحدوده
رقم الطبعة	1
رقم الفسح	59201320220126
تاريخ فسح التوزيع	26-01-2022
رقم ردمك الخارجي	978-614-01-3406-5
الناشر الخارجي	الدار العربية للعلوم ناشرون

(نسخة إلكترونية)

نمط التواريخ في الوثيقة : يوم-شهر-سنة

طبع بتاريخ 31-01-2022

نظام فسح الكتب - وزارة الإعلام © 2022

الإهداء

إلى جدتي مرشودة (شهرزاد العائلة) التي تعلمت منها إنسانية جدي التميمي وجدتي العامرية، وإلى ابن الضريرة الذي أرى فيه صورة أبي وكل أعمامي، وكما وعدته سأكتبُ ملحمةً عن ابن الضريرة, فمرشودة تعد رمزا وطنيا عاني المرض والضياع والفراق، فهي تستحق أن تكون قصتها حكاية مكتوبة في مناهج التعليم وفي الأغاني الوطنية، وإلى عمتي التي سمتني أمل، وإلى سمي جدي أخي عبد الواحد، وإلى شبيهي جدي ابن عمي فارس وابن عمتي أحمد، وإلى من يحمل هيبة جدي ابن عمتي محمد علي، وإلى رفاق الطفولة جميعهم وأخص أخوي محمد نزهة وشوقي مقنص. وإلى كل من شاهد افتح ياسمسم من جيلنا، أما زوجي الحبيب فماضي وحاضري ومستقبلي له، وأما أبواي فبعضي وكلي لهما ومنهما.

شكر وامتنان

وبكل الشّكر والثّناء أُقدم كتابي هدية إلى **مكتب عمرانية وشركاه ممثلةً في مديرها العام المهندس باسم الشهابي** أصحاب العمل الفني المميز (**المشلح**) الذي يمثل فخامة الطفلة الملكية التي في داخلي وإلى سعادة الدكتور غازي العباسي الذي أوصلني إلى الحلم بأيقونة معمارية مجسمة تحكي تاريخا عريقا عن رمزية المشلح في ثقافتنا، بعد أن كنت قد أعيتني كل السبل في الوصول إلى تصميم غلاف يتطابق مع العنوان الذي كنت قد اخترته لكتابي هذا (**في مشلح أبي وجدي**).

المحتويات

في الطائرة كانت ولادة سيرة الطفولة 13
حياتي (جذوة بين قبضة النّور ونار الاحتراق) 17
مسألة التّذكّر 20

الفصل الأول: ذاكرة المكان 25
المناخة 27
باب الكومة 52
روضة الفردوس 59
دمشق 62
المدرسة التاسعة 68
العنبرية 76
العنبرية مرة أخرى 88
المليليح 94

الفصل الثاني: ذاكرة (الشخصيات) 99
جدي عبد الواحد رحمه الله 101
مرشودة وابن الضريرة 125
أمي غيثة 133
فاطمة دغيليب عيد العامرية 137
أمي: التضحية والحنان 142

الفصل الثالث: من أنا؟ 147
كل هؤلاء أنا وأشباههم 149
أنا حفيدة شيخين 150
أنا كليوباترا 153
أنا مصطفى صادق الرافعي 156

أنا نزار قباني 158
أنا التميمي اللي عاش مترف 162
أنا غازي القصيبي 165
أنا مي زيادة 173
أنا كلود مونيه 182
أنا نجلاء مطري 184
أنا محمد بن سلمان 186

الفصل الرابع: صور من شريط الذكريات 193

مفرحات الطفولة ومحرجاتها 195
مراهقة عنيدة 202
قبلة ثمنها الصفع 207
وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا 211
خصام وهجر 216
غربةٌ مُرّة ويتمٌ أمر 219
مشالح التّخرج 227
أمل واسطتها كبيرة 234
التّنمر 237
الاستديو الإعلامي 239
رقصة المشلح 243
الفستان الرقمي 248
محنة كورونا ومنحة الخالق الوصية 252
وجروح طوتها الأيام وعادت بالعمى المؤقت 257
المواجهة والإرادة 259
بين كركرة الذكريات وبكاء الأنين 268

الفصل الخامس: (......) 275

السيرة المتخيّلة 277
ولا نعرف شكل النهاية ولا نتوقعها 301
ونهاية لا نتوقعها 302

في الطائرة كانت ولادة سيرة الطفولة

كما تعودت في أسفاري الأسبوعية لزيارة أمي، أحمل عادة كتابا أمضي به وقتي، وفي سفرتي الأخيرة صورت غلاف كتاب الدكتور معجب الزهراني، (**سيرة الوقت**)، ليكون رفيق السفر ونشرته على حسابي بالسناب شات، معلقة على الصورة بـ (أعمارنا تنقضي فيارب تُمضي في طاعتك)، فأرسل الدكتور معجب معلقا: (تلميذتي الأذكى تتحول إلى واعظة، اكتبي لتعودي المبدعة التي أحببت ذات يوم... من حقي أن أحلم). فقد تفضل علي أستاذي الدكتور معجب الزهراني برسالته هذه ليقدح زناد فكري لأمسك بالقلم وأبدأ في الكتابة في السفرة ذاتها، كما يفعل كل مرة. فله الفضل الأول في اختيار مشروع حياتي العلمية في حقل السيرة الذاتية، وهو كذلك المحرك والمستدرج لكتابة سيرتي الذاتية التي لم تكن واردةً على بالي البتة، فأرسلتُ له: (حياتُك ألهمتني وأشعلتْ جذوةً في قلمي ورغبةً تنقدحُ في داخلي). وعلى الفور أخرجت دفتري وقلمي الرصاص، وفي الطائرة بدأت أخط أول صفحة في سيرتي الذاتية التي لم أكن أحلم بكتابتها كما ذكرت، بل كنت أرفض ذلك تماما، ولكن ما كنا بالأمس نخشاه، أصبحنا اليوم نفعله بإرادتنا، وهذا يعني أن قناعاتنا متحولة مع الأيام.

والآن، وبعد ما أدرت شريطا من شرائط الطفولة الطاغية على ذاكرتي، ماذا كنت أتخيل دوما؟ كنت أتخيل أبي وهو يلبس مشلحه، مرتديا زي البهجة والفرح، وهو يأخذ بيدي على منصات الثقافة ومنابر العلم، مشلح أبي له ذكرى رائعة في حياتي، كنت أرقص به معه، وكنت ألتف به ليدفئني في البرد،

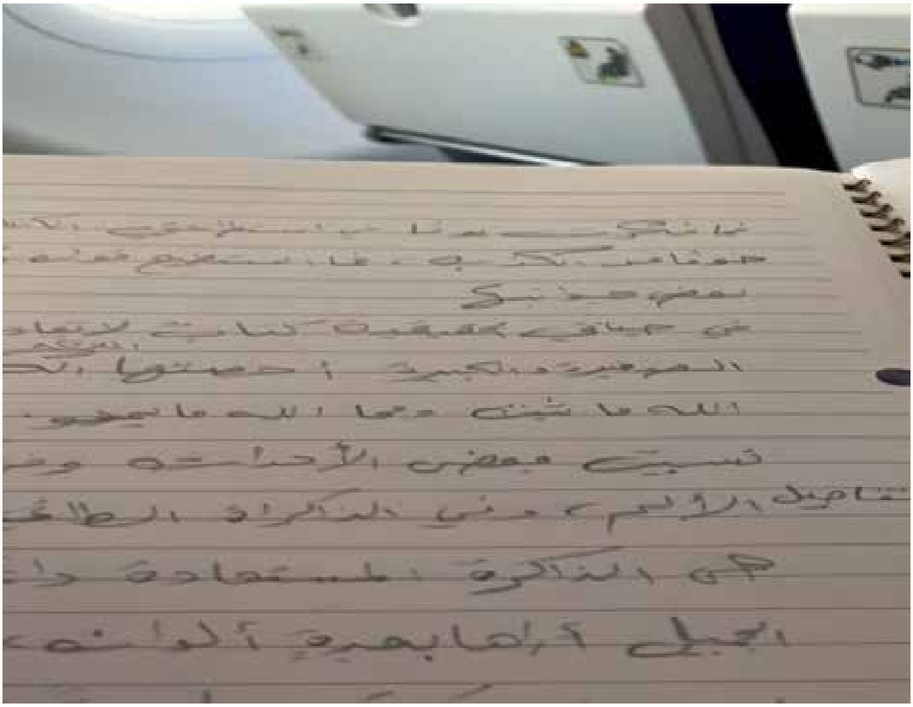

وأشم رائحته العابقة بالعود والورد، وهو أيضا مؤشر للفرح والغضب، فإذا لبس أبي المشلح، وضم يديه، شعرنا بفخامته، وإذا لوح بيده شعرنا ببهجته، وإذا أرجع يده للخلف، فهذا يعني أن أبي غاضب ونادرا ما يغضب، وإذا غضب هذا يعني أن تراكمات كثيرة أوصلته ليظهر غضبه. ولأنني حفيدة شيخ كان يلبس المشالح وتنعمت بدفء مشلح جدي وحنانه، وكان له محلات لبيع المشالح في سوق الشروق بالمدينة المنورة، فقد كان له دُكانان في سوق القفاصة لخياطة المشالح وكان له عامل اسمه عبد الكريم اليماني، وقد طلب العم إبراهيم الوقيصي أحد الدكانين فأعطاه إياه، وممن عملوا معه في الدكان سليمان الجربوع والبلّاح وعبد الله البسام وبن حسين والقرزعي وحمد أبو حمامة (وأبناء أبو حمامة لهم رضاعة مع أعمامي وعمتي ولأنني حفيدة شيخ يحتفي بالمشالح، اخترت عنوان سيرتي (**في مشلح أبي وجدي**)، فكان لنا لقب مهنة شهيرة (بالخيّاط) نسبة إلى عمل جدي عبد الواحد بالمشالح.

ولهذا اللقب قصة جميلة، فقد كان جدي رحمه الله موظفا في الدولة، رئيسا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يستلم راتبا نظير عمله، ولكنه كان له وجهة نظر غالبا ما يحكيها لنا، بقوله إن هناك حديثا صحيحا رواه البخاري في الصحيح يقول النبي ﷺ: ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده، لذلك كان يختار جدي عبد الواحد مهنة يأكل منها بيده أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا يحث على كسب الحلال والحرص على طلب الرزق الحلال من أي مهنة مثل الحدادة أو الخرازة أو النجارة أو غير ذلك من أعمال اليد بوصفه أطيب الحلال.

أتمنى أن أرسم مشاهد من حياتي تحقق للقارىء الكريم التسلية والفائدة، وأنا مديونة لمن حركني لكتابتها لأنها لم تكن بالسهولة التي يمكن أن نتخيلها، لأنني حاولت فيها أن أسرد كيف أرى طفولتي في شكل مشاهد وصور يصعب جمع شتاتها في قصة محكمة لها بداية ونهاية، وإنما هي هكذا صور أستحضرها في مواقف محددة، وأحيانا أتأمل مشهدا عن قرب فجعلتكم، تتأملون المشاهد معي، وراقبت بعض المشاهد فوجدتها تشبهني تماما، وبعضها حاولت أن أصف فيها غبش المشهد، وأحيانا كان من الصعوبة بمكان كتابة ما أشاهده أو أسمعه، أو أشعر به، فقد تكون الحكايات الشفهية فيها أسهل في توصيل ما يصعب كتابته. أعترف أن فعل الكتابة وسردها صعب جدا حينما يعلق الأمر بذكريات نشاهدها وكأنها مشهد سينمائي. ولعل من المفارقة أحيانا أن تكون صعوبة الكتابة أمرا يعمل لصالحنا، فقد كتبت بدون وعي الناضجة، وبدون وعي المتخصصة بالسيرة، كتبت بغفلة الطفلة التي كانت تعيش حياتها، وفي الوقت الحاضر دائما تصحب تلك الطفلة معها إلى كل مكان، فهي أجمل شيء في حياة أمل الواعية الناضجة.

مشاهد الطفولة غيرت كثيرا في قناعاتي وأنا ناضجة، فتغيرت نظرتي إلى

الزواج المتعدد، وكذلك الزواج من ذوي الاحتياجات الخاصة، فحكايات الجدات علمتني حكمة الله العظيمة في توزيع الأرزاق، فقد يَرزقُ الله الناس الجمال أو المال أو الذرية، فقسمة الأرزاق بيده، واكتشفتُ أن الزواج المبكر نعمة، فالحب في الغفلة لذة والحب في الوعي مسؤولية، واكتشفت أن وصية الجد لأبنائه وأحفاده تجمعُ صف العائلة حول بنود الوصية، وأن الموت ليس نهاية كل شخص وخصوصا الأب، لأنه إذا مات لم ينقطع عمله بأبنائه، وإذا اختار الله أحد أصفيائه كما اختار الله لي فقد أبي، فإنه يعوضه بهذا الاصطفاء عملا نافعا لآخرته بنا، وعرفت مشاعر الرجل اليتيم، ومدى ضعفه عندما يفقد أمه؛ إذ يكون أكثر حنانا، فجدي يتيم وأبي يتيم، وقد كانا أكثر الناس حنانا بالبنات، وأكثرهم صلة بأرحامهم فما بر جدي وأبي بأهل أمهما إلا شاهد على ذلك، فجدي قد أوصى بصلة أهله حتى بعد موته فبعد كل تلك السنوات من الرحيل يظلّ الابن البار حياة أخرى لأبيه وأمه.

واكتشفت أن كل امرأة عظيمة تربت في كنف مشلح رجل، أو ضمها حضن رجل، أو مسد على شعرها رجل، أو غنى لها رجل، فعرفت قوة الإرادة في المرأة حينما يعصفها الحب، فالحب قوة في المرأة، وعرفت معنى الحب في وفاء أمي لأبي. وكما أن الحب قوة فإن اليتم قوة أيضا، فكلما عصر قلب اليتيم الألم حوّل ألمه إلى انتصارات.

وعرفت أن من يربي أبناءه صغارا على وصايا لقمان، ويغرس فيهم الحب فهو يغرس لنفسه مشاريع كبيرة لبره أولاده حيا أو ميتا، وعرفت أن من يربي أولاده على الحب والتسامح فهو يصلح المجتمع والدنيا بأكملها. جزى الله أمي وأبي وكل من رباني صغيرة.

أمل بنت الخيّاط التّميمي

حياتي
(جذوة بين قبضة النّور ونار الاحتراق)

ما فكرت يوما أن في استطاعتي الكتابة عن حياتي خوفًا من الكذب أو الاختلاق، فما أستطيع قول الحقائق في بعض جوانبها. كتاب حياتي الحقيقي حقائق لا تغادره صغيرة ولا كبيرة أحصتها الملائكة الكرام الكاتبون، نسيتُ بعض الأحداث وتناسيت بعضها، وفي ذاكرتي الكثير من تفاصيل الألم، فذاكرة الطفولة، (**الطاغية**) هي الذّاكرة المستعادة دائما، وهي الشّريط الجميل الذي أراه بعدة ألوان؛ لذلك سأُركز على ذاكرتي المستعادة دائما والملهمة لحياتي.

بيت جدي عبد الواحد (رحمه الله) تبدو الصور فيه كبيرة زاهية ناصعة جميلة، الصور بها ألوان تشبه الشّمس السّاطعة، وهي مثل الطبيعة بها ألوان كثيرة وفي جوانبها شعاع اللون الأصفر ويتداخل معه اللون البرتقالي الزّاهي، لعلّني أصف تلك الصور ما استطعت، وتحتفظ ذاكرتي دوما بحياتي في دمشق وهي أشبه بشريط سينمائي طويل رفيع باللون الرمادي أو أشبه بفيلم جميل بالأبيض والأسود، سأحاول أن أصف هذا الفيلم المشع بالأبيض. شريط طفولتي يمتد بصورٍ جميلة بين المدينة المنورة ودمشق.

تتوقف ذاكرتي الجميلة عند سن (16 عاما) حتى إذا بلغتُ سن العشرين لا أكاد أرى صورا واضحة أو شريطا مرتبا؛ لذلك سأُركز على وصف صورٍ تبدو واضحة في خيالي، وأصوغ منها بقدر ما أستطيع قصصًا مرتبة، ثم أنتقي ما أستطيع البوح به عن (**سنوات الألم**).

في (**سنوات الألم**) مرارة لا أستطيع وصف صورها، صورٍ محروقةٍ،

صورٍ مشوهةٍ، صور يكتنفها سراب، صور يلفها ضباب، أخشى إن أنتقيتُ بعضا منها وحاولت وصفها أن لا يمكن تصديقها، أو أن يشكُّ القارئ في أن هذه الصور تحملها ذاكرة إنسانة تتمتع بكل هذه الطاقة والحيوية والجمال والتفاؤل. للإنسان ذاكرة تكتمُ الأسرار وسأحتفظ بها، وقد أكشف عن جزء يسير منها لأصوغ قصة حياة بها عبر ودروس، ولن أتسبب في جرح أحد في تلك القصص؛ لأنني ببساطة تجاوزتُ تلك الجراح والآلام، وسامحتُ من تسبب فيها.

ما الهدف من الكتابة إذن؟ لعلّ كثيرات مثلي عشن معاناة الغربة، وحرمان الأمومة، واليتم، وصراع إثبات الذّات، يستفدن منها، أولعلّ رجالا يقرؤونها فيكتشفون أن الرجل في حياة الإبنة لبنة في دعم الثّقة. كان جدي عبد الواحد هو الرجل الأول القدوة في حياتي، ثم جاء أبي الرجل الوحيد الذي ظل طوال حياتي وأنا أُقارن تصرفاته بأي رجل، فأجد أن تصرف أبي أحسن من تصرف كل الرجال، وكفة ميزانه تعلو راجحة على كل كفة ميزان رجل، فأتساءل، هل يعجبني لأنه أبي!؟ أو تعجبني تصرفاته لأنني حرمت منه ورحل؟! فلا أجد سوى الإعجاب، ليست على قاعدة كل فتاة بأبيها معجبة فحسب، ولكن لديه من الحكمة ماعجزتُ عن بلوغها، ومن الدهاء ما استطعت تقليدها، يقول أعمامي أن (محمد عبد الواحد) لو عاش عمرا أطول لكان من دهاة العرب الذين نسمع عنهم في الكتب، ولكنه رحل منها سريعا، ورحل عني مبكرا، سأنتقي صورا قليلة من ألبوم ذكريات طفولتي لأصوغَ منها قصة حياة مكتوبة في صفحات معدودة، لعلني أوجز فيها (**ذكريات طفولتي**) التي كانت بمثابة (**جذوة الأمل**).

طفولتي (**جذوة الأمل**) التي أنارت كل دروبي المعتمة، وطمرت أحزاني في الدروب العسرة، حتى إذا بلغت (الأربعين عاما) أدركت أن طفولتي هي (المصباح) الذي كان يُنير عتمات الطرق المظلمة، وهي الرّداء الناعم الحنون

الذي يحتضنني من الدّاخل، هي من جعلتني متوازنة قوية صامدة، لا تكسرني المواقف، ولا تهز خطواتي كل عثرات الحياة، بل تمدني بثقةٍ عجيبة، وتغمرني بحبّ عميق، وبعد (سنوات الألم)، تلتها (سنوات الوعي والنضج)؛ لأكتشف أن الطفلة التي في داخلي، هي فارسةٌ شجاعةٌ صاحبة ابتسامة وتفاؤل تخرج من داخلي في الأوقات الصعبة، طفلة بعزم قبيلة بأسها من حديد، لها قوة نفسية تمدني بالدعم لأستمر بعزم قوي وثبات شديد. سأحكي لكم عن هذه الطفلة الملهمة ومن علمها كيف تدعم البالغين. سأحكي لكم عن الطفولة، أمّا مرحلة المعاناة، ومرحلة الوعي والانعتاق، فسوف أخصص لكل مرحلة منهما كتابة خاصة بها.

مسألة التّذكّر

في البداية، كيف سأصوغ قصةً لحياتي؟

إنه تحدٍّ ليس بالسهل، إنها قصة حياة تضم انتقاء **الذاكرة المعطوبة** أحيانا بالتّذكر، وأحيانا **التناسي** بالتّفكر والتّنكر، وأحيانا وصف مشاهد عالقة **بالذاكرة الطاغية** من الطفولة، وسأحكي أحيانا قصصا وأخبارا تكررت على مسامعي كثيرا من الأهل والأقارب، كما سأحكي أحيانا قصص وثائق ورثتها عن جدي وأبي - رحمهما الله - وعمي إبراهيم - حفظه الله -.

لقد أعطاني عمي إبراهيم وعمي عبد الهادي، وثائق جدي عبد الواحد - رحمه الله - بعدما توفى أبي عام (20-3-1418هـ)، ودمعة عيني لم تجف على والدي، فتشا في حقيبة جدي وأخذا منها أوراقا تتعلق بالميراث، ثم أعطياني تاريخ جدي بأكمله في وثائقه المكتوبة، وسأحكي لكم عن ماذا يحتوي (**ميراث جدي الوثائقي**) رحمه الله . ففي عزاء عمي عبد الهادي - رحمه الله - (الأحد 2 رمضان 1438هـ) ودمعتي لم تجف على عمي أعطاني عمي إبراهيم - حفظه الله - وثائق مكتوبة بها (**سيرة عائلة التّميمي**) بأكملها. وملكني عمي حكاية عائلة بأكملها، ووضع في قبضة يدي أمانة، ثقة من عمي بي على أنني جديرة بحمل الأمانة، وتأملت حياة (**ابن الضريرة**) حياة عمي إبراهيم، وهي حياة جديرة بالتأمل وكتبت حينها سيناريو لمسرحية **ابن الضريرة** التي سأحكيها هنا، لماذا ابن الضريرة؟ لأنها تكشف الكثير من أسرار مرحلة وطنية عالقة في ذاكرة التاريخ السعودي عن (**مرض الجدري**)، وما بها من أسرار التاريخ الشخصي عن عمي (الابن البار الوفي بالوصية) وجدي

(الإنسان)، والمواقف الإنسانية التي أراهن أن يكون قد احتفظ بهذه المرحلة كتابا سرديا ذاتيا أو أدبيا مثل قصة عمي ووالدته الضريرة.

أما بشأن (**ذاكرتي**) عن الطفولة، فلم تكن أمي تثق بذاكرتي وبأنني أحكي لها ما أشاهده في ذاكرتي عن تلك الطفولة من صور، وتظن أنني أحكي لها ما أسمعه من القصص، وللأسف كنت أحاول دوما أن أحمي ذاكرتي أمام أمي، وأبرهن لها أنني أتذكرفعلا، ولكن بعد كل ذاك التّعب الذي كنت أقنع فيه أمي بأنني أتذكر القصص التي أحكيها لها ولا أصوغها من قصصهم التي أسمعها، عرفتُ حاليا أن لأمي الحق في أن تشك في صدق ما أحكيه لها لأنني أصوغه من ذاكرتي، لأنني كنت صغيرة جدا ولا يعتقد أحد أن طفلة بعمري يمكن أن تستعيد ذاكرة تلك الأحداث. وبعد براهين كثيرة ومصادقة ممن كان حولي على ما أحكيه، صدقت أمي بأنني أحكي لها من ذاكرتي وليس من خلال ما سمعته، وهذه نقطة قوة في ذاكرة طفولتي. وعلى العكس من ذلك، فقد كانت ذاكرتي في العشرينات معطوبة إلى حدّ ما ولا أثق فيها كثيرا، وليت لنا سلطة على ذاكرتنا تشبه تلك السلطة التي نمتلكها عندما نكتب بقلم رصاص؛ إذ يمكننا أن نمسك بالممحاة ونمسح مانريد محوه. ولكن ذاكرتي في هذه الفترة للأسف ذاكرة مثقلة بالألم، وأتمنى أن يكون لي ممحاة أمحو من ذاكرتي القوية حول ما يجب أن يُنسى، أمحو من ذاكرتي ما يؤلمني ويتسبب في جرحي. وحتى أخفف من حدة تلك الذكريات المؤلمة، لعلني أستطيع أن أصوغ وأن أسطر بعض الانتصارات الذاتية التي حصلت بعد تلك المعارك والحروب في كتاب آخر.

بالصدق والأمانة، أحب فترة طفولتي كثيرا وأثق في ذاكرتي بأن تمكنني من صياغة قصة واقعية عشتها وشاهدتها مثلما أشاهد الصور بعيني الآن. وأوّل مرة أذهلتُ فيها أمي بأنني أتذكر جيدا، تذكري لبيتنا (**أبو درجة حمراء**)، في (**باب الكومة**)، وكيف أنني أتذكر أنه كان عندنا تلفزيون وبه مشهد جنازة

وصورة ميت مغطى بمشلح، وبيتنا فيه هيبة موت وأمي وهي تبكي من الحرقة ، بعدها علمت أنها جنازة الملك فيصل - رحمه الله -. بيد أن أمي لم تصدق ذلك أبدا، وقالت لي: إنكِ كنت صغيرة جدا ومستحيلٌ أن تتذكري كل هذا. أنا لا أعلم كيف كان شكلي آنذاك مما يجعل أمي لا تتخيل أنني قادرة على التّذكر.

وذكرتها بمواقف أخرى، بعدما كنت قد كبرت في هذا البيت شيئا فشيئا، فقلت لها: (ماما) هل تذكرين (حفصية) المرأة المجنونة التي كانت تسير في الشارع وترمي الناس بالحجارة؟ قالت: نعم. ثم قلت لها: (ماما) هل تذكرين ذات مرة أن (بابا) جاء من السفر وجلب معه خيرات الشام، من بقلاوة، وفستق وبندق، ثم أخذت كل الهدايا التي جلبها وفرقتها على أولاد الحارة من (الطاقة)، ثم أعجبني صوت الأطفال وهم يصرخوا (أنا، أنا، أنا....)، وفتحت لهم الباب بالحبل، ودخلوا سيب البيت (الدهليز) وملؤوا الدرج وأنا أفرق عليهم الحلويات والمكسرات، واستيقظتِ أنت وبابا على صوت الأطفال، وكنت قد انتهيت من توزيع الهدايا؟!. ضحكت أمي وتذكرت الموقف، وأصبحت تعيد القصة من وجهة نظرها، أمي لم تكن تقول لي أن ما تقولينه كذب، ولكنها كانت تُدهش لتذكري المواقف وقدرتي على سرد هذه القصص.

ثم أذكرها بموقف كنت وقتها في **روضة الفردوس**، أخذت معي في حقيبتي ملابس (ماما) الداخلية وما يمكن أن تلبسه المرأة في غرفة النوم فقط، ملابس قصيرة جدا، لم أكن أعرف وقتها أن هذه الملابس من العيب أن يراها أحد، وظننت أنها قصيرة على (ماما) فهي تخصني؛ لأنها على مقاسي وبطولي، وكنت أظن حينها أن (ماما) تأخذ ملابسي وتلبسها، فأخذتها معي إلى الروضة ومعها المكياج ومفتاح البيت، فضحكت أمي وأكملت القصة بأنه كان شعورا لا يوصف من خلق الابتسامة في حياتها، رغم أنه كان محرجا أيضا حينما

جاءت لها المعلمة بي وبملابس النوم والمكياج والمفتاح. قصص مضحكة أتذكرها وتتذكرها أمي وكل العائلة، لأن معظم قصص حياتي في الطفولة تُحكى في مجالس العائلة بوصفها أحداثا مرحة ومقالب تجلب الابتسامة، ومن يسمع ذلك يظن أن ليس عند هذه العائلة سوى أمل وقصصها، يجتمعون ليكرروا القصص ذاتها وكأنها يوميات مسجلة لأمل، والعجيب أنهم يحكونها بلذة ونكتة وباهتمام شديد.

أرسلت لي أختي خديجة (وهي ابنة خالي وأختي بالرضاعة) هذه الصورة أيام حجر كورونا بالسناب شات، بوصفها جانبا من التسلية التي قامت بها الأسر في التفتيش في صورهم القديمة، وقد وجدت أختي هذه الصورة وهي صورتي أنا وبابا ونُسخها عند كل العائلة، وقد ألهمت هذه الصورة (بابا) أن يلونها في مصر، ويكبرها ويضعها في صدر البيت، وكأن أبي لم يكن له ابنة

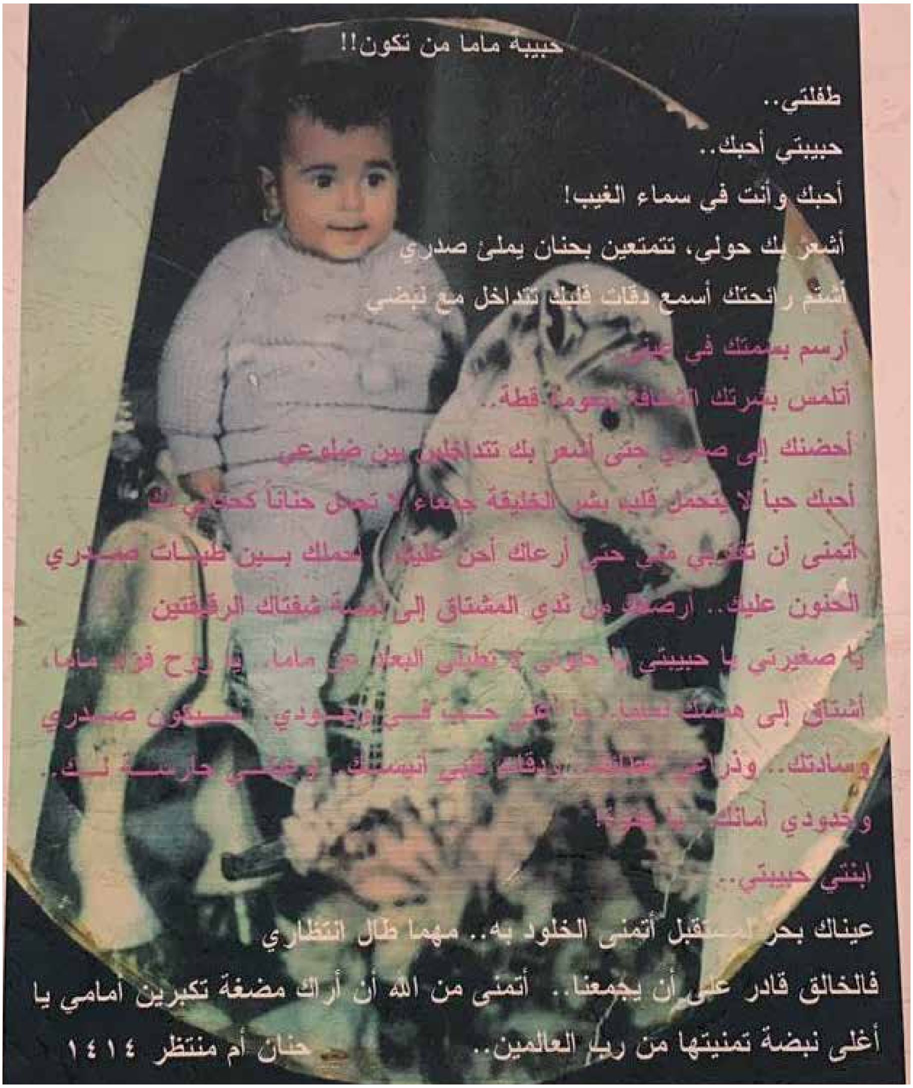

غير أمل، كأنه كان يعرف بأن القدر سيأخذه مبكرا فصب كل الدلال في كأس ابنته البكر أمل. الحمد لله أن أبي دللني، ووضع كل مشروعه الأبوي فيّ؛ لأنه رحل قبل أن يكمل مشروعه، وعشنا بعده أيتاما، ولم يستطع أي حب أن يعوضنا حب وتدليل الأب الذي رحل.

الفصل الأول

ذاكرة المكان

- المناخة
- باب الكومة
- روضة الفردوس
- دمشق
- المدرسة التاسعة
- العنبرية
- العنبرية مرة أخرى
- المليليح

المناخة

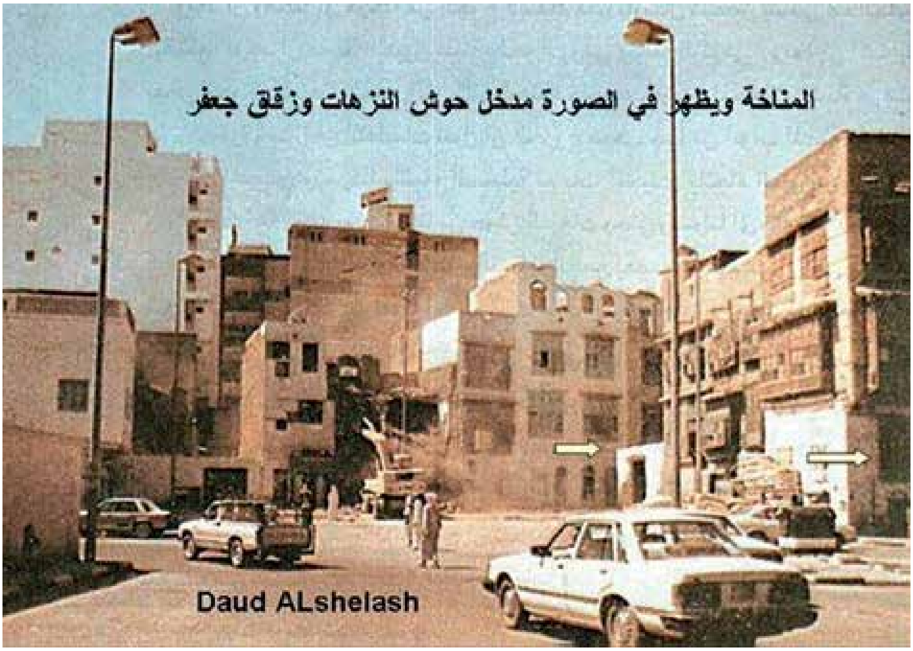

كنت أشبه بمن يتأمل من شرفة على الحياة وعاد منتصرا.......

عثرت بالصدفة وأنا أتصفح تويتر عام (1443هـ) على أجمل شيء يمكن أن يحصل عليه إنسان مهتم بماضيه، وسنوات طفولته الأولى، عثرتُ على صورة حقيقية لمشهد عالق في خيالي، عثرت على صورة للبيت الذي ولدتُ فيه، وكان مسقط رأسي فيه، وصرختي الأولى.

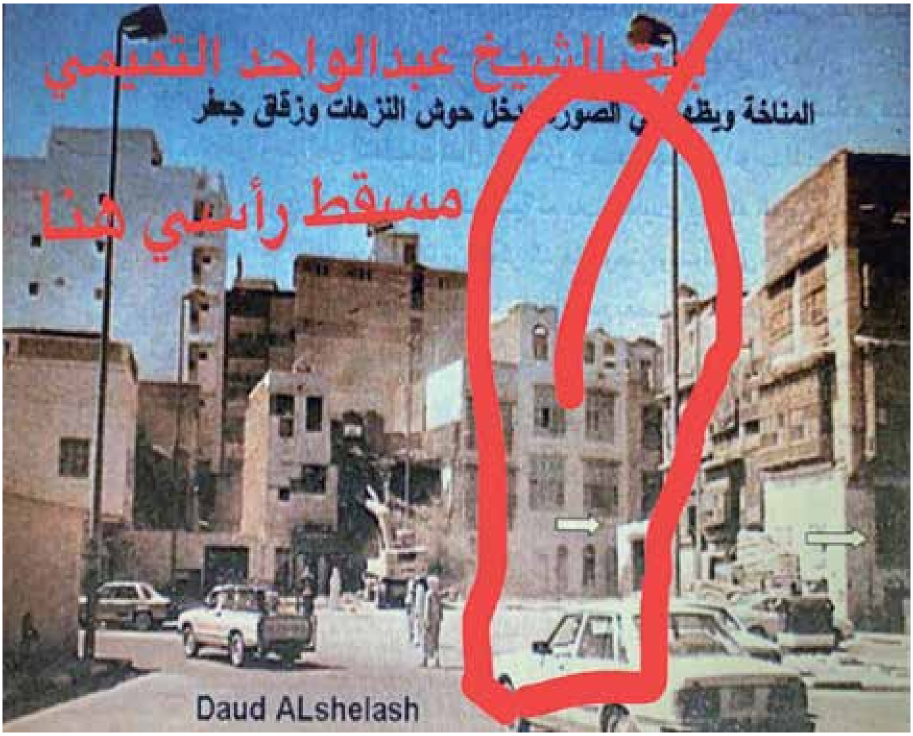

صباح هذا (القصر) الذي وُلدت به، يبدأ بالقرآن وصوت الهوند ورائحة القهوة وأصوات هامسة أو مساررة بين جدي (الشيخ عبد الواحد) وزوجته (ملكة)، هذا **المشهد الصباحي** في بيت جدي ظل يلازمني طوال صباحاتي.

موقع البيت (المناخة)

ظل مشهد هذا البيت يلازمني في أحلامي وفي أحلام صحوتي، وسأبدأ بالشكل المعماري لبيت (جدي عبد الواحد) وسأصف بيت جدي بما أذكره، ويمكن أن أستخدم التسميات التي تعرفها أمي أو عماتي، وقد يكون بيت جدي مختلفا عن البيوت حينها في التسميات - لا أعلم -، ولكن ما أعلمه أن بيت جدي بيت رجل نجدي يعيش في الحجاز، بمعنى أنه قد تكون البيوت الحجازية على نمط مختلف، لأنني كنت أُلاحظ بعدما كبرت أن البيوت

تختلف، إذا كانت الأسر حجازية لها تسميات (حضرية) بالنسبة لنا، وإذا كانت نجدية تعيش في الحجاز (لها تسميات مختلفة)، وكذلك هناك بيوت مختلفة لمن كان من قبائل الحجاز البدوية مثل (بيت جدتي مرشودة العوفي) و(بيت خالي عيد دغيليب العامري الجهني)، فأهلها من بدو الحجاز، ولهجتهم مختلفة ونظام مساكنهم مختلف (بيت بدوي)، وسأصف الاختلافات في حينها حينما أصف ذكرياتي في (البِرْكة) التي تسمى حاليا الأزهري وبها بئر عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ حيث كان يقع بيت جدتي مرشودة رحمها الله.

عشت في بيتنا في المناخة سنوات الطفولة الأولى ثم عشنا فيه وحدنا بعد موت جدي – رحمه الله – لمدة سنتين، وهذا يعني أن حياتي الواقعية في هذا البيت تقارب ثماني سنوات، وهي السنوات التي شكلت شخصيتي، وساهمت في تخطيط مستقبلي. ومما قيل لي حول هذا البيت إنه قد وُلد فيه عمي عبد الرحمن – رحمه الله –، ومحمد علي ابن عمتي عيشة – رحمها الله – وهو أول أحفاد جدي عبد الواحد من بناته وتوتا، وأنا أول حفيدة لجدي عبد الواحد من أبنائه، وعمي وابن عمتي من الشخصيات المحورية في حياتي.

لموقع بيت جدي ميزة أحبها كثيرا وهي أنه في قلب المدينة المنورة، قريب من الحرم النبوي الشريف، نسمع تكبيرات الحرم والصلوات، ومن (روشانه) ترى الحياة بكل اشكالها وألوانها وتعدداتها الثقافية والاجتماعية. و(**الروشان**) هي نافذة تطل منها على الشارع، ولهذا البيت (نوافذ مطلة) على الشارع، و(نوافذ داخلية) تطل على ضيوف البيت وعلى مرافقه الأخرى. إن نوافذ هذا البيت هي المدرسة الأولى التي تعلمت منها كل شيء.

سأصف البيت كما سأذكر تفاصيله، فأوّل البيت الباب الكبير وهو مصنوع من الخشب ومكون من درفتين (عليه كف) لطرق الباب، وأعتقد أنها لا توجد على كل الأبواب، فهذه ميزة في بيت جدي، وفوق الباب قوس من حديد تدخل منه الشمس والنور والهواء، في بداية الأمر، وأذكرأن القوس

كان مفتوحا بحيث تتمكن القطط من الدخول منه؛ لأنه قد كان في بيت جدي مسموح للقطط الغريبة الدخول للأكل ثم الخروج، حتى وقعت مشاجرة بين قطط ذكور (عراري)، ثم بعد ذلك لا أعرف كيف سد ذلك القوس، إما بزجاج أو شبك لمنع دخول القطط، ومع ذلك فقد كان يسمح فقط للقطط الأليفة وقطط البيت بالدخول. أما بسة جدي العسلية اللون المائلة للحمرة، فقد كان يسمح لها بالخروج لاستقبال جدي، فهي تعرف موعد قدومه من الهيئة فتخرج أمام الباب مترقبة قدومه، وإذا رأته ورأت موكبه المكون غالبا من رفقين أو ثلاثة، حين نزوله من سيارة الهيئة، وغالبا ما يحمل أحد رفقائه (قفة)، و(القفة) هي كيس لحمل اللحم والخضروات والفواكه والبضائع، وعادة ما يرسل بها جدي الصبي في وسط النهار ثم يعود بها، ثم يجلبها معه في نهاية الدوام، وهو قادم وبها معلاق للقطة أو أشياء ليوزعها علينا. وعلى الرغم من أن لوازم القطة كان يحملها مرافق جدي، إلا أنها تركض إلى جدي عبد الواحد مسرعة بسرعة البرق، وتنضم إلى الموكب، وتتمسح بين قدميه، وترفع بنظرها إليه، وكأنها تسأل عنه وتخبره بأخبار البيت. قطة جدي هي من تفوز باللقاء الأول، وتتمسح به وتأخذ جرعات حنانه الأولى.

وبعد قطة جدي، نركض أنا ومحمد نزهة ابن عمتي زينب والأخ الأول في حياتي ومن تربينا معا، ونحن نتعارك حول من يقبل يد جدي عبد الواحد أولا، ومن يضمه أولا، ومن يمسح على شعره أولا. نتعارك وجدي يبتسم وهو يقول: أمل أوّل، محمد أوّل، ويوهمنا أن كلينا أول، ثم يخرج بسكوت (تمرية) مصفوفا وكأنه قطار لنشاركه أكله أنا ومحمد، وهو بسكويت جدي عبد الواحد المفضل، وقد ارتبط شكل هذا البسكويت بغلافه الأحمر المصفوف وكأنه قطار ركب من ببسكوت جدي عبد الواحد رحمه الله. هذا المشهد يتكرر كثيرا عند قدوم جدي من العمل أو الصلوات.

نعود إلى وصف بيت جدي، فعلى يمين الباب يوجد جرس صغير على

المناخة الحي الذي يشبهني والبيت الذي يليق بي

قاعدة سوداء وزره أبيض وشكله دائري، صوته مزعج جدا، وقد كنت أخاف من صوته جدا جدا جدا، إذا رن تحدث حالة فزع شديد لأمل، يجعلني أفقد صوابي وأدور في البيت فزعة ومذعورة، لا أعرف سبب خوفي من الجرس، قد يكون ذلك بسبب أن البيت يعمه الهدوء فيأتي وقع صوته علي شديدا. لا أعرف إن كان يُفزع الآخرين مثلي، ولكن ما أذكره أنهم حاولوا كثيرا معالجة فزعي من الجرس، بفصله أحيانا، وبالاستغناء عنه، إذ لم يكن بمقدرتهم خفضه، وأظن أنهم بعد فترة استبدلوه بآخر منخفض الصوت رأفة بحالي، والفزع الذي يصيبني بمجرد سماع ذاك الجرس المزعج.

ثم إذا فُتح الباب، يواجه الداخل (السيب/ الدهليز) فيندفع عليك هواء بارد في شكل نسمات كأنه اندفاع هواء بارد من مكيف؛ لأن البيت مبني من الداخل بالحجارة وأرضه من (طبطاب)، وللباب درفتان وعادة لا نفتح إلا واحدة منهما، والثانية تفتح للضيوف أو لدخول تباسي الذبائح، وتستند إحدى درفتي الباب على عفريتة من حديد، تسند الباب زيادة في حماية الباب من دفعه، والدرفة الأخرى من الباب بها (خرم) من الوسط وبه حبل يمكن أن يتدلى إلى الخارج، وبقية الحبل تكون طويلة من الداخل ومحفور لها خرم صغير جدا يرتفع بها إلى السقف ليصل الحبل إلى الدور الأول والثاني، ويمكن للشخص في الطابق الأول أو الثاني جره ليفتح الباب، وعادة ما يكون هذا الحبل متدليا للخارج في حالة السماح لمن هم بالخارج بالدخول لفتح الباب مباشرة، أو يربط بحديدة مقبض الباب من الداخل في حالة رغبة من في الداخل التحكم بفتح الباب من الداخل.

وبعدما تدخل في منتصف الدهليز الطويل، تجد على يمين البيت (الدّكة) وعلى يساره (المقعد)، ثم تسير على يسارك لتجد الدرج ولونه أسود حجري مخرم شكله على (الحجر البركاني) الخام، وهو من حجارة الحمم السوداء بالمدينة المنورة. وقد كنت أنا ومحمد نزهة نلعب في هذه الفتحات وندخل بها حبات السبحة ثم نخرجها منها، وخروج الحبات أصعب من دخولها، فكان هذا التّحدي يخلق بيننا تنافسا جميلا وعراكا على من يفوز، فكانت عمتي زينب تخشى على محمد من السقوط من الدرجة فتربطه (بالمسفع) من إحدى قدميه، فتتركه حرا بحدود اللعب الذي لا يسمح بسقوطه من الدرج، فيشرح أبي لنا خطر السقوط من هذه الدرجة ويقول لنا: هذا الحجر يكسّرنا ولا يتكسّر فالحذر لأنه حجر طبيعي، وتعلموا مني ولا تكونوا مثلي، ويشيرإلى أسنانه العليا التي تكسرت من سقوطه على حجر الدرج، ويقول: ظللت طوال عمري أحاول تعويض ما تكسر ولكنني لم أستطع، منذ صغري

دوما أذهب إلى الشام، وأركب تركيبة عوضا عن أسناني المتكسرة، ودائما أجددها ولكن (الأسنان التركيبة) لا تستمتع بها في الأكل ولا للتلذذ بشيء بارد ولا ببوسة، ثم يستدير علي ويقول أجرب، ويقبلني عشرات القبل أنا ومحمد، ويمازحنا بالدغدغة، وكلانا يضحك ويقول (أنا أكثر).

ومثل هذا الحجر الأسود للدرج الذي حذرنا منه (بابا) توجد منه قطع صغيرة مستديرة في (حمام الاستحمام) تستخدمه عماتي وأمي لتنعيم تشققات القدم، وغالبا ما كان أبي يوم الجمعة يقوم بنفسه بتقليم أظافر قدم (جدي عبد الواحد)، وأحيانا تنعيمها بالحجر البركاني الأسود، وترطيب قدمه بالفازلين وكريم النيفيا الأزرق وتكبيسها. كان يعجبني اهتمام أبي بأبيه، فوعدت نفسي أن أفعل مثله حينما أكبر، كان أبي لا يمشي موازيا لأبيه بل خلفه، مهما طلب جدي عبد الواحد ذلك ويضع يده بيده، كان أبي يحني رأسه ويخفض جسده حينما يتحدث مع جدي، يحمل حذاء والده تحت إبطه، ولا يدوس على ظل أبيه أبدا، فحينما أسأله عن سبب فعل هذا، يقول: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي أرحمهما كما ربياني صغيرا)، لم أكن أدرك تماما ما كان يقوله ولكنني مع تكرار المشهد، حفظت كلام أبي، وفهمت أن للوالدين احتراما في الحديث معهما بخفض الصوت والجناح. وأذكر حينما أصبحت أما وحاولت نقل هذه التّجربة وشرحت لابنتي (مناير) شكل أبي وهو يحدث والده، جثت ابنتي (مناير) على ركبتيها، وحركت يديها وكأنها جناح طائر محدثة صوتا يشبه صوت العصفور(وص، وص، وص).

نعود إلى الدرج الأسود البركاني، كان بالدرج فتحة تسمى (الجِلا) مفتوحة إلى الدور الثالث للسماء، وقبل نهاية الدهليز على يمينك القاعة، والديوان، وينقسم الديوان لقسمين: قسم مسقوف وقسم مكشوف إلى السماء، عندما تنظر إلى القسم المكشوف، تجد بعد الدور الثالث غطاء من القماش (السليطي) على شكل مظلة يمكنك فتحها أو غلقها، وظيفتها حجب أشعة

الشمس بشكل مباشر عن البيت ولكنها تسمح للهواء ونور الشّمس بالدخول، وتجعل البيت أكثر إشراقا وبهجة في النّهار، وحينما تتأمل هذه الفتحة المربعة الشكل ترى أيقونة معمارية، تسمع منها أصوات الآذان، وتكبيرات العيد، وإذا فتحنا مظلتها ترى الشّمس بالنهار، وترى أسراب الحمام يمر من فوق بيتنا عابرا، وكذلك أسراب العصافير. ترى المخلوقات العابرة في وضح النّهار وترى القمر بالليل، وترى النّجوم السّاطعة، وترى السحب المارة العابرة وترسم معها غيمات أحلامك، ترى حبات المطر الصّافية، وترى حبات المطر الممزوجة بالطين، هذه الفتحة الفائقة الجمال كانت بمثابة القبة حاليا، وفي كل دور صالة داخلية تسمى (الصفة) فتحة كبيرة بعرض الجدار، وهي مطل داخلي للبيت مكون من نصف جدار مصنوع من الخشب فقط، تسمح لمن في داخل البيت أن ينظر إلى القاعة والديوان والنوافذ الداخلية من (المؤخر)، وكل دور به (صفة) تطل منها على الدور الأول والثاني على القاعة.

وفي نهاية الدهليز في آخر البيت (بيت الما) و(بيت البئر) وكنت أخاف من هذا المكان جدا، ولا أجرؤ على الدخول إليه وعندما أمر أركض سريعا إلى أعلى. في صعودنا إلى الدور الأول نجد في منتصف الدرج بابا خشبيا يسمى (المخزن) وكنت أيضا أخاف منه جدا وكانت جدتي (ملكة) تخوفنا منه وتحذرنا من أن به (ساكن) يعني به داب (حنش كبير)، ويسكن الداب الأسود فيه؛ لذلك نركض في الدرج خوفا من الداب الذي تخوفنا منه.

حينما نصعد الدور الأول وتواجهنا الصفة وهي مكان اجتماع العائلة على الأكل، وصدر الصفة جدار من الخشب مطلي باللون الفستقي الهادئ على شكل نصف جدار، حوافه على شكل مثلثات هندسية، يطل على الديوان ومفتوح على السماء، وعلى يسار الصفة (المؤخر) وهو بمثابة المطبخ، وبجواره (المروش) وهو مكان خاص للاستحمام فقط، ثم المجلس ويطل على الشارع وصدر الجدار كله بالروشان البني، مكان للرجال وبه (هاتف)،

وبجواره مجلس آخر لاجتماع العائلة وصدر المجلس أيضا كله بالروشان يطل على شارع (النزهات) وتطل على المناخة بأكملها. نافذة هذه الغرفة هي (**شرفة الحياة**) التي عرفت منها الدنيا. وكانت أمي بعدما تنهي واجباتها المنزلية تجلس على هذه النافذة لكي تخيط أو تأكل الترمس أو الفصفص وتطل على شرفة الحياة. وفي جدار الغرفة (طاقة داخلية) وهي شق مستطيل كبير لا أعرف لماذا يستخدم في الأساس، ولكنه فن معماري لبيوت أهل المدينة.

ومن الأنتيكات المعلقة على جدار هذه الطاقة لوحة من المخمل الأسود مكتوب عليها باللون الأصفر الذهبي (الله، بالخط الكبير، ثم جل جلاله، بالخط الصغير)، و(محمد، بالخط الكبير، ثم صلى الله عليه وسلم بالخط الصغير)، وغالبا ماكنت أتأمل هذه اللوحات ولا أفهم من المقصود بمحمد، ففي عيني حينها تبدو كلمة (محمد) أشبه بالرجل المستلقي على أريكة، ''الميم'' رأس الرجل، و»حمد« بقية الجسد، ثم فهمت أن اللوحة تعني (الله) خالقنا، و(محمد) نبينا، ولكن قد يفسر الطفل مايراه على مايفهمه. وكنت وقتها أتأمل اللوحات بحسب فهمي، وباختصار فإن هذه الطاقة تستخدم لوضع الانتيكات، وغالبا ما يضعون فيها أدوات للزينة، وتضع فيها جدتي (ملكة) ساعة المنبه الشهيرة الخاصة بها، (وهي سوداء دائرية)، وعلبة علك شامي وآخر لبان لامي، ومرش عطر. وكانت من عادة أهل أبي كلهم أن يقدموا اللبان الشامي (اللامي) بعد وجبة الأكل مباشرة، يستخدمونه للمساعدة على الهضم، وهو طقس في العائلة لا غنى عنه، وله علب خاصة جميلة للتقديم.

وعندما كبرت قليلا وأصبحت أستطيع الجلوس في (الطاقة الداخلية) كان هذا المكان المفضل لي للجلوس فيه وكأنه أريكة خاصة، ومحمد نزهة ينافسني وأنافسه على كل شيء، فيصبح بيننا عناد طويل أينا يجلس في الطاقة، ويفصل بين عراكنا أبي رحمه الله وذات مرة، أوقف أبي عراكنا وجعلنا نتأمل

المجلس، الذي كان فيه طاقتان داخليتتان وروشان كبير على مساحة الجدار، ولفت نظرنا إلى أمر، بقوله: «أنتما تتعاركان على الجلوس في طاقة واحدة، ولم تنظرا إلى الجدار الثاني، وكان به طاقة أخرى يمكن لأحدكما الجلوس فيها" . لم ننتبه أنا ومحمد بأن في المجلس مساحات أخرى للعب، وكنا نتعارك على مكان واحد، كنا نتعارك على اللعب في طاقة واحدة، ولم نعطِ أنفسنا اللعب كل منا في طاقة مستقلة، أو الجلوس معا في الروشان، وكان يشغلنا العراك عن المتعة باللعب، وهذه اللفتة الجميلة من أبي جعلتني طوال حياتي، لا يشغلني العراك في اللعب وإنما المشاركة في اللعب.

ومن ذلك الوقت التفت أنا ومحمد إلى المشاركة في اللعب، وقلت له: (بابا) قال بأن لكل واحد منا طاقة خاصة به. وبعدها انتبهنا أن في المجلس طاقتين، والطفل أحيانا لا يعرف كيف يحل مشاكله بنفسه، ولكن إذا نبهه الآخرون إلى التفكير، يصبح قادرا على التفكيربشكل أفضل وقادرا على التأمل.

في هذا المجلس بدأ أبي - رحمه الله- يعلمنا التخطيط للحياة بدل العراك من أجل الحياة، وأصبح يجلب لنا الألعاب التي تساعدنا على التفكير في اللعب بدلا من المعارك في اللعب، ألعاب كثيرة تشاركنا في اللعب بها معا والعائلة معنا، منها لعبة البزل، والطائرة المثبتة في سقف الغرفة، وجلب لنا أبي قطارا، وتشاركنا جميعا على بناء جسر القطار والمحطة وشعرنا بلذة مشاركة الجميع اللعب، ثم توالت المفاجآت بالألعاب التي تساعدنا على التفكير والمتعة باللعب.

جلبت عمتي عيشة لي من تركيا لعبة لا أنساها (بزل بطة، وبزل الخيل) كنت أقضي الساعات ألعبها بمتعة، واستشعر معها حب عمتي عيشة رحمها الله، ولكن أجمل لعبة اشتركنا في متعتها أنا ومحمد نزهة هي لعبة **(الشطرنج)**، علمنا أبي - رحمه الله - أسس اللعبة وقواعد التخطيط لكسب الطرف الآخر

في اللعب بدلا من اللعب على خسارة وربح، علمنا أن (**كش ملك**) لخصمك لا تعني فوزك، وإنما هي خسارة لكليكما، والمتعة في المغامرة والجاهزية لتقبل الخسارة، وإطالة اللعبة متعة في إطالة التّفكير، ومدة اللعب تعكس مدى انسجام الفريق.

علمنا أبي - رحمه الله - التكتيك في اللعب، وكأننا في حرب للبقاء وليس لخسارة الخصم، وأصبحنا رغم صغر سننا أنا ومحمد نزهة نقضي الأيام في التخطيط لبقاء (الملك)، وغالبا أعمامي ما يصفون أبي بأنه داهية من دهاة العرب. وتأسيس علاقة اللعب المشترك والتفكير بيني وبين محمد نزهة من أجمل تخطيطات (الداهية)، فأصبحنا نحمل لعبة الشطرنج أنا ومحمد في كل مكان نذهب إليه أو نسافر حتى كبرنا، وحتى بعدما فرقتنا الحياة بطبيعتها، بالزواج وبالعمل ما زلنا نحمل لعبة الشطرنج في ذكرياتنا في أجمل مكان تكون في الذاكرة الجميلة، ومحمد يراني الأخت في أجمل ذكريات طفولته، وأنا أراه الأخ في أجمل ذكريات الطفولة، وكبرنا ورمزية لعبة **الشطرنج** حاضرة بيننا بوصفها أجمل لعبة انسجام بيننا.

كنا نلعب أيضا لعبة (**بنك السعادة**) وكان يشاركنا فيها أحيانا ابن عمي فهد، ولكن متعتها لا تشابه لعبة الشطرنج، وأكملنا تعليمنا كما كنا نخطط، وهو يحكي لأبنائه أحلامنا التي حققناها باللعب وأرض الواقع، وها أنا أحكي للدنيا بأكملها أجمل علاقة لعبة في الدنيا مع (محمد نزهة) أجمل لاعب شطرنج يخطط ليصبح خصمه صديقه، فشكرا يا صديقي على أجمل مدرسة تخطيط تدربنا عليها معا.

وأنا أصف بيت جدي لا أسرد الحكايات أو أسرد قصة حياتي فحسب، ولكنني أتذكر المدرسة التي تعلمت منها مهارات الحياة، ومنها ما ذكرت أعلاه، تعلمت أنا ومحمد نزهة من أبي فن وإجادة التخطيط وكسب الخصوم. تعلمنا أن الحياة فيها معارك وتنافس، لا نتعارك لنتعارك، وإن تعاركنا فإننا

نخرج بربح لا بخسارة، وفعلا هذا ما حدث لي طوال حياتي الناجحة في عقد العلاقات مع الأصدقاء والخصوم، وكذلك كان محمد نزهة فهو شخصية ماهرة في كسب حب الناس وبدون خسارة. ونعود إلى بيت جدي بالمناخة بعد أن طفت بكم في جولة سريعة مع أجمل ذكرى تقبع في داخلي (**لعبة الشطرنج**).

فإذا انتقلنا إلى الدور الثاني نجد في وسط الدرج مواجها للصفة (الحمامَ) الذي كنت أخاف منه وأستعجب من مكان وجوده، شكله فتحه عميقه مثل البئر وبه (جلا) يطل على السماء، أركض من جواره لأصعد إلى الدور الثاني، بيتنا المكان المخصص لأمي (الصفة الثانية) بالبيت، جدار الصفة خشبي يميل إلى لون الخشب البني، و(المؤخر)، عندما تنظر إلى سقفه مصنوعا من سعف النخل، مثله مثل البيت كله ترى سعف النخل ثم أعمدة من جذوع النخل، بين تلك الجذوع كانت تتدلى حديدة، غالبا ما كان أبي – رحمه الله – يحكي لي قصة هذه الحديدة وبأنها ناموسية وضعها يوم (سابعي)، دلى منها القماش بشكل ستارة جميلة على سريري صنعها بيده، وقد حكى لي أن يوم ميلادي كان من أجمل أيام حياته، ويوم السابع كان وكأنه (كرنفال) احتفال يعبر به عن فرحته، كان سابع مولدي كما يحكيه والدي في بيتنا وبيت الجيران والشارع، كانت النساء في بيتنا، والرجال في بيت جيراننا بيت البشاوري، ويصف لي كثيرا من مباهج الفرح التي استعد بها الجميع وأبي لكي يسعد به الحضور، وكان من ضمنها عرض سينمائي في بيت جيراننا بيت البشاوري، وغالبا ما يحكي لي أهلي جميعهم احتفال هذا السابع، وحب بيت البشاوري لي، وأنهم كانوا يأخذونني عندهم حتى كبرت، فهم يسعدون بوجود طفلة في بيتهم، وهي (أمل) فرحة العائلة والجيران.

بيت البشاوري هو البيت المقابل تماما لبيت جدي، والغرفة التي ولدتني فيها أمي تطل على بيتهم مباشرة، ولكن نافذة (المؤخر) الذي فيه ستارة احتفال

يوم السابع، تطل على الديوان والقاعة، وعندما كبرت قليلا كنت أرى منها أفلاما واقعية أشبه بدور السينما، أبطالها الحجاج الذين يسكنون في بيت جدي في الحج، فحينما كانت تسكن البعثة النيجيرية في بيتنا، يتحول بيتنا إلى مستشفى؛ لأن السكان أطباء وكنت أرى من هذه النافذة العجب العجاب، ناقلة مرضى، ضمادات جرحى، عمليات حقيقة، ما كنت أراه كان مستشفى بكل تفاصيلها، وعندما يسكن فيها حجاج من الجنسية الهندية، كنت أرى فيلما واقعيا أمامي، امرأة هندية ترقص كما في الأفلام، وتغسل الملابس بطريقة الطرق والخبط، فهذه النافذة مثيرة بالنسبة لي في (موسم الحج).

ومن ضمن الذكريات التي أذكرها عن هذه النافذة يوم (قتل العقارب)، فقد كان بيت جدي غالبا ما تكثر فيه العقارب، ونرى فيه بقايا جلد ثعبان، حقيقة ما كنت أراه كان مدهشا للغاية، جلد ثعبان ممتدا على شكل ثعبان يشبه الثعبان تماما ولكنه بدون رأس. تقول أمي عن هذه الظاهرة التي نجدها في البيت: الثعبان (فسخ ثوبه أو خلع جلده)، وذات يوم، كانت أمي تنظف خلف صندوق (**السحارة**) سحارة (جدتي ملكة) في القاعة ووجدت العقربة الأم وفوقها أولادها وقد تناثروا حولها، صرخت أمي خائفة علي من أن يصيبني أذى العقارب، وقالت لي (اطلعي فوق وشاهدي من نافذة المؤخر حتى لا تلدغك العقارب)، سمعت كلامها وصعدت إلى نافذة (المؤخر)؛ لأنظر إليها من بعيد وأصبحت تقتلهم بمهارة عالية، بحافة (السكتون) وهي بندقية أبي الذي يستعملها للصيد أو اللعب مع أخوانه وأخواته والمبارزة لوصول الهدف، وغالبا ما يكون ذلك الهدف أعواد الكبريت. قلبت أمي السكتون وحولته إلى مطرقة تقتل به العقارب، حينها الله حمى أمي من أذى العقارب، وكان ما تقوم به أمي أشبه بالصفع أو الصراع مع أعداء قاتلين، و كانت تنظر إلي وتفخر؛ لأنها قاتلت وقتلت الأعداء. وبدا لي أن ما قامت به أمي كان بمثابة الرقص، وصوت الطرق أشبه بسمفونية. تعلمت من ذلك الموقف الشجاعة، وأصبح

المشهد كامنا في داخلي، مهما كنت خائفة لا بد لي من التظاهر بالقوة لدعم نفسي ودعم من معي. لقد علمني موقف أمي (الرقص مع الحياة). ألم أقل لكم أن بيت جدي مدرسة تعلمت منها، فكنت طفلة ضعيفة مدللة لا تقوى على الضرب أو العراك، ولكنني تعلمت كيف أتصنع الشجاعة، ورغم ذلك التّصنع للشجاعة، لم أستطع القتل الحقيقي لأي حشرة أبدا طوال حياتي، ولكن يكفي أنني أستطيع التّصنع.

نعود إلى الغرفة المقابلة للمؤخر (غرفة أمي) حيث كانت هي المكان الذي سمع صرخاتي الأولى، وتمت ولادتي فيها، خبر ولادتي، سأحكيه من المرويات، فقد حكت لي أمي:

أنها كانت صغيرة جدا وقت زواجها، فقد كان عمرها اثني عشر عاما، وهي عادة زواج معظم بنات الحجاز أنذآك، تزوجت في شعبان فلم يأتِ عليها صباح 6 جمادى الثانية حتى شعرت بمغص لا تعلم بأن هذا المغص هو آلالام مخاض أو ولادة، لاحظ عليها الجميع تعبها، فذهب أبي ليأتي بجدتها (أمي غيثة) وعرفت أنها آلام ولادة، فذهب أبي ليحضر (جدتي نورة بنت دغليب العامرية) وهي خالة والدي شقيقة والدته وأمه بالرضاعة، وهي تعمل (داية) يعني قابلة تولد النساء، ومعروفة في المدينة أنها تطبب النساء. ولكني- كما ذكرت أمي- كنتُ مستعجلة على الدنيا وولدتني قبل حضور (جدتي نورة)، ولكن جدتي نورة قطعت السرة، وبعدما كبرت كانت تحكي لي جدتي نورة خبر ولادتي، وهي كذلك حاولت أن تطببني عندما تأخرت في الحمل بعد زواجي، وتصف لي أعشابا وتركبها وكأنها طبيبة، فهي لم تكن داية تولد النساء فقط، ولكن طبيبة شعبية، تعلمت الطب الشعبي في الأردن، كونها عاشت فترة طويلة من حياتها هناك ما يقارب عشرين عاما، وابنها عمي عبد الله بن ثاني الرويلي أخو أبي بالرضاعة، وكذلك ابنها محمد صالح الجهني وأخته عمتي عائشة، وأبي يحبهم كثيرا وأورثني حبهم.

وسأحكي رواية عمتي (مريم) التي حكتها لي مئات المرات بل أكثر:

ففيما نُقل إليّ عن خبر (يوم ولادتي)، أن عمتي لفتني بعمامة والدي وضمتني إلى قلبها، وحملتني من الدور الثالث إلى قاعة جدي وبها لفيف أعمامي، فقال جدي: اسم حفيدتي (هند)؛ حتى تكون شخصيتها قوية مثل هند الهنود أكّالة الكبود، وجدتي (ملكة) قالت: بنت محمد اسمها (نجلاء)، حتى تطلع صاحبة قوام ممشوق وجمال وتحب فعل الخير، وعمتي (مريم) قالت: اسمها (أمل) أمل حياتي، ووقعت القرعة ثلاث مرات على الاسم الذي اختارته عمتي (أمل). فهذه القصة تُعاد وتُكرر في مجلس العائلة ويحفظها الجميع عن ظهر قلب، يعرفها الصغير والكبير والخدم والصبيان والأقارب والأرحام والجيران، تحكيها عمتي بلذة تغمر قلبها بالسعادة، كأن لم يخلق في الكون مثل (أمل): أنا من أسميت أمل، وأول نبض قلب تسمعه أمل نبض قلبي بعد قلب أمها، وأول ريحة تشمها في الدنيا وتلامس جسدها رائحة أخي محمد، لفيتها بعمامة أبيها بيدي، لك الحمد يا رب على أن بلغني (أمل)، ثم تحكي لنا (الرؤيا) التي تبشرها بقدوم أمل، وتقول: رأيت نهرا يجري من بيتي في باب الكومة وحتي المناخة دخل بيت (أبويا) يعني جدي عبد الواحد، وتستحضر عمتي هذه الرؤيا في كل حدث جميل يحدث لي، أو يحدث لأبناء أخيها محمد، وتقول منذ ولادتك يا أمل وأنت نهر الخير الذي دخل بيتنا، أنت الخير والعلم والفرح، والعجيب أن عمتي مريم مازالت تحتفظ بالفستان الذي احتضنتني فيه على قلبها بعد ولادتي مباشرة، وتخرجه لبنات العائلة من وقت لآخر للذكرى.

آخر دور في بيت جدي السطوح وهو في الدور الرابع، السطح مقسم إلى أربعة أقسام، قسم مكشوف للنوم خلفي، وقسم مكشوف أمامي وتتوسطه القبة المكشوفة المطلة على الجزء الداخلي للبيت، وجزء من السطوح مغطى (الطيرمة) وهذا المكان كان فيه مخزن لتخزين الفراش الزائد، وفيه مخزن

أشياء عمتي زينب، أما الجزء الآخر من الطيرمة فهو خاص بجدتي ملكة، به حظيرة الطيور الخاصة بها، التي تشمل الدجاج والحمام والأرانب، وبه دكة لخزان المياه للبيت بأكمله، ونافذة على الشارع، تطل على المناخة.

الطيرمة هذا الجزء الخاص في البيت كان غاليا على قلبي كثيرا، كنت أشعر فيه بالخلوة والخصوصية والحرية، كنت فيه مثل الطير الذي يحلق في السماء، أتأمل السماء الزرقاء فكأنني أسكن إحدى غيماتها. كنت ألعب، أو أخيط، أو أعزف، وظل لهذا المكان الحنين والحب، وفي بيتي بالمنطقة الشرقية كان عندي مكان مشابه للطيرمة في بيت جدي، الدور الثالث من البيت، جزء من الدرج به حجرة تخزين لكتبي وأوراقي، ونافذة تطل على السماء أسميت هذا المكان (صومعتي). كنت أجلس في ذاك المكان للخلوة وللكتابة، وكلما بحث عني زوجي أو أبنائي يجدونني في الصومعة، فكتبت فيها بحثي الماجستير والدكتوراه، كنت وأنا أجلس في صومعتي بالشرقية أستشعر أنني في طيرمة بيت جدي رحمه الله، فأستشعر بأنني أعرف كل ما يصير بالبيت وأسمعهم، ولي استقلاليتي والحرية والانطلاق، فيمدني المكان بطاقة عجيبة للكتابة.

خلف مكتبة الملك عبد العزيز

وأنا أبحث في (النت) وجدت صورا لحي المناخة بأكمله، المشهد الذي ينظر عليه بيتنا، كم لعبت على أسوار مكتبة الملك عبد العزيز العامة كثيرا، كأن سور هذه المكتبة هو جزء من بيتنا، لعبت أدوارا مختلفة بجواره، لعبت دور الخيّاطة، ودور الطبيبة، ودور القائدة، ودور التاجرة، ودور سائقة الباصات، ودور الإعلامية والمذيعة، ولعبت معظم الألعاب الجماعية التي كنت ألعب بها مع البنات والأولاد، وهي ألعاب كثيرة ومختلفة مثل لعبة البربر، والطيري، والغميضة، والمرسال جاكم، وركوب الدراجات، ولكنني لم ألعب لعبة السبع حجرات؛ لأنها لعبة خاصة بالأولاد وفيها قدر من العنف.

NO : 1143 المدينة المنورة قديما : شارع المناخة – باب الكومة

مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٧ هجري

(بيت جدي عبد الواحد)، يقع على المدخل الوحيد لحوش النزهات (القايد)، ترى من النوافذ حي المناخة بأكمله، وترى السقيفة التي تؤدي إلى حوش النزهات، وترى (مركاز) بيت أبي محمد نزهة - رحمه الله - حيث كان يجتمع فيه سكان حوش النزهات ومعظمهم أهلنا من النزهات؛ أقول أهلي لأنني رضعت مع بندر فأصبح النزهات أهلي، وعمتي تزوجت إبراهيم نزهة، فبيننا قرابة ونسب ورضاعة. كان موقع بيتنا أول بيت في زقاق النزهات، وأخي بالرضاعة بندر محمد عقيل نزهة - رحمه الله - والحوش كله خاص بالنزهات، وهم تجار مواشٍ وعندهم بقر وغنم، وجدتي سلمى رحمها الله ، وكان عم منصور - رحمه الله - يخصنا باللبن البقري الطازج الذي لم أذق مثل طعمه في حياتي حتى في تركيا.

كان بيتنا بمثابة بوابة لحوش النزهات، ولا أعرف أن في وسط الحوش غير النزهات فقط، ونعرف كل سكان الحوش، في ظلام الفجر يذهبون للصلاة، وأسمع صوت (جدي جزى، وجدى عقيل) - رحمهما الله - يسعلان وهما يمران خارجين من الحوش إلى المسجد، لا يمكن لأحد الخروج من حوش النزهات أو الدخول إلا ويمر ببيتنا. إحساس جميل، وأنت ترى الوجود أمامك مكشوفا، يمرالباعة المتجولون ليدخلوا حوش النزهات، فنشتري منهم (الترمس - البسبوسة - الحلبة الزرع - الفول المدمس - المنتو....) حتى المواشي وهي تدخل الحوش تصدر أصواتا وكأنها تستأذن المرور، فكلما انطلقت هذه الأصوات بجوار النافذة كنت أركض إليها وأشعر بإحساس جميل (إنها نافذة الحياة!!).

المناخة هي المكان الجميل في ذاكرتي، وأجمل منظر كنت أراه كان من نافذة بيتنا. لم أكن أشاهد الدنيا من النافذة فقط، بل كنت أخرج إلى الشارع وألعب على أسوار مكتبة الملك عبد العزيز مع صديقاتي، كما نلعب على جدار بنك الرياض، ونغني للشرطي حارس البنك، وكنا ننشد قائلات:

(عسكري جلا جلا، مافي جيبه ولا هلة)

ثم يزعل العسكري، فنغني له كأننا نراضيه، قائلات:

(عسكري زينة زينة زف بنات المدينة)

لا يعترض أهلي على اللعب بالشارع مطلقا، بل كان جزء من حياتنا اللعب بالشارع، وكنا نلعب نحن الأولاد والبنات ولا أحد يعترض على ذلك أو نشعر أن لديه مشكلة في ذلك، بل كنا أنا ورفيق طفولتي (محمد نزهة) ابن عمتي، وغسان خاشقجي، ونهلة كرعلي، وبنات بخاريات تعلمت منهن الخياطة).، نلعب كل شيء يخطر على بالنا في الشارع وبمراقبة الأهل من الرواشين، ومن بين الألعاب التي كنت ألعبها الركوب على الدراجة، وحدث ذات مرة وأنا أسابق البنات والأولاد بدراجتي، أن أوقفني رجل غريب عن الحارة، أمام عمدة الحارة، قائلا: تعالي يا بنت أنتِ بنت من؟

قاطعني (العمدة) قائلا: اذهبي يا بنت، وروحي مشوارك بسرعة قبل ما تروحي على بيتكم، واعترض العمدة على تحدث ذلك الرجل الغريب مع الطفلة الصغيرة وسمعت كلامه وأنا أسترق السمع، وفهمت من العمدة أنه لا يريد أن يعرف هذا الرجل الغريب بيتنا، وفي داخلي فضول الطفلة التي تريد معرفة ماذا يريد الرجل الغريب من سؤالها، ماذا يريد ذاك الرجل الغريب؟!، سمعت كلام العمدة، وبذكاء الطفلة الذي تميزت به، اتجهت إلى بيت غير بيتنا أمام الرجل، ثم ذهبت إلى بيتنا بعد ذلك، وأخبرت (بابا) بما حصل، واصطحبني (بابا) وتوجه والدي مباشرة إلى العمدة لمعرفة الرجل الغريب وماذا يريد؟

تحاور أبي مع العمدة وعلم أن الرجل معترض على لعبي بالدراجة، وأن البنات لا يليق بهن لعب الدراجة. لم أكن وقتها الطفلة الوحيدة التي تلعب بالدراجة، ولكن يبدو أن مقاس الدراجة أكبر من عمري ويتناسب مع طفل محترف القيادة، وكنت محترفة للقيادة؛ لذلك اشترى أبي لي دراجة

تتناسب مع احترافي هذا، كنت بسذاجة الطفلة، أحسب أن هذا الرجل الغريب خائف علي من قيادة الدراجة الكبيرة، ولكن بعد جلوسي مع أبي، أفهمني أن هناك عقولا متحجرة لا تسمح للبنات بركوب الدراجة، والرجل جاء ناصحا، ولكنني أنا أريد أن أعلمك أمرا يا (**أمل حياتي**)، (أنو بنت الرجال اللي ترخي ثوبها وتمشي صوبها).

بعد هذا الموقف، (موقف الرجل الغريب)، بدأ أبي يعدني لمدرسة الحياة حتى أكون (**بنت الرجال**) التي يفخر بها الجميع، لا أعلم لماذا؟ ولكنه يضعني في مواقف صعبة، أبكي منها، وهو يشجعني. كنت جبانة أخاف الذهاب إلى البقالة أو المطعم وحدي خلف بنك الرياض المقابل للحرم وخلف حارة المناخة، ثم يركبني أبي السيارة، ويطلب مني النزول إلى المطعم البخاري، لأشتري الرز البخاري والمنتو، ويعطيني قائمة الطلبات ويحسب معي الفلوس، ويقول لي: انزلي أطلبي أنت، وأنا أمامك في السيارة أنظر إليك، ثم أسمع كلامه وأنظر إليه، فأجد الأمان، ثم (يشخط) بالسيارة ويذهب إلى (اللفة) التي تقابل البيت، ويرقبني، ولكنني لا أره، فأبكي من تصرف والدي هذا الذي كثيرا ما كان يكرره معي، وحتى مع أخواتي بعد ذلك. كنت وقتها أبكي كثيرا وأنزعج من تصرفه، ولكن بعدما كبرت فهمت أنه كان يريد تعويدي على الشجاعة والمسؤولية والشعور الداخلي بأنني **بنت رجال**، تذهب إلى كل مكان وهي مصونة لنفسها وشرفها وعفتها وأنوثتها، وهي من تقوم بهذه الحماية، لا تجعل أحدا يتكفل بحمايتها.

وفي الأعياد تصبح ساحة المناخة ملاهي لأطفال المدينة، ومن أهمها (المرجيحة) اللعبة المشهورة التي ننتظرها بلهفة وبأهازيجها الجميلة. كان صاحب اللعبة يصرخ بها ونحن نكرر معه (يه ... يه):

كتنمبا كتنما   يه يه

بَيَّاعْ الشربة

نلحس له قدوره
والبطة البطة
طاحت في البركة
ونبينا محمد
إن شاء الله نزوره

فكنت ألعب وأستضيف أطفال عائلتنا؛ لأن أبي غالبا ما يستثمر المواسم بالتجارة، وفي موسم العيد يُتاجر بالألعاب. أذكر من بين الألعاب التي كان يمتلكها لعبة (اصطدام السيارات)، كانت لعبة حديثة على ساحة المناخة ويصعب جدا تنفيذها ومع هذا استطاع تنفيذها. ومن الأشياء التي عرفتها عن أبي خلال حياتي معه أنه يهوى اقتناء السيارات، وغالبا ما يصر على فعل شيء وينفذه ثم يذهب لفعل شيء آخر، يهوى الشيء ثم يتركه ليفعل شيئا آخر وهكذا...، وكم شهدت شوارع المناخة عرق أبي من جراء تركيب الألعاب، وتصليح السيارات، والركض ممن فعل به المقالب. وأكاد أسمع صوت أبي يتردد في شوارع المناخة وأسمع صدى ضحكاته الآن في أذني.

ومما أتذكره أنه كان لأبي محل ألعاب (**بالمالحة**) وكان يخزن بعض بضاعته في البيت، فانتقي منها ما استطيع حمله، وأنزل بها أمام البيت، وأبيعها للحجاج المارين والداخلين على حوش النزهات أو الخارجين منه. كل شيء كنت أبيعه (بريال)!! فيشترون مني وتنفق كل بضاعتي فأفرح فرحا شديدا، فأعود وأجلب بضاعة أخرى حتى تنفذ الكمية !! ولكثرة الفلوس التي تحصلت عليها فكرت أن يكون عندي (حصالة) لجمعها، ووجدت علبة كبيرة على شكل تفاحة، تستخدمها أمي لوضع اللبان اللامي، (إذ كان من عادة بيت أهلي، توزيع اللبان على أهل البيت والضيوف بعد الأكل مباشرة)، فوضعت الفلوس في هذه الحصالة وكانت على شكل تفاحة برتقالية اللون مائلة للحمرة، وحينما عاد (بابا) إلى البيت أخبرته بأنني بعت على الحجاج

من بضاعته التي في المخزن، كل شيء (بريال). والعجيب في ذلك أنه لم يغضب، بل فقال احضري الفلوس وعديها وإذا عرفتِ كم هو المبلغ فسأعطيكِ إياها. كان شرط امتلاكي للفلوس أن أعرف كيف أعدها، وأتذكر أنها كانت (ستين ريالا)، وكانت هذه أول صفقة تجارية رابحة عقدتها في حياتي وأنا طفلة، وبعدما كبرت تعلمت من موقف أبي، أن تجارته الحقيقية قد كانت في تعلم ابنته ممارسة الحياة، لا تهمه خسارته المادية التي قد أكون تسببت له فيها، فهو لم يشعرني بذلك، بقدر ما كان معجبا بتصرفي، وشاركني الفرحة وكان يريد أن يعرف كل تفاصيل ما قمت به، فوصفت له تجمع الحجاج على البضاعة. وما زلت أتذكر حينها فرحة الحجيات وهن يجمعن (العرائس) والألعاب، وأعتقد أن فرحتهن كانت أغلى بكثير من المبلغ الذي ضيعته على والدي. كلما أتذكر موقف أبي هذا يدهشني بحكمته وابتسامته اللذيذة، هل كان يتصنع البرود؟ أم هكذا هو الأب الرائع حينما يمارس التربية بدهشة لا يتصنعها؟!. أبي مدرسة في الحكمة ومدهش في خلق الابتسامة، يعلمك كيف تحتوي الطفل وتدربه على ممارسة الحياة.

المناخة هو الحي الذي أحمله في داخلي حينما تقسو الدنيا علي. استحضر الأيام الجميلة والمقالب التي كانت تجري بين أخوان أبي وأصحابه، ومن بين تلك المقالب التي أتذكرها أن أبي - رحمه الله - كان يصلح باص الحج استعدادا للسفر إلى الحج، وعنده سيارة مازدا حمراء، خرج من البيت ومعه مجموعة كتب (ربما كان يريد إعطاءها إلى أحد أو يأخذها معه في السفر، لا أعرف) المهم أنه وضع الكتب على سقف السيارة، وترك السيارة مفتوحة وعلى سقفها الكتب، وصعد إلى الباص ليقوم بأمر ما، وكنا أنا وأمي وخالتي نطل من النافذة، ففي موسم الحج قبل رحيل الحجاج من المدينة إلى مكة يزورونا الأقارب؛ لأن بيتنا يعد مكان تمشية (الجلوس بالنافذة)، ومشاهدة موسم الحج بالمناخة يعد من الطقوس التي تعود عليها أقاربنا.

المهم أن صاحب أبي (مفلح الدوسري رحمه الله) استغل انشغال أبي بالباص، فركب بالسيارة وهرب بها وكأنه سرقها، وتخفى عن عين أبي خلف جدار بنك الرياض، فخرج أبي من الباص وهو يصرخ قائلا: ياولد، ياولد.... يحسب أن سيارته قد سُرقت، فكنا نضحك ونعلم أن هذه السرقة ما هي إلا مقلب من صديق. هكذا تعودنا أن نجلس في (**الروشان**) ونستمتع بالدنيا وهي مكشوفة أمامنا.

كان **الروشان** جزءا مهما من تفاصيل يومياتنا، إذا هطل المطر تنتشر رائحة (**الروشان**) رائحة الماء مخلوطة برائحة الخشب، وتعطر المكان رائحة الروشان المبلل بالمطر فيكون له رائحة آسرة، تصحبها نسمات باردة قليلا، وإذا تبلل الروشان، تصغر الفتحات من أثر الماء، فنفتح النافذة بأكبر مقاس بالزرفان، والنافذة لها مقاسات: فتحة صغيرة أو وسط أو كبيرة، ونسدل الستائر حتى لا يكشف بيتنا من بالشارع. كانت أمي تقول: ارخي ستارة (أم كلثوم). في بداية الأمر، كنت لا أعلم لم تسميها ستارة أم كلثوم، وكنت أحسب أن أمي تقصد التستر بها، وتريد رؤية من بالشارع دون أن يراها أحد، ولكن رمزية (**ستارة أم كلثوم**) يستخدمها عماتي أيضا، ويقصدون بها (المشاهد التي يمكن مشاهدتها) مع غلق كل ستارة وفتحها مرة أخرى، فكانت أم كلثوم بعد إغلاق الستارة تفتحها وتعود لتغني تلبية لرغبة الجمهور، ثم تصدح أم كلثوم بالغناء، هكذا كان الروشان مسرحا للفرجة والمشاهدة، كنا نتفرج على عادات الحجيج المختلفة، في طريقة الأكل والنوم وقضاء الحاجة والشراء.

ومن الذكريات العالقة في ذهني حول هذه الستارة، أنه في ليل شتوي قارس البرودة، هطل مطر شديد يصاحبه برد، وكانت طرقات البَرَد شديدة أيقظتنا من النوم، فاستيقظتْ أمي مذعورة بعد فتح ستارة أم كلثوم وإغلاقها، كان الليل الموحش ودقة الساعات وطرق البرد على الروشان إنذارا مفزعا لأمي بأن القيامة ستقوم، هلع أمي جعلها تقوم لتتوضأ ثم تستقبل القبلة وقالت

كلمة وقتها لم أفهمها (يا رب أنني في عذر من الصلاة ولكن سأصلي فتقبلها مني حتى لو قامت القيامة تقوم علي وأنا أصلي). كنت في تلك الليلة أرى أمي القديسة وأصلي معها، وكلما فتحت ستارة أم كلثوم في تلك الليلة تزداد ذعرا وتصلي، رأيت في تلك الليلة حرقة الآهات في عز الليل من أمي، وتعلمت أن ستائر الليل خلوة للعبد مع ربه تغسله من الذنوب ليعود بعد فتح الستائر يمارس حياته الطبيعية، وهذه الومضات تعلق في ذهن الطفل ولا يكاد ينساها.

في بيت المناخة كبرت بين روائح الفجر المعطرة بالعود ورائحة القهوة، في بيت كبير فيه عمات وأعمام يتشارك الجميع في تدليلي من العمات والأعمام والجيران، أشارك اللعب مع جمهور كبير من الأطفال، طفلة والدها صاحب محل ألعاب، وباصات تقودها معه أو تبيع معه، وتلعب بالدراجة. غالبا ما تكون قائدة يتبعها الجميع بحب، تقسم الألعاب والحلوى والبقلاوة والمكسرات مجانا، وغالبا ما تُصدر الأوامر فتطاع. وتتكرر قصص المقالب في طفولتي التي لا أتعرض فيها للعقاب، بل تمر قصصا تزيد من رصيد حب الجميع لي.

ليس هذا فحسب، طفولتي فيها حكايات ومرويات كثيرة، طفولتي مكسوة برائحة أشمها كل صباح، تعودت على أن أشتم رائحة دخون بخور العود بالفجر، وأسمع صوت الهوند النحاسي مع بدايات كل صباح، وأشم رائحة حمس البن، تعودت على شم عبق القهوة مع صوت المكبرين للصلاة، طفلة ترى جدتها (ملكة) تصنع القهوة لجدها (عبد الواحد)، وتركض إلى الروشان لترى (حي المناخة) بمنطقة باب الكومة، أشهر حي في المدينة المنورة، فقد كان موقع بيتنا استراتيجيا.

ظل مشهد بيت المناخة (**الذاكرة الطاغية**) في عيني الذي أستحضره في أشد المواقف قسوة كي يخفف عني، والعجيب كيف وجدت صورة هذا البيت في تويتر صدفة؟ إنه حظي العظيم الذي ولد معي في هذا البيت، فشكرا

يا رب على الحظ الذي منحتني إياه، كل النعم في كفة، وأن أجد صورة بيت المناخة في تويتر في كفة أخرى، كفة راجحة، هذا البيت الذي أراه في منامي ويقظتي؛ لأنه هو البيت الوحيد الذي أشعر بأنه يليق بي رغم كل البيوت التي سكنتها في حياتي.

باب الكومة

لا أعلم متى سكنا في بيت باب الكومة، عمري كان في سن الروضة، تقول أمي إننا قبل هذا البيت سكنا في (زقاق جعفر) وهو قريب جدا من بيت (جدي عبد الواحد)، وبعدما كبرت أصبحت أعرف ذاك المكان وأذهب لأشتري (الخبز المغربي) من الفرن الداخلي في ذاك الزقاق، ولكنني لا أعرف بيتنا في زقاق جعفر أبدا، لأنه حُرق تماما، وسألت أمي عن سبب خروجها من بيت جدي! وما كنت قد شعرت بهذا الخروج، لأننا كل يوم عندهم، وغالبا ما نبيت عندهم، فقط بالاسم عندنا بيت مستقل، فوضحت لي أمي السبب.

قالت لي: إن بيت جدي عبد الواحد تستأجره الجالية النيجيرية في موسم الحج، وهي عادة لأهل المدينة، في تأجير بيوتهم في المواسم للحجيج، (مثل الفنادق حاليا)، وتتفاوت الأسعار، ويعد موسم الحج تجارة رابحة لأهل المدينة طوال العام، وهناك فرق بين إيجار الحجاج (بالأفراد) حينما يكونون على حسابهم، فيكون إيجارهم أقل، ويضاف عليها أحيانا سعر السمسرة، وبين إيجار الحجاج (بالجهة الحكومية) وغالبا، الجهات الرسمية تدفع أكثر وأرباحها مضمونة. ونظرا لموقع بيت جدي المتميز ولاتساعه غالبا ما ترغب في استئجاره الشخصيات المرموقة والجهات الرسمية، فلذلك ننفصل عن العائلة في موسم الحج لنكون في بيت مستقل حتى يتسع البيت للحجيج، ويأتي جدي عندنا ليكون البيت أنظف.

وبيتنا الذي لا أعرفه تماما في زقاق جعفر إلا بالحكايات، حُرق في موسم الحج، وسقط تماما؛ لأن البيوت كما حكت لي أمي كانت أسقفها

مبنية من جذوع النخل والجريد، فتكون سريعة الاشتعال، فخسرت أمي في ذاك البيت كل متعلقاتها الشخصية بالحريق، وأنقذ الحجاج أبي من الموت وبقي بالمستشفى فترة، كما أنقذوا لأمي بقايا بسيطة جدا من ذهبها ومنها (عقد ألماس) غالبا ما كان يزين جيدها، وتحكي لي أمي أن (عمتي مريم) اشترت لها ذهبا تعوضها عما فقدته في الحريق، أما أنا وهي فلم نكن بالبيت مع أبي وقت الحريق، كنا في بيت جدي، وعُدنا بعد هذا الحادث إلى بيتنا في بيت جدي عبد الواحد لنقيم فيه إقامة دائمة مرة أخرى.

لا أعرف متى! أصبح لنا بيت في باب الكومة، قريب أيضا من بيت جدي عبد الواحد، ولكن هذا البيت، بيت عمتي مريم، قريب منا جدا بيننا بيت واحد (بيت محمد درار) وزوق، أو زقاق كما كانوا يطلقون عليه، وأعتقد أن هناك فرقا بين (الزوق) و(الزقاق)، لهذا البيت مطلّان وبابان خلفي وأمامي، مطل بيتنا من الخلف يطل على حوش القشاشي وحوش خميس وحوش الرشيدي.

موقع بيتنا هذا في (**باب الكومة**) استراتيجي جدا، ونسميه بيت أبو (درجة حمرا)، أمامه مباشرة **المدرسة الناصرية**، النافذة في البيت هي (نافذة الحياة) والمدرسة التي تعلمت منها، ونجلس فيها ونتحاكى، من النافذة تعلمت الحكي مع أمي، أبي لا يجلس في النافذة ولكنها فقط وسيلة لنجتمع بجوارها ويشرح لي ما كنت أشاهده، ونتحاكى بعد كل موقف يحاول أن يفهمني كيف أتصرف، كلما جلسنا بالنافذة نتحاكى أنا وأمي، يبدأ أبي يشرح لي تاريخ هذا المكان، وكل مكان أستفسر عنه، كان يحكي لي عن تاريخ المدرسة الناصرية العريق، وخريجيها عبر التّاريخ.

أطل من نافذة بيتنا وأتمنى أن أكون مثل من كان يحكي عنهم أبي، تشاهد المدرسة وتعيش تفاصيل تتمناها لنفسك، تستطيع أن ترى تفاصيل المدرسة من الداخل بوضوح، يمكنني مشاهدة الطوابير، وأسمع الموسيقى والنشيد الصباحي، بيننا وبينها شارع سيارات. أجواء هذه المدرسة رائعة، كان بإمكاني

رؤية الاحتفالات، والإذاعة المدرسية، كنت صغيرة جدا ولا أدري إن كنت قد دخلت الروضة أم لا، لا أذكر بالضبط، ولكنني توسلت إلى أمي أن أبيع على الطلاب وقت الصرفة (**التماتيك**) أسوة بالمنظر الذي أراه أمامي، فقد كان هناك بائعات كثر يبعن شراب التوت والمنتو والبسبوسة والبطاطس.... إلخ، فاستجابت أمي لإلحاحي، ولكن شرطت علي أن أقف بجوار الباب، ولا أذهب إلى الجهة الأخرى مطلقا، وهي تطل علي من الروشان، وافقت، وصنعت لي (**التماتيك**)، وهو عبارة عن آيسكريم على طريقتنا وقتذاك، شراب مثلج مصنوع من (الفيمتو) شراب التوت الأحمر، يوضع في أكياس ثم يثلج في الفريزر. خضت تجربة جميلة، ورغم صغر سني حصدت فلوسا من تلك التجربة الرائعة.

كان لأمي ماكينة خياطة أبو أسد بصندوقها، تخيط بجوار النافذة. كانت أمي فنانة في الخياطة أرى عمتي تعلمها كيف تقص (البترون) بالأوراق ثم تقصان القماش، كنت أجلس وأقلد أمي وأراقب من النافذة. كان الجلوس

بالنافذة أشبه بحصاد أجنيه كل يوم، بجوار المدرسة محل (تميز) وبقالة، أتفرج على الباعة، ولكني ممنوعة من أن أشتري منها، فقط محمد علي ابن عمتي عيشة هو من يستطيع الشراء منها لأنه كبير، وهو شبه عائش عندنا، وهو من يشتري لأمي كل متطلباتها من الضفة الأخرى.

مسموح لي فقط النزول بالضفة التي على بيتنا، أما الضفة الأخرى فهي ممنوعة علي بتاتا خوفا علي من خطورة اجتياز شارع لسير السيارات السريع، وأحيانا أنزل وأشارك البنات الجلوس بجوار بيتنا، ولكن غالبا ما تناديني عمتي مريم بصوت (الصفقة) فبيتها على يمين بيتنا مباشرة يفصل بيننا زوق صغير، ليس فيه سيارات مطلقا، وهو بداية حوش، ويلاصقنا بيت (محمد درار)، ابنته إلهام صديقتي، وعلي يسار بيتنا بيت (صالح الدجران) وهم من أسرة قصيمية، وألعب مع كل أبناء خالة رقية – رحمها الله- (منى، محمد، وناصر، وفطوم) وأنا مخيرة بين أن أدخل لهم من الباب مباشرة، أو أنقز من سطح بيتنا على بيتهم، كأنني بنتهم وهم أهلي. عاداتها من القصيم، ولهجتها قصيمية، وخلف بيتنا حوش يسكن فيه أقارب خالة رقية أهل زوجها، وفيه بعض المواشي والدواجن التي يمتلكونها ملك خالة مزنة رحمها الله، وعادة بعض البيوت غالبا اقتناء بعض الغنم والدجاج.

الزوق الصغير الذي يفصل بين بيتنا وبيت عمتي مريم، يؤدي إلى حوش، جيراننا فيه بيت الموسى والوقيصي والعيسوي...إلخ ومازلنا نتواصل معهم حتى الآن، ومعظم من يسكنون الحوش من أهل القصيم أو عوائل نجدية، وزوج عمتي نجدي هو محمد السعد الحميد - رحمه الله - من الغاط، ويغلب على هذا الحي العادات النجدية، ومن عادة الجيران التهادي (بالطعمة) ،الأكل الذي يتهادون به بين البيوت، وغالبا ما يكون إما المرقوق أو الجريش أو القرصان، أو فتة هواء، وعندما يجتمع النساء يضعن في ضيافتهن (الكراث) ولهن طريقة معينة في أكل الكراث في ضيافة النساء؛ إذ يضعن صحنا فيه

ليمون وملح، ويأخذن جزءا من الكراث ويغمسنه بالملح والليمون، ولا بد من وجود الكراث في كل اجتماع للنساء، وغالبا ما يجتمعن في الصباح.

الاندماج في هذا البيت كان يسعدني كثيرا، كل نافذة في البيت تطل على حياة، وعندما أصعد إلى سطح البيت أرى منظرا أشبه بلوحة تركية من العصر العثماني، المدرسة أمامنا مباشرة وهي على أول سفح الجبل ثم خلفها جبل مليء بالبيوت، وعلى أعلى الجبل الموازي للسطح تقريبا، **مدفع رمضان،** شكله على مدفع الطراز العثماني، الجميل أنني كنت أرى الترتيبات التي تتم قبل إطلاق المدفع، وكانت هذه الترتيبات في شهر رمضان المبارك قبيل غروب الشمس، وكلما ضرب المدفع في رمضان يحدث بهجة وفرحة عند سماعه، ولكن مدافع السحور لم أكن أرى تجهيزاتها فكانت مفزعة أحيانا، وكلما انطلق المدفع الصوتي معلنا صوت الفرح في وقت الفطور أو مدافع العيد، سقطت طوبة من سطح بيتنا لشدة دفع الصّوت، فغالبا ما تكون لبنات سطح البيت ناقصة لهذا السبب، رغم أن أمي تجهد نفسها في إصلاح اللبنات التي تسقط، ولكنها أحيانا تسقط مدمرَةً متفتتة يصعب إصلاحها، ومع ذلك، فلضربة المدفع شعور جميل في سطح بيتنا. كانت تلحق خسائر بالبيوت المجاورة لنا ويصلحونها بعد انتهاء شهر رمضان مثلما كنا نعمل، وأجمل الذكريات من سطح هذا البيت أنني كنت آخذ الأكل من بنات الجيران (بنات الدجران) من جدار السطح، كان بيتنا وبيتهم كأنه بيت واحد ونتبادل الزيارات من جدار السطح بالنقز والقفز.

ذكريات شروق الشمس في بيتنا (طلعة باب الكومة) لا تنسى، كأنها لوحة إبداع متدرجة على سفح جبل يعيش عليه الناس باختلافات متعددة وثقافات مختلفة. أمام بيتنا مباشرة مطل صباحي مشرق، هذا المشهد في الصباح بجمال يختلف عن المساء، نصف السطح بمثابة (الروف) والنصف الآخر غرفة للجلوس والنوم.

كان يسكن أمام بيتنا على سفح الجبل الشّناقطة، وحينما أنظر من نافذة السطح أرى بيت الشناقطة، وهو يحفظون القرآن. ولهم عادة عجيبة في تسمين البنت، يجعلونها تأكل ثم تنبطح حتى تصبح سمينة، كنت أراهم واستعجب، ثم أسأل، ويبدأ الاستجواب، حتى أجد الإجابة، وهذه المرة وجدت الإجابة عند (خديجة الشنقطية) وهي كانت خادمة عند عمتي من قبل ولادتي، وما زالت وفية تتواصل معنا حتى اليوم، وأخذت هي وأبناؤها الجنسية السعودية.

كانت تحكي لي (خديجة الشنقطية) عن عادة (**التّبلاح**) عند الشناقطة وهي أن تبلح البنت وتأكل الطعام الدسم حتى تسمن، وتشرف الأم على البنت في طريقة أكلها، لا تأكل جالسة وإنما تأكل الطعام وهي مستلقية على بطنها وتبطحها أمها لتكبر أردافها، وتضربها بطريقة الطبطبة، وتقول لها: (كلي يابنتي كلي حتى تسمني)، وتضربها على مؤخرتها وأردافها وسيقانها حتى يزيد حجمها، ولا تتزوج البنت حتى تسمن أماكن الأرداف فيها ويبقى خصرها صغيرا، كنت أرى كيف يبلحون البنات الشنقطيات، وكنت أحسبه ضربا أو عقابا لهن، ولكن كان لهن برنامج للأكل ممنوع فيه الحركة، وتكون البنت مبطوحة طوال النهار وتأكل، وقد شرحت لي خديجة أنها عاداتهم لتسمين الفتيات حتى يصبح قوامها ممتلئا وتستعد للزواج.

في الجهة المقابلة للبيت ومن الدور الثالث أرى بيت عمتي (عيشة)، وهو بيت يختلف عن طراز بيت جدي عبد الواحد وبيتنا، يُقال له (بيت مسلح) بيت على شكل شقة في الدور الثاني، أشبه ما تكون ببيوت المصريين، دور واحد مستقل عن الجيران تسمى (العمارة) وأصبح بعد ذلك مألوفا بين الناس، كنت أسأل أبي أين السلاح في البيوت المسلحة؟، فيضحك؛ لأنه كان غالبا ما يلعب مع عمتي عيشة لعبة البندقية في سطح بيتها، فكنت أحسب أنه بيت مسلح لارتباطه بهذا اللعبة. بجوار بيت عمتي عيشة بيت (الشيخ الزاحم)،

وهو صديق جدي عبد الواحد - رحمه الله -، وبعدما كبرت قليلا وعدنا إلى بيت جدي مرة أخرى، وكان جدي قد مات - رحمه الله - أصبحت ابنة الشيخ الزاحم معلمتي في الصف الخامس والسادس ابتدائي في (الابتدائية الأولى)، فكنت أمر عليها وأذهب معها إلى المدرسة أحيانا، وهي من أجمل المعلمات التي واجهتها في حياتي جمالا وخلقا ولهجة نجدية.

في هذا البيت ذكريات كثيرة نسميها ذكريات بيت (أبو درج حمراء)، مثل الجفرة التي جلبها أبي وكنت أرضعها برضاعة مثل الأطفال، وذكريات الكباس الذي كان يجتمع عليه أهل الحارة ليملؤا الحنفيات، وبكائي على سفر أبي في النافذة. فلأول مرة عرفت ألم الفراق، وعرفت أن البعد يحدث ألما عند فراق من تحب، فكان أبي له عدة هوايات، ويحب أن يعمل عدة أعمال بجانب الوظيفة، منها سائق خط يحمل ركابا إلى الشام، ويعود ببضائع يبيعها في المدينة، وفي هذا البيت تعرفت إلى ألم فراق أبي، ودعته من النافذة، ثم وضعت صورته تحت وسادتي وكنت أبكي على فراقه، وبعد ألم الفراق عاد محملا بالهدايا، ومن ضمن تلك الهدايا عروسة بطولي، من ذكرى ذاك الفراق تجرعت ألم الفراق، وكلما استحضر ذكرى تلك السفرة لأبي، أتمنى لو يعود واستشعر لذة قربة.

روضة الفردوس

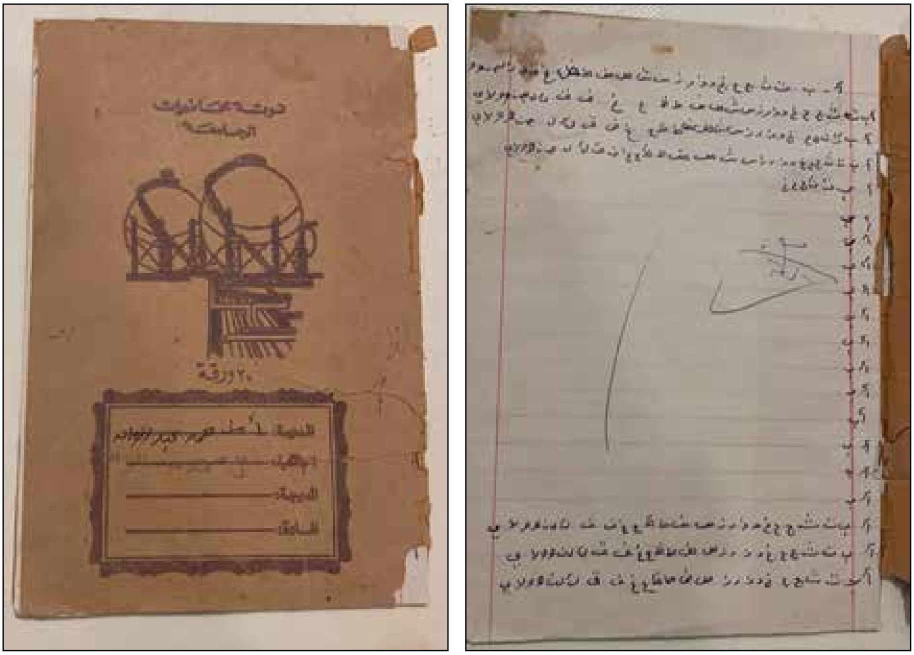

كان أبي رحمه الله يحتفظ بأول دفتر كتبت فيه في حياتي في روضة الفردوس

بعد مرحلة الماجستير زارنا أستاذي الدكتور حسن البنا وزوجته الدكتور سلوى في بيتي بالمنطقة الشرقية، فكنت أطلع الدكتورة سلوى على أرشيف ذكرياتي مع الدكتور حسن في مرحلة الماجستير، وأشكو لها قسوته ودقته وأطلعها على اللون الأحمر الذي يدقق به الأوراق، ولكنها قسوة من صنع مني باحثة جيدة بدقته الشديدة، وأثناء ذلك النبش في الذكريات، أطلعتها على ألبوم كبير عن ذكريات خاصة بطفولتي كان أبي يحتفظ بها، ومن بينها

دفاتر الروضة وشهادات تقدير من روضة الفردوس، وحتى سند قبض الفاتورة كان يحتفظ بها رحمه الله، حينما رأى أستاذي الدكتور حسن البنا عز الدين دفتر الروضة، تعجب كثيرا أن يحتفظ أب بدفتر ابنته، إلا أن تكون قد بلغت في نفس والدها مكانا عاليا، وتأمل الدفتر وعلق عليه، وكأنه يقدم عليه قراءة نقدية، كان يستغرب من كتابتي بالقلم الأزرق، ومن جودة خطي، وبدأت تعليقاته بالعتبات قائلا: نوتة محاضرات الجامعة، (شايفة إزاي يا دكتورة سلوى، دا باباها كان عارف إنو لدى أمل مشروع كبير أبوابه الجامعة)، وانتهت تلك القراءة بالضحك والذكرى الحلوة.

أعجبتني كثيرا تحليلات الدكتور حسن، وأعجبتني تعليقاته، كان يرى الذكريات من زاوية مختلفة عما أراها، كنت أحب أن أمتلك أي شيء يحبه أبي، وكان يحتفظ به بدولابه الخاص، كانت الأشياء التي تخصني وأنا صغيرة يحتفظ بها في مكان خاص، ويعني هذا أنه يستشعر بمكانتها عنده، واستشعر بمكانتي عند أبي، ومن أهمها ذكرياتي معه في روضة الفردوس.

كنت بعدما أعود من الروضة يستجوبني أبي بطريقة **الحوار المسجل**، أشرطة (**الكاست**) ما زالت عندي أحتفظ بها بوصفها ضمن أجمل ممتلكات أبي، كان يفتح المسجل ويجري معي اللقاء، ويطرح علي الأسئلة وأنا أجيبه، وأتذكر من ضمن اللقاءات، أنه أعطى لي مبلغا لسداد الفاتورة وقيمتها (60 ريالا)، وعلمني لمن أعطيها، وماذا آخذ منها (سند القبض)، كان أبي يريد تعويدي على تحمل مسؤولية نفسي، وفي أثناء سماعي للتسجيل كنت أخبره أنني ذهبت (للشؤون) وكانت سببا في ضحك أبي رحمه الله، فلذلك احتفظ بالفاتورة، والدفتر، وشهادة التفوق، وما زلت أحمل أجمل ذكرى لأب عرف كيف يصنع ذكريات جميلة في ذهن طفلة، أحبك يا أبي.

كانت ذكرياتي مع أبي عن روضة الفردوس جميلة، وكذلك مع أمي رغم الموقف المحرج الذي قد أكون تسببت لها فيه حينما أخذت ملابسها الداخلية

ومكياجها إلى الروضة، ولكن حينما تحكيها أمي تضحك ولا تلومني أبدا. ولكن هناك ذكريات لي بروضة الفردوس في المرجيحة التي كنا نلعب فيها، وذكرى أخرى باللون الرمادي أتذكرها، كانت المعلمات في روضة الفردوس تهدد (بغرفة الفئران)، وهذه الحجرة الوهمية أول وسيلة للتهديد التي كانت تؤلمني، لم أتعرض للتهديد مباشرة، ولكن كان بعض زملائي وزميلاتي يتعرضون لهذا التهديد، وكنت أتجول في الروضة لأستكشف مكانها، وما زالت صديقتي بالروضة (إيمان رفيع) حاليا تذكرني بجمال ذكرياتنا في روضة الفردوس وتشكيكي في وجود هذه **الغرفة الوهمية**، جميل أن تتذكر صديقتي إيمان، بحثي عن الحقيقة، وحمايتي لزملائي ودفاعي عنهم.

والشيء بالشيء يذكر، فقد كان أستاذي الدكتور (عبد الله الغذامي) في مرحلة الدكتوراة يغضب على زميلنا (عبد الرحمن المهوس) وكان غضب أستاذنا الغذامي على زميلنا المهوس أحلى من العسل، وأنا كنت أدافع، والمهوس يريد المزيد من التقرب للدكتور الغذامي والنهل من أسلوبه في التعليم، بينما أمل تريد الأسلوب اللين الذي يتناسب مع شخصيتها. ولكن من أجمل ذكريات حياتي تدريس الدكتور الغذامي، الذي فجر في أمل الإبداع الكتابي، ومن أجمل الذكريات أنني كتبت له رسائل بعنوان (فأرة المسك)، فكان أسلوب الدكتور الغذامي الذكي يذكرني بأسلوب أبي، فكنت أرى فيه الأب والأستاذ، فكتبت إلى الدكتور الغذامي وكأني أسير على شفرة سيف حاد حتى أستطيع الفصل بين الأستاذ الرائع والأب الرائع.

دمشق

كان أبي رحمه الله، بجانب أنه كان موظفا في رئاسة تعليم البنات، تاجرا يحمل البضائع من سوريا إلى المدينة. وهناك مشهد آخر عن طفولتي أظل دوما أشاهده وهو مشهد (دمشق) بجمال بيتها الدمشقي ورائحة الزرع والزهور وصوت خرير الماء وخيرات دمشق وصوت الباعة، وعربات الباعة المتجولين الذي كانوا يمرون ببيتنا الدمشقي، مشاهد كثيرة وجميلة كنت أشاهدها من نافذة البيت وأشتري منهم، عربة البندق، والفول المدمس...طقس دمشقي حينما أتذكر طفولتي أو شريطا يزاحم شرائط الذكريات حتى يسطو ويسيطر على ذاكرة الطفولة وجمالها.

كان الاجتماع في بيت جدي عبد الواحد هو ذاته يتكرر في دمشق، أهل أبي هنا وهناك، قد نجتمع كلنا أو بعضنا، قد نسافر مع أبي، أو أبي يسافر وحده ثم نلحق به أنا وأمي مع جدي عبد الواحد وعمي عبد الهادي، المهم أن هذا **الطقس الدمشقي** حاضر في مشاهد طفولتي.

البيت الذي كنا نسكن به في دمشق كبير جدا وجميل جدا، كل حجرات النوم تطل على أرض الديار، وأرض الديار حديقة داخلية للبيت تتوسطها نافورة ماء حفت بالزرع والورود، كنت أفتح عيني في الصباح على جنة الدنيا في دمشق، في بيتنا روضة من رياض الدنيا، يارب كما جمعتني وأهلي في روضة من رياض الدنيا اجمعني بهم في جنات النعيم.

أما خارج البيت أو البلكونة التي تطل على الشارع، فهي تطل على شارع سيارات، وملعب كرة ومدرسة وازدحام باعة متجولين، كنت أجلس

أنا وصديقاتي من الدمشقيات في هذه البلكونة، أحيانا نلعب، وأحيانا نتفرج ونتحدث مع المارة، وأحيانا نخيط بالكنفة، فهن من قمن بتدريبي على خياطة الكنفة، وهي التطريز على القماش بعد تثبيت الإطار الخشبي عليه، فتعلمت منهن بعض الغرز، وكنا نقضي الوقت في التطريز، تعلمت كيف تكون الحياة جميلة بتناسق الألوان، وتعلمت أيضا كيف أثبت الإطار بنفسي بعدما كانت أمي تثبته لي أو عمتي، اهتمام أبي بقطعة الكنفة زاد من ثقتي بنفسي، فأخذ (بابا) القطعة ووضع لها إطارا أشبه باللوحة، وعلق قطعة الكنفة في صدر البيت وكأنها من اللوحات العالمية، وبدأ يعلق الجميع على جمالها وفخامتها. فرحت كثيرا بالاهتمام، وتعلمت **لذة الإنجاز**؛ لأن تركيب الإطار هو سر نجاح الغرز، كنت في البداية يزعجني أنني لا أعرف تركيب الإطار، وبعدما انتهيت قال لي أبي حينها رحمه الله، من ضمن تعليمات هذا الفن تثبيت الإطار لتزيد الكفاءة، والانتهاء من العمل هو سر الاستمرار في النجاح، فعلمني كيف تكون النهايات الجميلة لإنجازاتنا التي تبدأ بالخوف وعدم المعرفة ثم نبدأ نبحث عن نجاحات أخرى ليقول لنا الآخرون (أحسنتم)، هكذا تعلمت مع صديقاتي في الشام.

كان غالبا ما يرد أبي على عمّيّ عندما يعلقان على تولعه بحب الشام قائلا بصوت فرح، (**الشام شامك لو الزمان ضامك**)، كنت أحب الشام ولكنني أحب تركيا أكثر، من أجمل المناظر التي رأيتها في تركيا ونحن نسكن في فندق الهلتون، العرائس وهن يلبسن فساتين الباليه ويرقصن في البحر، كنت أتمنى أن ألبس مثلهن وأرقص مثلهن، فخيطت لي عمتي مريم، فستانا مثل تلك الفساتين ولبسته في فرح (توتا)، لبسته أنا وأختها مرفت وكأننا عرائس من الأساطير، هكذا كنا نرى الجمال في دمشق أو في تركيا وتنفذه لنا عمتي مريم وتخيط لنا فساتين مميزة.

حياتنا في دمشق ساعدت على أن يكون عندنا أشياء لا تكون موجودة

بالمدينة، كما أننا في دمشق كنا نأكل طعاما مختلفا عن المدينة المنورة. كنا نذهب إلى (**الغوطة**) فأرى جنات الأرض، وبساتين تحيط بها الجبال من كل الجهات مكسوة بالخضار، وبها مياه خارجة من تلك الجبال، وكان يعزمنا أصدقاء أبي والعائلة في تلك القصور الدمشقية الرائعة، فنقطف من شجر الليمون، والجوافة، ونأكل من مشمش الشام ونأكل مما لذّ وطاب، وغالبا كل البيوت بما فيها بيتنا نصنع مربى المشمش، والنّحل يحيط سطوح البيوت كأنه حارس يمنعنا من لعق المربى، يمكن لجمال لون المشمش أن أرى ذكرياتي في دمشق زاهية بلون المشمش البهي، ساطعة في شريط حياتي كأنها شمس مطلة بجمالها.

وفي تلك البساتين وعلى (**نهر بردى**) كان يأتي الرجال الذي يلبسون الزي الدمشقي يشوون لنا اللحم ونأكل الكباب والمشويات. وكنا إذا جلسنا على نهر بردى يربط (عمي علي) أو أبي البطيخ الدمشقي بحبل ويرميها في النهر، فنأكل البطيخ باردا كأنه من ثلاجة، لم أذق مثل ذلك البطيخ في حياتي، وأجمل من طعم البطيخ، طريقة رميه في النهر وجلبه، حياة فيها مغامرات بين أبي وعمّيّ، مشاهد كثيرة حول ذلك النهر لا أستطيع وصفها يغلب عليها البريق، مثل بريق الفضة على نهر بردى.

كانت حياتنا في (دمشق) أشبه بنزهة تقرأها في قصة جميلة جدا جدا، أما النزهات الليلية فكانت إلى حي المهاجرين في (**جبل قاسيون**). كنا نجلس على سفح الجبل ونأكل الفول المدمس، ونسمع الحكايات الجميلة على أجمل إطلالة في الأرض.

لم يكن أبي يبخل علي أبدا بالشراء حينما نذهب إلى (**سوق الحميدية**)، فكنت لا أملك نفسي من شراء القبقاب والطربوش والدربكة الدمشقية والشطرنج، كان المشي في ذاك السوق أشبه ما يكون بأننا نمشي على أرض التاريخ، فتشاهد العجب العجاب، وتسمع العجب العجاب، كان أجمل ما في ذاك السوق القصص التي كان يحكيها أبي عن الأشياء، كنت أعجب بذكائه ومعرفته كل شيء، فعرفت سر معرفته كل شيء، كان مهتما بشراء الكتب من بسطات الأرصفة، وبشراء المجلات الطبية ودواوين الأشعار.

كنا نأخذ معنا من دمشق إلى المدينة المنورة المقدوس، واللبنة المستديرة، والزعتر، والفستق الأخضر، والبقلاوة، والبرازي، والبندق...إلخ هذه الأكلات لم تكن موجودة بالمدينة وقتها فنجلبها معنا للأهل والجيران. في دمشق عرفت طعم (البروستد) الذي ارتبط طعمه بدمشق، وكذلك مربى المشمش الحلبي، وكنت أشاهد أمي وهي تطبخ كل ملذات المطبخ السوري بإتقان.

كل تلك المشاهد الدمشقية في البيت الدمشقي، والطرب الدمشقي الذي كنت أراه في مسارح دمشق، ورأيت سميرة توفيق حينها وما زلت أذكر قبلتها حينما ألبستها عقد الورد، وما زلت أذكر حضن أبو صياح، وما زلت أتذكر حياتي هناك بلون أبيض وأسود أشبه بمسلسل (صح النوم).

معظم مشاهد سورية في عيني أراها باللون الرمادي، وبعض الصور أراها بالألوان، ولكن هذا المشهد أراه بالألوان القادحة، المائلة إلى اللون البرتقالي، كانت أمي وزوجة عمي علي (نائلة محروس رحمها الله) تجلسان بالصالة،

ولا أذكر وقتها من بالبيت، ثم دخلتُ غرفة أمي ووجدت الكبريت، وأخذته خلف الباب وأصبحت أجرب وأشخطه لأضعه في فمي، لا أعرف من أقلد في فعل ذلك، كنت صغيرة جدا، حاولت ثلاث مرات ولكن كان يحرقني عود الكبريت فأرميه على الأرض، اشتعلت النيران بجانبي، خفت ولم أعرف كيف أخمد النار، حاولت بالمخدة لكنها ازدادت اشتعالا، ثم انسحبت، وأغلقت الباب خلفي، ووقفت في الصالة، الباب كان في منتصفه زجاج، فيمكن لمن هو خارج الغرفة أن يشعر باشتعال النيران، وكانت الجدران ملبسة بورق الجدران بلون الزهر البرتقالي الجميل، فالورق ضاعف من اشتعال النيران، ولا حظ الجميع النار من خلف الزجاج. كانت قصة طويلة في إخماد النار تدخل فيها الدفاع المدني.

الجميل في موقفي هذا أنه بعدما انتهى كل شيء والحمد لله بدون خسائر في الأرواح، احترقت غرفة أمي بأكملها، وجاء دور المحاسبة والاعتراف، وقف المتهمون الثلاثة (حاتم ابن عمي علي، وجميل أخو نائلة، ومحمد علي ابن عمتي عيشة)، وسبب الاتهام أنهم كانوا في سن المراهقة، واتهموهم بأن أحدهم قد يكون قد ولع سيجارة وهو من تسبب في الحريق، لآ أنسى موقفي أبدأ، لا أعرف كيف تصرفت رغم صغر سني، صرخت باكية معترفة أنني أنا من أشعل النيران.

كنت في داخلي أخاف على ابن عمتي محمد علي أن يتهم ظلما بالحريق، في هذا الموقف اكتشفت أمل من الداخل، أنني استشعر المسؤولية ولا أخاف الاعتراف بالخطأ، وخصوصا حينما سيقع الظلم على شخص بريء، في ذاك اليوم دنوت من محمد وقبلته كثيرا فقد خفت عليه وكنت أدافع عنه وكأنني أم تخاف على ابنها؛ لأن عمتي لم تكن معنا في دمشق، ومحمد وحده مع والده وزوجة أبيه، لا أعرف كيف كانت عندي كل هذه المشاعر والفهم، لا أعرف كيف كنت أفهم أن (محمد علي) قد كان بحاجة إلى حمايته من ظلم الدنيا،

كان اعترافي بسبب خوفي على محمد، هذا الحادث كلما استعيده أعجب في موقفي كثيرا، فلم يشك بي أحد أنني أنا من تسببت في الحريق، ومع هذا أنا بنفسي اعترفت بالخطأ، وخالة نائلة رحمها الله قبل وفاتها بثلاثة أيام كنا مجتمعين عند أمي نواسي بعضنا بوفاة عمتي عيشة رحمها الله، توفت عمتي عيشة رحمها الله في ذي القعدة 1443هـ، وكانت خالة نائلة تتذكر ذكريات كثيرة عن حياتنا في دمشق، وذكرياتها معنا الجميلة، وتذكرت (**حادث الحريق**)، وأعادت الحكاية على السامعين بكل تفاصيلها، وأمسكت بيدي قائلة: كم أحبك يا أمل، كان هذا الكلام يوم الاثنين 1443هـ وتوفيت يوم الخميس في اليوم الذي كنا فيه على موعد لزيارة بيتي الجديد في المدينة المنورة، ولكن الموت سبق زيارة خالة نائلة قبل زيارتها بيتي رحمها الله وجمعني بها في الفردوس الأعلى.

المدرسة التاسعة

طفولتي حافلة بالدّعم والتّشجيع، لم يكن حظي كبيرا بين عائلة أبي فحسب، بل شعرت بتميزي بين أقراني، حينما دخلت المدرسة، أول يوم لي في الدراسة كان في (الابتدائية التاسعة) أوقفتني المعلمة وقالت لي: اقرئي هذه القطعة فقرأتها فصفق لي الجميع وألبستني سلسلة فيها جنيهات ذهب، وقالت لزميلاتي: أمل أصغر من عمرها القانوني؛ ولأنها بطلة وشاطرة وتقرأ جيدا، لن تدرس مثل الطالبات العاديات الصف الأول ولا الثاني ستدرس معكم مباشرة الصف الثالث، كم كان وقتها عمري؟ لا أعلم، لكن من في مثل عمري كان في سن الروضة.

أوّل يوم لي في الدراسة كان يوما استثنائيا أذكر كلّ تفاصيله، رغم أن ما علمته من أمي بعد ذلك، أن هذا اليوم كان حتى بالنسبة لها يوما استثنائيا وموضوع نقاش بينها وبين أبي. سأحكي ما علمته من أمي وأبي، ثم أروي ما شعرت به، وما أذكره أنا عن ذاك اليوم.

يبدو أنّ هناك نقاشا قد دارعند دخولي المدرسة بين والديّ أنا لا أعلمه، فيبدو أن أبي تواصل مع مديرة المدرسة، وتناقش معها عن السن القانوني لتسجيل الطالبة، والعمر المناسب لتسجيل الطالبة، وشرح لها (المستوى الدراسي) لابنته، وبحكم أن عمله في رئاسة تعليم البنات، فهو يعلم الأنظمة، بمعنى أن هناك نظام (مستمعة)؛ وهو يعني تسجيل الطالبة قبل السن القانوني للمدرسة وإذا اجتهدت تنجح، وكذلك نظام (التطبيق) بمعنى أن تدرس السنتين بسنة، وتجتاز الطالبة باختبار الكتب. المصدر في هذا أبي، فيبدو أن

هذا ما حدث لي عند تسجيلي في المدرسة، أن اجتزت باختبار دون دراسة؛ لأن مستواي التعليمي متفوق جدا بالنسبة لمن هم في عمري، ولا أعرف ما هو سر تفوقي في القراءة، في تلك الفترة، وقد تكون أمي هي السبب، ويمكن أن يكون التشجيع أيضا.

أنا بوصفي طفلة لا أعلم، ولكن من حولي هم من يميزونني فبعدها عرفت أنني متفوقة على أقراني، لهذا تم الاتفاق على أن أدخل المدرسة بحسب مستواي الدراسي ولا أدرس الصف الأول الابتدائي، ثم جلب أبي كتبا معه وأصبح هو وأمي يطلعانني عليها، فقرأت كتاب الصف الأول الابتدائي بأكمله سريعا وأذكر ما قرأت (قرأ - كتب - نبت - زرع - ركز - حصد... نامت - خاطت...تكوي - تخيط...) ما زلت أحفظها عن ظهر قلب، وأتذكر الصور المصاحبة للأفعال، وحينما كتبت هذا الترتيب في (جوجل) وجدت أنها مقرر الأول ابتدائي كما هي بالصور.

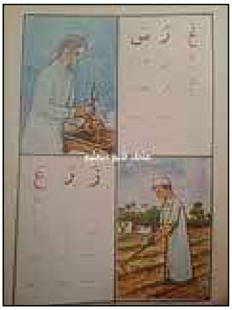

ثم أصبحت أقرأ مع أمي نصوصا للصف الثاني وقطع أناشيد، ويبدو أنهم أجروا لي اختبارا ورأوا أن مستواي في الصف الثالث، فاعترضت أمي لأن سني صغيرة جدا، وما زلت في سن الروضة، وخشيت عليّ من الصدمة، فاقترحت أمي أن أكون في الصف الثاني، ولكن مديرة المدرسة كان لها وجهة نظر، وترى أن مستوى الطالبة أعلى من الصف الأول، هذه التفاصيل أنا لا أعرفها، ومع الزمن عرفتها من أمي وأبي، ولكن سأحكي ما أذكره في ذاكرتي عن ذاك اليوم، كما أشاهده من صور في عيني وفي مخيلتي.

أرى ذكرياتي كما لو كانت صورا واضحة الرؤية يسهل علي استعادتها، لا أعرف إن كان الناس مثلي أو يختلفون، ولكن أرى الذكريات ملونة أحيانا، وأحيانا بالأبيض والأسود، هذا المشهد أراه رماديا، ولكن هناك ألوان واضحة لأشياء معينة، أتذكر أن أبي أوقفني أمام باب المدرسة التاسعة، وكانت المدرسة كبيرة جدا من الخارج، وأمام الباب جدار قصير يستر غرفة الحارس، لون المدرسة مشع فيه ضياء وردي مع الشعاع الأصفر النقي وجديد، لا أعلم اليوم أو السنة، ما أذكره جيدا كلام (بابا) الجميل، ووصاياه الجميلة، هو من جعل ذاك اليوم جميلا في حياتي، حيث أشعرني بأنه سيخصني بشيء جميل في هذا اليوم، ثم أخرج لي ريالا لونه أحمر، وقال لي هذا أول يوم لكِ في المدرسة، وهذا الريال الجديد للبطلة. نظرت إلى الريال وأعجبني لونه وشكله الجديد، كأنه مكوي من جماله، وابتسمت شاكرة وقلت شكرا يا (بابا)، ثم ابتسم وقال لي هل تعرفين صورة من على الريال؟، قلت له: الملك فيصل، قبلني (5 قبلات) وهي قبلات (بابا) المشهور بها لكل أبنائه بعد ذلك، يقبل خمس قبلات متتاليات ويضغط بالقبلة الأخيرة وكأنه يشمها، وقبلة عمتي مثل قبلته تماما، نعود إلى الريال المشرق باللون الأحمر، وابتسامة الملك فيصل التي رأيت فيها ابتسامة الدنيا، وخفت على الريال أن أطويه من جماله، وشغلني الريال الجميل، وعليه صورة الملك فصيل الأجمل، وأن يخصني بابا

بهذا الريال شعرت بخصوصيتي، وكأنني أملك الكون بهذا الريال، وكان هذا الريال أجمل ريال في حياتي.

رأى أبي في عينيّ الفرحة، فلم ينزلني من السيارة حتى ألقى السلام على بواب المدرسة، وقال له: هذه ابنتي أمل سأعود لأخذها لاحقا، انتبه عليها، واستدار علي وقال: لا تخرجي إلا عندما أعود إليك وينادون اسمك، ممكن اليوم لأنه أوّل دوام لك سيخرجونك اليومَ مبكرا: سأعود إليك عند الحادية عشرة تقريبا، اذهبي للمديرة وقولي لها: أنا أمل ابنة محمد عبد الواحد، أو اصعدي لتوتا في صفوف المتوسط، و(توتا) هي فاطمة ابنة عمتي مريم.

سمعت كلام أبي ودخلت المدرسة، كانت مدرسة كبيرة جدا، وأمامي معلمات يقدن طوابير الطالبات، وبيدي ذلك الريال الأحمر، وسألت عن المديرة، وجاءت المديرة وأخذتني من يدي وأنا أنظر إلى الطوابير الكثيرة تسير أمامي مثل صفوف القطار، لا أعرف إلى أين تتجه لكثرتها، لم أستوعب ما كان يفترض علي أن أفعل، وفجأة، وجدتُ نفسي في فصل كبير جدا وعرفت المديرة بالمعلمة، وقالت هذه المعلمة (رسمية)، رحبت بي المعلمة وأول شيء فعلته، قالت هذه الطالبة اسمها أمل وهي بطلة وستقرأ أمامكن نصّا من كتاب المطالعة.

وجدت نفسي أمام كتاب المطالعة وقرأت القطعة كاملة، وطلبت الأستاذة من الطالبات أن يصفقوا لي، ثم ألبستي عقدا عليه جنيهات، ثم جلست. فرحت كثيرا بهذا الترحيب وتصفيق البنات، ولكنني شعرت بعد ذلك بشيء من الملل، فخرجت من الفصل، ولا أعرف كيف خرجت! هل استأذنت؟ أم خرجت هكذا؟ وأصبحت أتجول في المدرسة، وكأنني أتعرف إلى المكان، وصعدت إلى الدور الثاني أو الثالث، لا أتذكر، فإذا بحاجز يفصل طالبات المرحلة المتوسطة عن الابتدائية، فقلت للمعلمة، الواقفة على الحاجز: أنا أمل ابنة محمد عبد الواحد، هل يمكن أن أكلم (توتا)؟

يبدو أن (توتا) كانت مشهورة فماهي إلا دقائق وكانت (توتا) وصديقاتها عند الحاجز، سلموا علي، ورفعت الريال (لتوتا) لتشاركني الفرحة، وقلت لها متى نذهب للبيت حتى أشتري بالريال؟، فقالت ما زال الوقت مبكرا على الخروج، وإذا جاء خالي (إبراهيم) أخذتك معي، تقصد عمي (إبراهيم)، فبيت (توتا) كان مجاورا لنا تماما، فأشرت لها برأسي موافقة (طيب) ونزلت، ووجدت نفسي وقد مللت من المدرسة، فاتجهت نحو الباب، وإذا بالبواب جالس ومعه رجال يشربون الشاي، فرحب بي، فقلت له: أنا أمل ابنة محمد عبد الواحد، وقال لي: والنعم وسبعة أنعام بالبطلة وأبيها، وأضاف: ما زال الوقت مبكرا يا بنتي، ادخلي وإذا جاء والدك ناديتك.

لا أعرف كيف خرجت! هل أنا غافلته؟!، ولكن لا يبدو لي ذلك، لأنني خرجت بكل ثقة، وهو يحسبني قد دخلت، إلا هنا، ماذا حدث بعد خروجي لذلك الحارس مع أبي، لا أعلم، هل جاء أبي وسأل عني ولم يجدوني، أيضا لا أعلم، ما أعلمه هو أنني كنت مشغولة بالريال فيما يبدو، وخرجت لأشتري به، وأصبح هذا التصرف (الجرئ) غالبا مكرورا في حياتي. وحينما أكون في مكان ما، وأجد فيه الثناء والمدح، ثم بعد ذلك ما ألبث أن أمل من الروتين وتتملكني الرغبة في الخروج إلى مكان آخر للتجديد.

خرجت إلى الشارع وأنا استشعر فرحة المديح، وفرحة التصفيق، وفرحة العقد، وفرحة الريال، ولكن فرحة الريال هي التي غمرتني أكثر، فلم تكن فرحة الريال لأنني أستطيع أن أشتري به، فعندي ريال رمادي آخر، ولكن فرحتي بالريال الأحمر؛ هي بسبب أن (بابا) أخبرني أن هذا الريال قد صنع من أجلي، لأني في أول يوم أذهب إلى المدرسة. كم كان أبي ذكيا جدا فقد استطاع أن يضحك علي ويشعرني بأنني شيء كبير في هذا الكون، وأنني مهمة إلى هذا الحد، ليصنع هذا الريال من أجلي، فاكتشفت حاليا أنه كان يرغِّبني في العلم، ويزرع في نفسي الثقة أكثر، فلأنني بطلة وشاطرة فهذا ما يستحقه

(الأبطال)، أنا لا أعلم هذه الأمور وقتها، ولكن شعرت بأنني شخص مهم يحتفي بي العالم ويصنعون من أجلي ريالا لأول يوم في المدرسة.

المدرسة التاسعة في السيح، وحتى أصل بيتنا في باب الكومة، أعتقد أن المسافة بعيدة جدا على طفلة مثلي، وطريق السيح فيه طريق عام للسيارات وحتى أتوجه إلى باب الكومة فيه خطورة. سرت وحدي، معي شنطة ولكن لا أعلم ماذا بها، مشيت الطريق، وتخطيت السيارات، حتى وصلت بيت صديقات (توتا) وهم جيراننا لذلك عرفت البيت، وهذا البيت معروف حتى الآن، كان وقتها يعرف ببيت الشنقيطي، وهو والد الشيخ محمد المختار الشنقيطي، وهو قريب من بيتنا جدا، ولكن كان يفصل بيننا دوار صغير، ففكرت أن أشتري بالريال قبل أن أذهب للبيت، فبيتنا أمام المدرسة الناصرية تماما، بيتنا على البوابة مباشرة، ولكن احتاج أن أقطع طريق السيارات لأشتري من البقالة الموازية للمدرسة الناصرية، فقاومت الخوف وقطعت طريق الدوار القريب من بيت الشنقيطي، وفزت بالوصول إلى البيت، وفي بيتنا بقالة هي حجرة مأخوذة من بيتنا دكان (عم مصلح)، والفرصة جاءت لأشتري من عم مصلح بالريال، سألني عن سبب وجودي لوحدي في الشارع، ويريد أن أحكي له من أين لي بالريال، ويبدو أن الريال وقتها كان جديدا لا أحد يعرفه، أو لم يكن قد تداوله الناس، وطرق عم مصلح الباب على أمي لتفتح لي، كان عم مصلح مشغولا عن سبب وجودي في الشارع، وأنا مشغولة بالريال.

فتحت أمي لي الباب، وانطلقت إليها حتى أحكي لها عن الريال، سألتني عن (بابا) وعن يومي في المدرسة، كنت أخلع ملابس المدرسة وأحكي لها عن هدية المعلمة، وكيف جئت وحدي دون خوف، زادت أمي من تشجيعي، وسمحت لي أن أشتري بالريال، ببسي من عم مصلح وأعزم عليه صديقتي (إلهام درار) وبقية البنات، خرجت إلى الشارع وأنا أملك الدنيا، بالريال الأحمر، اشتريت الببسي، وأمي في الروشان تراقب فرحتي، الببسي كان

يباع بقوارير زجاج، فأمي علمتني حركة زادت من فرحتي، قالت لي اختاري حجرة صغيرة جدا، وأرميها في الببسي فسوف ترينه يفور، فاخترت الحجرة ورميتها بالبيبسي وأصبح يفور ويتدفق ونحن نشرب منه بفرح وانتهى المشهد بفرحتي وأمي وأبناء الحي، ومن هنا تعلمت مشاركة فرحتي الآخرين، وأعزم كل الناس الذين أحبهم ليشاركوني الفرحة.

ولكن ما أذكره وأزعجني جدا جدا من كتب المطالعة في تلك الفترة، لا أذكر لأي مرحلة (نص الفتاة التي اسمها فريدة أو بدرية) أظنه في الأناشيد، أو (المحفوظات)، كانت أمي تغنيه باسم بدرية، واستمرت لسنوات، وتستعمله تحديدا في تربيتي للترتيب، وحتى الآن أمي تردد ذلك (النص) بشكل أنشودة، وكان ذلك النص من روتين أمي اليومي، إذا أرادت تفتيش غرفتي، أو رأتني

أبحث عن شيء ضائع تغنيه، الموقف الذي تبنته أمي من بعض تلك النصوص وأحبته وأصبحت تزعجني به جدا. يزعجني ذاك النّص، واستغرب وجود مثل هذه القطعة في مدارس التعليم ولي عليه تحفظ، أو يمكن أن موقف أمي جعله نصا غير لائق بكتب التعليم من وجهة نظري؛ لأن أمي أصبحت تغنيه دائما، وخصوصا حينما تريد إغاظتي، أو تذكيري بالترتيب:

كانت فتاة اسمها بدرية..... أ.....م....ل

في معهد البنات جدا غبية

كنت أراها كل يوم باكية

ومن عقاب الأم دوما شاكية

ذلك أن الكتب والأقلام

تغيب عن أعينها دواما

فرتبي كل شيء موضعه

تجديه دوما مسرعة

لا أعلم هل البنات اللاتي من جيلي ربتهن أمهاتهن على الترتيب بهذا النّص، أم أن أمي وحدها من استطاعت أن توظف الكتب المدرسية في التربية؛ لأنها قريبة مني جدا؟!

العنبرية

في مرحلة الابتدائية انتقلنا إلى العنبرية، ووكانت لنا حياة جديدة بالقرب من أهل والدتي، حياة أخرى وثقافة أخرى، وإن كنت قد حظيتُ بحب الأعمام والعمات في المناخة، فقد حظيتُ بحب الخالات والأخوال في (العنبرية) حي المغيسلة، وفي هذا الحي حاليا ميدان من أجمل ميادين الدنيا في عيني، يضم محطة السكة الحديد (الاستسيون)، في هذا الميدان لعبت مع أولاد خالتي أمنة الذين كانوا هم أخوتي، لعبنا وركضنا وأكلنا وشربنا وعشنا أياما كأننا ملائكة تطير في السماء (العنبرية)، كم شربت من ماء النافورة التي أمام مسجد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ووقتها كأنها من نبع عسل صافٍ، وحاليا لو أن أحداً قال لي ألمسيها بيدك ما استطعت.....قضيت بقية طفولتي في العنبرية حتى تزوجت وانتقلت إلى المنطقة الشرقية.

وقد أصبح حاليا باب العنبرية **حي المغيسلة** معلما حضاريا ومن ضمن المباني التاريخية، والمواقع الأثرية التي يزورها زوار المدينة المنورة بقصد التعرف على تاريخ أهم أبواب المدينة الذي يستقبل الركب المكي القادم لزيارة المدينة المنورة، وفيه بيت سكينة بنت الحسين وبئرها، وهذا المكان يضم جزءا كبيرا من تفاصيل حياتي.

وبعدما انفصلنا عن بيت جدي في بيت مستقل في حي واحد يجمع أهل (والدتي) يبدأ صباحي بصوت فيروز وصوت صفير (أبي) مدندنا مع فيروز وبيده (لي) يرش الماء في حوش البيت وأمام البيت، ويتبع هذا الطقس الصباحي فطور عائلي يجمع أهل والدتي من الجدة (أمي غيثة) هكذا كل

الحي يقول لها، وهي جدة والدتي، والخالة (آمنة) وزوج خالتي (علي) وأبناءها، ظل هذا الطقس يلازمني في مشاهد حياتي الصباحية في العنبرية، أما القهوة المسائية عند أهلي فهي بعد المغرب مباشرة بحضور خالي حسن وأبي بالرضاعة الذي غالبا ما يمازحني وأمي بقول (هيل زيادة).

خالي حسن رحمه الله وعم علي رحمهما الله

لهذا البيت قصص كثيرة وعجيبة، نسكن فيه، ثم نخرج من العنبرية، ونسكن مكانا آخر ونعود إلى العنبرية، أكثر من أربع مرات نترك العنبرية إلى بيت آخر ونعود إليها، ولدت كل أخواتي الثلاث في العنبرية (فاطمة وغصون ووديان) وأخي الوحيد عبد الواحد، وتزوجنا في هذا البيت كلنا، وأنجبنا أولادنا فيه، وحاليا خرجنا منه، ولا ندري من يعود إليه، ففيه مغناطيس يشدنا إليه كلما بعدنا عنه.

وباب العنبرية حاليا لا يبعد عن الحرم (المسجد النبوي) كثيرا ويمكن السير إليه على الأقدام، على العكس حينما انتقلنا إلى العيش فيها وبنينا مسكننا الجديد فيها، كنا في المناخة نسير على الأقدام إلى الحرم، وفي المناخة صخب الحياة، ثم تسير إلى مسجد الغمامة، فتجد كذلك مرافق الحياة، وحينما تصل بعدها باب العنبرية تجد ضجيج الحياة، ثم خلفها تستكشف حياة أخرى غير التي تراها في الواجهة، حينما أقول حياة أخرى يعني حياة منقطعة عن مرافق الحياة تماما حينها، وما أصفه عن بيتنا في المغيسلة بعد باب العنبرية يبعد عنها فقط مسافة ما يقارب ستين مترا.

حاليا بيتنا في العنبرية نطل منه على الميدان مباشرة، ولكن ما أصفه وقت انتقالنا إلى المغيسلة شيء أشبه بالخيال ولا يُصدق، تدخل الشارع الرئيس الذي يؤدي إلى حي المغيسلة فتندهش، تنقطع الإنارة تماما، ثم يواجهك في البداية بستان وفي وسطه بيت على الطراز التركي، ثم تتوغل فتجد بيوتا متراصفة صغيرة جدا، فيما بعد تعرفنا عليهم وهم سكان هذه المنطقة من بدو المدينة الأصليين، (الصاعدي والحجيلي والمغذوي والحازمي... إلخ)، ثم

تواجهك ساحة كبيرة من تراب ناعم أشبه ما يكون بالتراب الذي يُصنع منه الفخار، وبعد بيت غازي صابر (بيت أبو شجرة) ينقطع بعدها الإسفلت تماما.

كنا نسير في ذاك الخط وكأننا في مطبات ملاءٍ، كانت أمي حاملا بأختي فاطمة، وأبي خائف عليها من المطبات، فيقول عم علي: (العالق عالق يا محمد...)، فيهون على أبي من خوفه على أمي، المسافة حاليا قصيرة، ولكن وقتها كانت تطول لوعورة الخط، وأنت وحظك مطبات ثم حجارة ثم تراب ثم جبال بركانية كأنها أسنان سكاكين، ثم تقف بين جبال صغيرة من حجر بركاني أسود، أمامك طلعة كبيرة جدا من حجارة بركانية، ثم ترى بيتا شعبيا صغيرا من دور واحد صغير، وأمامه أرض ويشير بابا قائلا: هذه الأرض أرضنا والتي سوف نعمر عليها بيتنا الجديد، والبيت الصغير هو بيت (خالتي آمنة)، حياة منقطعة تماما لا يوجد غير بيت خالتي، وبيت بعيد جدا في الطلعة تبدو منه أنوار خافتة، وهو البيت الوحيد الذي فيه إضاءة، وقال (عمي علي رحمه الله) زوج خالتي، يا محمد هذا بيت الزهراني أبو يحي الذي يمد لي سلك الكهرباء وأنا أوصل لك من عندي الكهرباء، لكن يا أبا أمل توكل على الله ونحن نعين ونعاون، ومن أحاديثهم فهمت أن هذه المنطقة المنقطعة سيصبح لها شأن بكرة بعد أن ينزح كل أهل المدينة إليها.

ما أذكره في ذاك المكان وقتها، جبال من بركان أسود، وصوت الكلاب، ثم يصرخ صوت الديك، وتمازحه أمي مقلدة صوت الديك فيصيح بعدها، وفجأة مثل لمح البصر وجدت نفسي أعيش حياة جديدة ومختلفة تماما عن **المناخة**، تعمر بيتنا بسرعة، وأنا أنظر إليه من بيت خالتي كأنك ترسم لوحة بيت وحيد وخلفه جبال بركانية سوداء، وأثناء تعمير البيت شاركنا خالتي في المسكن في بيتها، وكان زوج خالتي (عمي علي) فلاحا، ففي بيته، الحوش الخلفي بركة ومزرعة، وكان رحمه الله صاحب نكتة ويحب الغناء ويشجع أولاده على لعب المصارعة، (غسان وأيمن ونزار وشوقي، وسوزان، ومجدي)

أنا الابنة الوحيدة لأمي وأبي وأصبح كل أولاد خالتي أخوتي، فأعطتني الحياة أخوة إلى جانب أخي محمد نزهة، فشاهدت معهم حياة جميلة وجديدة، كلها مغامرات في الفلاحة والزراعة والسباحة.

ثم أشترى جدي عبد الواحد قطعتي الأرض التي بجوارنا، ثم اشترى زوج عمتي مريم الأرض التي تليها، تعمرت البيوت في **المغيسلة** التي كانت عبارة عن حجارة من بركان أسود، وبدأ العمران يحل محل حجارة البركان الأسود، ولكن البيوت هنا الشكل العمراني لها مختلف عن المناخة فأغلبها بيوت من دور واحد أو عمائر، وبيتنا البيت الوحيد الذي فيه أحواش أمامية وخلفية، ثم أصبح حولنا جيران يعمرون بسرعة البرق، وأمامنا مباشرة بيت (خالي خلف) خال والدتي، ومعه جدة والدتي (أمي غيثة) وخالي خالد.

بعدما كثرت البيوت حول بيتنا أصبحنا نلعب في الشارع ولكن في الصباح الباكر، فكنا في المساء نخاف الخروج من بيتنا إلى بيت خالتي خوفا من صوت الكلاب، والعجيب أننا كنا نجد أسلحة وذخيرة مطمورة بين التراب، وكذلك قنابل صغيرة، وكنا إذا لعبنا بها، يصرخ أبي علينا محذرا من اللعب بالقنابل، (لا تنفجر في وجوهكم)، والعجيب أنها كانت كثيرة، ورغم أن القنابل كانت ثقيلة ومتعددة الأشكال بعضها دائري أشبه بكرة البولينج، وبعضها طويلة، والقنابل الطويلة رغم ثقلها كنا نحملها أنا وملاك وإيمان وسوزان ابنة خالتي على أنها (نونو) يعني أي طفل لنا نحمله، ومع تكرار تحذير أبي منها، سألته ما هذه؟، فشرح لي قائلا: إنها أسلحة من الزمن التركي، كانت هنا في **السكة الحديد،** كان هنا مبنى **الكلية الحربية** في العصر العثماني، التي هي حاليا مدرسة طيبة، فكان الأتراك يتدربون بالأسلحة، وباب العنبرية أحد أبواب المدينة القديمة، وهذه المنطقة تحديدا كان الدخول إليها صعبا؛ لأنها محمية طبيعية بالحجارة البركانية فلم يسوروها بأسوار المدينة، وكان الأتراك يدسون الذهب والنقود تحت الأرض وفي المزارع.

كنا نتحلق حول أبي وهو يحكي لنا تاريخ المكان، وغالبا ما يقول له أخوانه بعدما سكنا في المغيسلة حينما يقبل (**أمير المغيسلة**)، لأسباب كثيرة منها: أنه يحكي لنا تاريخ المنطقة، ولأن له بطنا كبيرة تتقدم المشلح حينما يلبسه، فكانت البطن الكبيرة كما سمعت من أبي تدل على الثراء والنعمة، وكان لرجال الحارة (برزا) وهي مكان مرتفع مثل الدكة مسورة بسور قصير جدا بارتفاع طوبتين، كان رجال الحارة يتجمعون فيها، وكانوا يطلقون على أبي (أمير المغيسلة)، وكانوا يمازحونه. أقبل أمير المغيسلة وبطنه أمامه، فيقول أبي: مال حرام، فيقولون والله لك هيبة أمير المغيسلة ببطنك، فيرد أبي ضاحكا ويغير كلامه، البطن جاه، والانتفاخ حكمة وقراءة كتب.

وبعد نصح أبي لنا بعدم لمس الأسلحة سمعت كلامه ولم أعد ألعب بالأسلحة، ولكننا كنا دائما نلعب ونبحث عن الكنز المدفون، وغالبا ما كنا نجد نقودا مرمية في الطريق، وهي غالبا ساقطة من الناس المارة، ومن سذاجتنا نحسبها الكنز المدفون، ولكن لم تكن هناك بقالة أو دكان للشراء بهذه النقود أبدا، فكان نزار ابن خالتي هو من يتكفل لنا بالشراء من بقالة بعيدة في نزلة الجبور، فيذهب يشتري لنا بعد أن ندفع له العمولة، وكان يقص أظافره على شكل مثلثات لتكون له حماية من أولاد البدو، فغالبا لا يسمح أولاد البدو للغريب أن يمر أمام بيوتهم، وبينما ينكبون عليه بالضرب يخوفهم بأظافره الحادة، وهذه الحركة دهاء منه لحمايته من أولاد البدو.

أصبحنا نسكن في بيوت متجاورة لأقاربنا من أهل أمي، وكذلك عمي عبد العزيز سكن بجوارنا وشاركنا بيتنا في المسكن حتى ينتهي من إعمار بيته، فأصبحت ألعب مع أبناء عمي (معتصم ومعتز ومنتصر وفتحية)، كل البيوت كانت صغيرة المساحة ماعدا بيت جدي عبد الواحد كانت مساحته أكبر من بيتنا، ولكنه لم يسكن فيه، أجّره مستودعا لمحمد عبده للأواني المنزلية، ولهذا البيت ذكرى جميلة في بيتنا إلى الآن، فكلما جاء العمّال يحملون بضائع إلى

محل محمد عبده بقباء، كنت أطلب من العمال أن يفرجوني على البضاعة، فأنتقي منها لأمي وأشتريها من مصروفي الخاص، وما زالت أمي تحتفظ بالأواني المنزلية التي كنت أشتريها لها وأنا طفلة مثل (براد الشاي) الذي بقينا نشرب منه الشاي من تلك السنوات وحتى الآن، وكلما صببنا منه تقول أمي لأحفادها: هذا البراد اشترته أمل لي من عمال محمد عبده وهي صغيرة، كانت في الابتدائي. تعلموا كيف تحضرون لي هدايا مفيدة.

الجميل أننا لم ننقطع عن أهل أبي بعدما انتقلنا للسكن في المغيسلة، فأصبح الجميع يتجمع عندنا، وغالبا يبيت جدي عبد الواحد عندنا بالأيام ويتردد بين بيته بالمناخة وبيتنا في المغيسلة، ثم نقل بيت جدي إلى المالحة في أول قباء لأنه أصبح إمام مسجد (الكاتبية)، فأصبح بيت جدي عبد الواحد قريبا منا، وقريبا من مدرستي (الابتدائية الثالثة والعشرون)، وكنت أذهب إلى بيت جدي عبد الواحد قبل الذهب إلى بيتنا، وغالبا ما أصادف جدي قادما من المسجد وبشته على يديه، يحمل مظلة سوداء ويضع على عينيه نظارة سوداء، فأركض عليه لأحضنه وأشاركه المظلة، ويحمل عني الحقيبة أو يعطيها من كان يمشي معه.

كان أبي يأتي ليأخذني من المدرسة أو من بيت جدي عبد الواحد ثم أصبح بعد إلحاح شديد مني يسمح لي بالمشي ظهرا بعد الصرفة مع البنات متجهة إلى بيتنا بالمغيسلة، نمشي زمرة بنات، بعضهن ما زلن صديقاتي إلى هذا اليوم، وهن: (فليز محمد التركي، وأمال العمري، وإيمان المغذوي.....)، وحينما نمشي كنا نمر على بيت جدي صالح والد أمي، فأسلم عليه، ويطعمني أكلة لم أذق مثل طعمها (التقالة) وهي أكلة عبارة عن أرز أحمر بالطماطم، ونمر على مدرسة محمد نزهة. وذات مرة وأنا أسير في الطريق، رأيت محمد نزهة، فأشرت إليه بيدي وركض نحوي، فطلبت منه أن يسير معي إلى بيتنا، طبعا محمد نزهة دون تفكير، وافق لتأثيري الشديد عليه، وحبي الشديد له،

فأظن أنني كذبت عليه، قائلة: (بابا) سيخبر عمتي أنك معي، وكذبت على أمي أن عمتي تدري أن محمد معي، نسيت زمرة البنات، ومشيت مع محمد نزهة ونحن نخطط لتحضير لعبة الشطرنج، وأظن أن حركة الصبيان هذه أحدثت مصيبة في بيت عمتي وجدي عبد الواحد، لأن عمتي لم تعرف أن ابنها عندنا، وهي ما زالت تتذكر الموقف، وتضحك على المصيبة التي أحدثتها في بيتها.

أصبح هذا الطريق مع الأيام من المدرسة إلى بيتنا طريقا آمنا للتمشي ورؤية الأقارب برفقة زميلاتي، وأصبح هذا البيت أشبه بفيلا يتجمع فيه أحبتي من أهل أمي وأبي.

كان لهذا البيت مكانة خاصة في نفسي، فكنت أرى أمي تساعد أبي في بنائه بيدها، ويصبغان جدرانه بالدهان مع العمال، ويبنون أسوار الحوش معا، ويركبون الأبواب والنوافذ. لقد بنوه في الحقيقة طوبة طوبة.

كانت أمي حاملا بأختي فاطمة أثناء تعمير هذا البيت، وكانت أمي في شهرها الأخيرة وهي تساعد أبي بنشاط، ولدت أمي في هذا البيت الجميل أختي فاطمة، ففرح أبي جدا وأسماها فاطمة على اسم والدته، وفرح الجميع بفاطمة، وفرحت أنا أكثر؛ لأنني ولأول مرة يصبح لي أخت شقيقة من بطن أمي، فأصبحت مهووسة بها، أريد تقبيلها وحملها وأريدها أن تكبر سريعا حتى تلعب معي، وعشت مع أختي فاطمة أجمل ذكريات الأخوات، وكنت أسرح لها شعرها بطريقة تميزها على طريقة هند في مسلسل (هند والدكتور نعمان)، فكان أبي يبيع في محله الخاص بالأطفال شرائط شعر وبكل الألوان، فكنت أضع لها تارة فيونكة الشعر باللون البرتقالي، وتارة فيونكة الشعر باللون الأصفر، وتارة فيونكة الشعر باللون الأبيض. كان عندنا علبة شرائط بكل الألوان، وبهذه التسريحة تميزت طفولة أختي فاطمة، التي تشعرها بتميزها وباهتمامي الشديد بها وبجمال شعرها.

وكان لفاطمة معزة خاصة لأنها تحمل اسم جدتي فاطمة العامرية التي

لم نرها جميعا، حتى أبي عاش يتيما لا يعرف أمه، وبعدما كبرت فاطمة قليلا، يفاجئنا جدي عبد الواحد بتقبيل أنامل (تومي) هكذا كنا ننادي اسمها باسم الدلع، ويقول لنا: (تشبه فاطمة العامرية زوجتي أم محمد ومريم)، كنت سعيدة وأنا أسمع من جدي عبد الواحد أن أختي فاطمة تشبه جدتي (فاطمة العامرية)، وكان جدي عبد الواحد يقبل كل يوم يد أختي فاطمة عشرات القبل. وكذلك أبي فرح أن ابنته تشبه أمه، لأنه لا يعرف شكلها إلا بالوصف.

أصبحت المناسبات السعيدة تقام في هذا البيت، لأن فيه حوشا خلفيا وأماميا، ومن بين المناسبات سابع أختي فاطمة، وأجمل حفلة نجاح لي من الصف الثالث إلى الرابع ابتدائي. في هذه الحفلة حمل (عم أسامة سلامة) صديق بابا الكيكة نيابة عنه، وهذا الدور الذي كان يقوم به هذا الصاحب طوال حياة أبي وبعد مماته رحمه الله، وما زال عم أسامة معنا في كل المواقف يمثل وجوده وجود صديقه محمد عبد الواحد، وهو الصديق الوفي الذي وقف معنا

في كل مناسباتنا السعيدة والحزينة والصعبة، وفي هذا المقام أذكر نصيحة أبي رحمه الله (احفظ ود أبيك) فغالبا ما كان يقول لنا: احفظ ود أبيك، وعم أسامة ودّ أبي.

في بيت العنبرية كانت الاستعدادات السنوية لإفطار الصائم في رمضان الخاص بجدي عبد الواحد في (**الروضة الشريفة**) في المسجد النبوي، وهذه الاستعدادات تكون في بيتنا في العنبرية، ويخزن التمر المجلوب من الزلفي والقصيم في بيتنا، وكانت عمتي عيشة تقترح أن توضع أكياس التمور القماش على الأسرة الحديد، ثم ترفع أرجل الأسرة ويوضع تحتها طشت مليء بالماء، حفاظا على التمر من النمل، فيساعد عمّاي عمتي، مادحين ذكاءها.

وتحضر أمي (الدقة) بنفسها وبمساعدة عماتي، الاستعدادات السنوية في تحضير إفطار الصائم لجدي، كانت في بيتنا احتفالا أشبه بالعيد ننتظره نحن الأطفال وكل جيراننا في العنبرية. عمتي عيشة تخبز الفطير على التنور، وعمتي مريم تطبخ الذبائح بمساعدة أمي وعمتي زينب. أذكر ذات مرة أن أبي أحضر قدورا كبيرة من بيت خاله (عيد دغيليب العامري) ومن كبر القدور دخلنا بها أنا ومحمد نزهة وشوقي في إحداها، فكان أبي يضحك ويقول يعني بنجهز أربعة خرفان وثلاث ذبائح (يقصدنا) ونحن داخل القدر.

في هذا البيت لعب أبي وأخوته وكادوا لبعضهم المقالب، إما بالرسم على وجه النائم منهم بالفحم، أو ربط رجل أحدهم بحبل فلا يستطيع الوقوف، وإما بوضع الحبوب المسهلة في شاهي أحدهم ليضحكوا بعدها على المقالب، كم سمروا؟ كم ضحكوا! لم نشعر بالفرق كأننا في بيتنا بالمناخة، كم سمعتْ كركرات الضحكات كما سمعت شهيق البكاء، في هذا البيت كما سمعتُ صوت غناء أبي وسمعتُ شهيق بكائه، سمعتُ ما يخبر به عن مشاعره وأحاسيسه المحروقة، على قدر صغر سني، حاولت مواساة أبي في أصعب موقف رأيته فيه وهو يبكي.

كان البيت مزينا بالإكسسوارات النحاسية الدمشقية، كان في الحوش الأمامي على مدخل البيت مرآة نحاسية كبيرة، كان يجلس أبي ويسمع صوت فيروز في الصباح، ويرش الحوش وأمام البيت في الممر بين بيتنا وبيت جدتي أمي غيثة، وكان في الحوش خزان طلبت من أبي أن يجعله لنا بركة نسبح فيها كما كان لبيت خالتي آمنه بركة في بيتهم، فكنا نسبح أنا وخالتي نور أحيانا، هذا المشهد الصباحي لأبي يتكرر يوميا وعلى الضحى قبل ذهابه للعمل. وكانوا يجتمعون للإفطار في بيت جدتي أمي غيثة، وأمي وأبي وأنا وخالتي وزوجها وأبناؤها، ثم يتفرقون لأعمالهم، وكان زوج خالتي فلاحا يذهب للفلاحة.

وحدث ذلك الموقف الذي جعل أبي يكره هذا البيت ويطمره ويدفن معه أحزانه! في يوم من الأيام وكان يوم جمعة، كنت أنا في بيت عمتي مريم، وغالبا ماكنت أبيت عندها وحدي، فأنا بمثابة ابنتها، وفجأة، قبيل أذان الظهر، يدق جرس الباب ببيت عمتي، فإذا به (خالي ناصر) يخبرني بأن أمي وأبي يريدانني حالا في البيت، ويلمح إلى أن هناك مصيبة تنتظرني فلا تخافي؟!

كنت أسأل خالي، ما هي المصيبة، قال: مجدي أظنه سيموت، غرق في بيتكم، وأخذوه سريعا إلى المستشفى، وقالت أختي آمنة، اذهب واحضر أمل من بيت عمتها مريم، ولا تخبرها ولا تفزعها. حقيقة، وقتها كنت لا أعرف ماذا يعني الموت، أصبحت أركض خلف خالي ناصر وحتى وصلنا بيتنا، رأيت دائرة ماء كبيرة أمام البيت، فأشار خالي ناصر قائلا: (هذه الموية من أمعاء وبطن مجدي)، ضغطوا عليه لينقذوه، ولكنه لم يتحرك، أخذني من يدي، وصعد بي إلى الدور الثاني في بيت خالتي آمنة، فإذا نساء كثيرات يلبسن العبي ويصحن، وخالتي لابسة أحمر، صاحت قائلة عندما رأتني: (جبتوا أمل جيبوا أمل هي من كانت تحبه)، وتصيح قائلة مجدي مات يا أمل، حضنتني خالتي بكل قواها حتى أنني سكنت بين ضلوعها، كنت أشعر بكل أحشائها تتحرك مع البكاء، جلست مدة طويلة في حضن خالتي لا أعرف مدتها، ولكنني تعلمت مع ذاك البكاء ما معنى الموت!

عرفت الموت، وعرفت أبي في ضعفه في تلك الأيام التي أعقبت موت ابن خالتي مجدي، مضى على موته ما يقارب ثلاثة أشهر، وهو لا يستطيع أن يستعيد توازنه. من العجيب أن زوج خالتي علي والد مجدي هو من كان يُصبر أبي ويسانده ولم يدخل أبي بيتنا بعد موت مجدي فيه، ثم مرض جدي عبد الواحد فجأة، كما مات مجدي فجأة، ويفجع أبي مرة أخرى بموت أبيه. وفي يوم وليلة طمر أبي ذاك البيت ومسحه (بدراكتر) ولم يجعلنا نرى مشهد الطمر، وكأنه يطمر أحزانه مع تلك الجدران. ولكنني بعد هذه الأيام أصبحت كثيرا ما أسمع أبي يبكي بالليل وحده وهو ساجد أو قائم، لا أعرف ما ذا كان يشعر حينها، ولكن ذاك البكاء جعلني صديقته وفتحنا صفحات البوح لأسمع من أبي جراحاته وآلامه. فالرجل مهما يبدو أمام الناس بشخصية وبمشلح وبهيبة فإنه يبكي، ومن أهم أسباب بكائه الفقد، وكان فقدان مجدي وجدي عاملين رئيسيين لإشعال نار اليتم في صدر أبي، وبعدما جربت ألم اليتم والفقد أدركت أن من جرب هذا الشعور يتجدد مع كل من تراه يفقد.

صورة أول حفلة احتفل بها أبي رحمه الله، وهذه الحفلة لجمال الشعور لذكراها جعلتني أحرص على حفلة دورية لأبنائي وأبناء أخواتي، فالحفلة تبهج الطفل وتشعره بالاهتمام، وتجعل له ذكريات وتصنع مستقبله. رحم الله عمي عبد الهادي، وحفظ الله عم أسامة صديق أبي الوفي وكل من أسعدني في تلك الحفلة، فهي تاريخ للمجد.

العنبرية مرة أخرى

عدنا إلى العنبرية مرة أخرى وقد بنى أبي على أنقاض البيت الشعبي الذي مات فيه مجدي عمارة جديدة من ثلاثة أدوار، فسكنا في بيت جديد، واقتنينا سيارة جديدة، ورزقنا بنونو جديد وملك جديد. فولادة أختي غصون كانت عند تولي الملك فهد مقاليد الحكم، وأصبحنا ثلاث أخوات (أمل وفاطمة وغصون)، وحينها كنت في الصف الخامس ابتدائي، وبدأت أحاول التكيف مرة أخرى باللعب مع أولاد خالتي.

كان فيّ عيب وأنا صغيرة وهو أنني لا أستطيع العيش مع الناس الذي يقومون بمجاكرتي، وكان والدي دائما يؤهلني لمقاومة هذا الضعف، بحكم أني عشت بين أبناء خالتي وأخوتي بالرضاعة، وحياة البنت بين عدد كبير من الذكور يجعلها تتعرض للضرب أو التعامل بالقوة، كان غالبا ما يقول لي بالخفاء: (خذي حقك)، لكن بنيتي الجسدية لا تستطيع الضرب وكنت أخشى لو قاومت الضربة بضربة أن أتعرض لضرب أقوى، فكنت أعمل ضمن فريق يحميني من القوي، بتكتيك معين وذلك بأن أكسب خصمي بالهدية أوأن أدفع لمن يحميني. في حي المغيسلة، وهذا تشكلت شخصيتي.

مضمار شارع المغيسلة كان لكل التحديات المتنوعة التي يمكن أن تشكل طفل المستقبل. وكان هذا الشارع من أبرز المحطات المحيرة في حياتي في المضمار أو الملعب، المتغيّر. بدأت الجنسيات المختلفة تسكن الحارة وخصوصا الجنسية المصرية، وكان ابن خالتي غسان يحلم أن يكون طبيب أسنان، فكنت المريضة التي جرب في أسنانها اللبنية وخلعها، وكنت

رفيق الطفولة أخي شوقي مقنص

رفيق الطفولة أخي محمد نزهة

أحلم أن أكون معلمة فكنت أجمع بنات الحارة وأدرسهن وكأنني في مدرسة، وكنت أنا وسوزان ابنة خالتي نتكلم (بلغة خاصة) وذلك بشقلبة الحروف أمام أطفال الحارة كلهم على أننا نتحدث اللغة الأسبانية، والعجيب في هذه الشقلبة أننا نفهم بعضنا، وغالبا ما كنت أحب وضع النظارة على عينيّ وأقرأ وأكتب مثل الكبار وأنثر الكتب حولي وأكلم الدفاتر والجدران على أنها بشر حولي، فكانت أمي تتعجب من أفعالي ودائما تكرر علي (ولا اللي يحضروا ماجستير ما هم مثلك).

وكنا نلعب لعبة (المرسال جاكم)، طابور بنات وطابور أولاد، ورحلة

لخطبة البنات، وفي هذه اللعبة كنت بطلة يختارني (ابن خالتي في كل مرة عروسا)، وقد أصبحت زوجته الفعلية في مستقبل الأيام. ولعلي لا أبالغ إن قلت إن كل ولد يصبح (فارسا)، وكل بنت (عروسا)، وبعدما كبرنا، غالبا ما كان الأولاد الذين يختارون العروس قد تزوجوا بهذه الطريقة؛ فقد جعل كل واحد منهم (العروس) في رأسه، فاختار عروسة المستقبل من خلال هذه اللعبة.

والشيء بالشيء يُذكر، سألت أبي ذات مرة كيف تزوجت أمي؟ فلم تكن قريبته ولا ابنة حارته، فأجابني قائلا: إنني كنت صاحب خالك حسن، فهي أخت صاحبي، فكنت أذهب إليه في حوش منصور، وكانت أمك تلعب بالمرجيحة، فغرت عليها، وخاصمتها ومنعتها من لعب (المرجيحة) فكانت تعاندني، وتجيب (المداد) يعني ترتفع بشكل أقوى، ثم هددتها بالضرب إن لم تنزل، فخافت وسقطت من المرجيحة على خشبة بها مسمار، وانتفخت رجلها، وحملتها إلى المستشفى، وبعدها بفترة، خطبتها وتزوجتها، فكان لعب الشارع وسيلة من وسائل اختيار عروس المستقبل.

تحيط ببيتنا بلكونات من الجهات الثلاث، كنت أفتح عيني وقد أشرق الصبح على صوت القرآن، وكنت أتأمل أبي في (خرجة) البيت وحوله الكتب ومعه ورقة وقلم، وإذا جاء الليل يتكئ على جنبه ومعه ورقة وقلم، أو مسجل صغير يسجل فيه أشعاره، وأمامه براد شاي صغير، وفنجان بادريق وتكرر أمي إعداد الشاي عشرات المرات لأبي، وقد يبرد الشاي فيطلب منها «كشكشة» الشاي؛ وتعني تسخينه حتى الغليان ويحدث صوتا يشبه الكشكشة. في هذا العمر لم يكن أبي يطلب مني كشكشة الشاي، بل كان يحذرني ويخاف علي من كشكشة الشاي؛ لأنه يحتوي على سكر ويحذرني من حرقة الشاي بعد كشكشته، كأن أبي يعرف أن هناك من سيكشكش السكر في حياتنا ليحرقنا؛ لذلك كان يدعو لي بقوله: «الله يرضى عنك، الله لا يولي عليك ظالم، ومن أراد

بك سوءا فرد الله كيده في نحره وجعل تدميره في تدبيره وجعل دائرة السوء عليه». حينها لم أدرك فائدة هذا الدعاء الذي يكرره أبي - رحمه الله - في اليوم عشرات المرات، ولكن بعدما توفي - رحمه الله - علمت أن التوفيق مرده دعاء الوالدين. وبعدما كبرت قليلا وأصبح باستطاعتي عمل الشاي لأبي، فكان يطلبه مني بقوله: أم عبيدان سوي شاي، فأغضب لماذا أم عبيدان؟ أهي مثل أم عثمان اللي تكنس الوسط وتخلي الأركان، فيرد بقوله: كانت أم عبيدان بنت شاطرة تسوي الشاي لأبيها مثل عمتك زينب، فبعد موت أبي رحمه الله تناديني خالتي أمنة مقتفية تدليل أبي إياي بأم عبيدان.

لم يكن منظر أبي وأمامه الأوراق مشهدا يمر فحسب، ولكني تعلمت من ذلك المنظر كيف تقضي الساعات في القراءة والكتابة، بدون ملل، بعد كل ليل، نعيش الصباح في ابتسامة من أبي وأمي، أبي دوره الفطور، وأمي تسريح الشعر، وحتى بعدما كبرت، وبدأت سن البلوغ، وبدأت التغيرات الجسدية تظهر علي، وصارحتْ أمي أبي بذلك، لم يخجل أبي من إعداد فطور ليبين فيه أنه يهتم بي، فإذا به يخفق بيضة نيئة في حليب وعسل، ويجبرني بدلاله المعتاد على شربه. كان أبي سعيدا أن ابنته كبرت، وكنت أذوب كما يذوب العسل في الحليب خجلا منه.

كبرت قليلا، وأصبح هناك تحولات كثيرة فيّ؛ جسدية وشخصية، والعجيب في مرحلة المتوسطة، أن شخصيتي أصبحت مختلفة عن مرحلة الابتدائي، فرغم الشجاعة التي كنت أتميز بها أصبحت جبانة. كانت المدرسة قريبة جدا، ومن قربها تكاد أمي تسمع جرس الطوابير، ومع هذا لا يمكن أن أخرج إلى المدرسة وحدي أبدا، فلا بد أن يوصلني ولد من أولاد خالتي، أغلبهم كبروا وتوظفوا، ولكن شوقي هو ابن خالتي الذي أصبح مسؤولا عني يوصلني إلى المدرسة وأعود معه، كنت أشعر بأمان عميق حينما يضع يده في يدي، وإذا كان شوقي مريضا أو لا يستطيع اصطحابي إلى المدرسة أغيب ولا أذهب.

من مزايا وضع يد شوقي بيدي أنني كنت أشعر بالأمان والحماية أن أخي يده بيدي، كنت أحتاج السند من أخ مثل شوقي، ظل شوقي يشكل لي دور الأخ، حتى زفني بيده إلى زوجي يوم ملكتي، فهو من رافقني في يوم زفافي وكان قريبا مني، وكان معي، توسطتُ بينه وبين زوجي، أمسك بيدي اليسرى يد خطيبي، وأمسك باليد اليمنى يد أخي شوقي، وكذلك في يوم ملكتي فقد رافقني إلى مزينة الشعرابن خالتي أيمن، وأشترى لي عطر ملكتي، فالحمد لله ، كان أولاد خالتي هم أخواني وظلوا أخواني حتى هذا اليوم.

في يوم 10– صفر - 1407هـ طلعت شمس غير الشمس التي نراها كل يوم، أشرقت في حياتنا شمس بها أخي عبد الواحد، كان هذا اليوم أسعد يوم في حياة أبي رحمه الله، وحياتنا جميعا، ولعلي لا أبالغ إن قلت إن لا حب مثل حب الأخ بعدما شعرت بحب أخي عبد الواحد، يوم ولادته رأيت السعادة المشعة في عين أبي رحمه الله، من شدة سعادته، أتاني إلى المدرسة وطلب خروجي بإذن معه، بشرني أبي بولادة أمي، وبأن أمي ولدت (ولدا) الولد الذي كان ينتظره منذ سنوات وحصل لأبي وتحققت الأمنية، ومن شدة فرحي لفرح أبي، أصبحت أصرخ بدون مراعاة لمن حولي، وكان المكان هادئا وإذا بالشرطي يتقدم من سيارة أبي يحسبه أنه سيخطفني، وإذا ببواب المدرسة يضحك ويثبت له أن الرجل أبي، وإذا بأبي يرفع رجله من البنزين وهي بدون حذاء، من شدة فرحه بخبر ولادة أمي، أخبرته الممرضة بالبشارة، فمن شدة الفرح، ترك حذاءه بالمستشفى ووجد نفسه متجها إلى المدرسة ليبشرني، ضحكنا وفرحنا لأجمل خبر أفرحنا، واتجهنا إلى المستشفى بعد أن اشترينا لأمي ورد المدينة وعقدناه عقودا منظومة بالإبرة والخيط، ودخلنا على أمي وبنا نظرة مختلفة للحياة وإذا الشمس غير التي نعرفها، لم نفرح نحن فقط بمولد (أخي عبد الواحد) الذي أسماه أبي على اسم والده، بل أفرح خبر ولادة أمي الأهل والأقارب والجيران، وإذا بالمهنئين لأبي وأمي في المستشفى زمرا

من رجال ونساء، والحمد لله أن أبي فرح بسابع أخي عبد الواحد، فإن لم يبلغه الله طول العمرحتى يزوج أخي عبد الواحد، فالحمد لله أنه فرح به بعمل سابع له في (قصر الشموع) وكأنه عرس له.

كل ما كنت أذكره، أن من عادات أهل نجد تفضيل الولد الذكر على البنت، وغالبا ما كان يسأل أبي بعض أقربائه من نجد حينما يزوروننا، (بشّر جاك ولد أو عروستك جاهزة؟)، لم يكن أبي يعطي أحدا منهم فرصة للتدخل، فكنا ثلاث بنات ثم جاء أخي عبد الواحد. كان أبي لا يجعل بعض العادات تقهره أو تقهر أمي، فلا يجعل الآخرين يتدخلون في حياته، وكان أبي يحبنا جميعا ولا يفرق بيننا، كان يحلم بالولد ويتمناه من الله، ولكن كان حبنا في قلبه يفوق كل حب، وظل وفيا لأمي ولم يتزوج عليها من أجل الولد، وكنت كلما سألته ألا تشعر بالحرقة أن ليس عندك الولد الذي تتمناه، فكان يغني لي بأغنية أم كلثوم كل مرة:

أنا.. أنا.. أنا عندي أمل.

كان أبي يحب أمي، ولم يفضل الولد عليها أبدا، وكنت أحب حب أبي لأمي، ومن خلال نقاشي مع أبي حول هذه القضية، كان لأبي قرار بأن لا يزوجني من نجدي مطلقا، وكانت وجهة نظره أنه لا يريد حرق قلب ابنته بزوجة ثانية، فغالبا الرجل النجدي يفضل التعدد، فكلما كان يأتي خاطب لي من نجد يرفضه ولا يعطي نفسه فرصة للتفكير مطلقا. رغم أنني اكتشفت من خلال حياتي مع زميلاتي وأهلي وأقاربي، بأن الرجل النجدي شديد العطف على بناته.

المليليح

كانت المليليح من ذكريات السياحة والترفيه والأماكن الحلوة التي كنا نترفه فيها بشكل دوري في المدينة المنورة، ومن الأماكن الجميلة في ذكرياتي التي كنت أمارس الفروسية فيها، وتعلمت منها معنى الصحبة، وجمعة الأهل والأقارب، تعلمت منها المغامرات، وركوب الخيل، وتجريب كل جديد، ذقت فيها طعم (بيض النّعام). كان أبي رحمه الله يحب المغامرات، وكان شابا مفرطا في تجريب كل شيء جديد، في المليليح غامرت مع الأب الشاب في كل مغامراته التي تخطرعلى البال والتي لا تخطر على البال. كنت أراه يلعب مع أخوته وأبناء خاله، لا أعرف متى يخططون للخروج، فالطفل عادة لا يشعر إلا بالشيء المحسوس أمامه، فكنا نتجهز للخروج إلى المليليح

مع بزوغ الفجر، ونسير مع إشراق الشمس. كانت النزهة في المليليح أشبه بالنزهة الملكية المختلفة عن النزهات التي كنا نمارسها في المدينة، مارسنا في المليليح الرياضة الملكية التي لم تكن موجودة وقتها في أماكن الترفيه في المدينة المنورة، كنا نسافر إلى دمشق وبيروت والأردن وتركيا وكنا نرى دنيا مختلفة عن المدينة المنورة، ولكن هناك أشياء مختلفة تربطني عاطفيا بنزهة المليليح، لأنني كنت أمارس الصيد مع أبي بالبندقية، وأسوق السيارة معه، وأسبح معه، وأركب الخيل معه.

قبل المليليح كنا نترفه في أماكن عدة بالخروج إلى الجبال ومعالم المدينة، (الخلا) هكذا كنا نطلق عليها، ونتمشى الصباح بالخلا، وهي نزهة أبي المفضلة، في أماكن أخرى يطلقون عليها (التمشية بالبر). ثم بعد ذلك اشترت عمتي مريم مزرعة كبيرة في المليليح وأصبحت من الأماكن الثابتة لنا للترفيه. بماذا تتميز المليليح عن الأماكن الأخرى؟ المرح في حياتي كثير ومنها المليليح التي ارتبطت في ذاكرتي بالمزارع والسباحة، فكانت مزرعة كبيرة فيها حيوانات، وأشجار، وفيها مبان حديثة راقية لاستقبال الضيوف، ومجالس أمامها مسبح كبير، كان يعجبني المكان لأنه يجمع كل أهل والدي وأرحامهم وأقاربهم حتى خال أبي (عبيد العامري) رحمه الله فكان أبي يحرص على صلة كل شخص من أهله حتى الفروع. في المليليح رأيت كل الناس الذي يقربون لأهلي، كانت عمتي مريم وزوجها محمد الحميّد رحمه الله كريمين جدا، فكنت أرى حتى أقارب أهل الحميد وجماعته ممن يسكنون المدينة أو ممن يأتون من الكويت أو الرياض أو الغاط أو المجمعة. مزرعة المليليح حاليا باعتها عمتي إلى زوج بنتها، ولم أزرها أبدا منذ تلك الأيام، رغم أنني غالبا ما أسمع حاليا من بنات (توتا) أن «مجاهدين» سائقهم منذ تلك الأيام، قد جلب البيض من المزرعة، فأحن إلى تلك الأيام، أحن إلى المليليح، بذكرياتها الجميلة. لا أتحدث عنها بوصفها مزرعة كانت ملك عمتي مريم

ثم انتقلت ملكيتها إلى أهل زوج بنتها بالبيع، ولكن ذاك المكان ارتبط في طفولتي بالمكان للترفيه، جنة الدنيا التي أحب، الذكريات في ذاك المكان تلامس شغاف قلبي.

ارتبطت عاطفيا بالمليليح؛ لأنه كان مكانا يجتمع فيه الأرحام، ولأنني رأيت قضاء الدين من أبناء يبرون أمهم الميتة (فاطمة دغيليب العامري)، فعمتي مريم وأبي رأيتهما يبران أمهما المتوفية، ويتواصلان مع أهلها برا بها، وكان زوج عمتي يستضيف أهله برا بوالديه، فكنت غالبا ما أسمع عبارة (رحمها الله) برا بوالدتي، وأرى الذبائح تذبح لأمهما المتوفية، فكأن هذا المكان ثمر لبذر قد بذر بالحب. اللهم ارحم جميع موتانا وموتى المسلمين. تعلمت في ذاك المكان دروسا في فضل الدعاء للمسلمين أننا نأتي يوم القيامة على سرر متقابلين، فرسمت في خيالي جمال الجنة بمكان الترفيه الجميل مثل جمال مزرعة المليليح.

وأحببت ذلك المكان لأنه كان مكانا جميلا مدنيا، حضريا، فيه كل لوازم الترفيه الملكية التي أحب، وأنني تدربت على ركوب الخيل مع أبي، مع ركوب صهوة الجواد كنت أشعر بشموخ الفارسة، وكان ذاك المكان يختلف عن كل الأماكن التي نذهب إليها، فغالبا ما كنا نخرج إلى الخلا بالباص الأصفر الكبير الخاص بأبي، يجمع به الذبائح والقدور ولوازم التمشية من فراش وحطب وأنابيب غاز، وكان يحمل في الباص كل عوامل الجذب للنزهة العائلية، لا نخرج عائلة صغيرة بل كل عائلة (التميمي) من عمات وأعمام، وأهل والدة أبي، فلوازم التمشية تكفي عوائل كثيرة، لأننا كنا نخرج بصحبة أهل أبي (بيت خالي عيد) خال والدي، و(بيت عمتي عائشة) زوجة رباح الأحمدي، فهي ابنة خالة أبي وأخته بالرضاعة (ابنة خالته نورة العامري)، فكان والدي لا يشعر بمتعة الدنيا إلا وكل أهله بصحبته.

وذات مرة، خرجنا إلى خلا البيضا أو إلى أي بر من براري المدينة المنورة، نسيت الآن بالتحديد، وكنا نتسلق الجبال، وهي متعة ورياضة أمارسها بشغف،

وكنا نمشي بصحبة بنات عمتي عائشة، وتفرقنا وضعنا، وإذا بأحد الطرق، يؤدي بنا إلى غدير ماء، اجتمعنا مع بعض البنات وكنا جميعنا صغيرات، وإذا بأحد الأولاد يصرخ قائلا: أحمد غرق بالغدير، والمنظر الذي رأيته، لا أنساه أبدا، منظر شماغ أحمر مفرود على سطح الماء، لا أذكر بالضبط، رد فعل البنات، ولكن أذكر رد فعلي الذي سبّب لي بمشكلة مع أبي، أقدمت مسرعة لإنقاذ أحمد العامري، ابن خال أبي، وفي أثناء محاولتي، وجدت أبي صارخا ومعه أحمد العامري واقفا، وكان هذا الشماغ مقلبا من مقالب أبي رحمه الله وأحمد العامري، كان وقتها أحمد شابا كبيرا عنا نحن البنات الصغيرات، وكان مرحا جدا يحب عمل المقالب بأبي وأبي يرد له المقلب بمقلب أقوى، واتضح لنا، أن بعض البنات أخبرن أبي بأننا ضعنا في الطريق ونحن نتسلق الجبل، فأراد أن يعمل بنا المقلب الذي عمله أحمد به، ولكنه من خلال المقلب اكتشف أبي اندفاعي في إنقاذ أحمد، وبعد هذا الموقف، توالت الدروس من أبي في كيفية التصرف الهادئ حينما يواجهني موقف صعب، أصبح ذاك المشهد أشبه بقصص في كتب المطالعة، مشكلة وكيف تجد الحل.

ومن تلك النصائح، كنا نتنزه في العاقول، وهي عادة أهل المدينة المنورة في الخروج إلى سيل العاقول في حالة نزول المطر، وكون أهل (أمي غيثة) جدة والدتي من ينبع، فكان من عاداتهم في حالة نزول المطر طبخ الرز بالعدس مع السمك. وذات مرة، طلعنا إلى العاقول بصحبة عمي عبد العزيز رحمه الله، ورأينا في هذه المرة، رجلا يغرق، حاولوا إنقاذه بالحبل وما أتذكره هو أن الدفاع المدني تدخل في هذا الإنقاذ. سألني أبي حينها: (كيف ستتصرفين يا أمل؟) فأجبته، سأنقذه بالخشبة أو الحبل، فقال أبي حينها: لو كنت أنا يا أمل غرقت في العاقول، لا تنقذيني، لأن الماء الحلو ثقيل والغريق بالماء الحلوة يهلك ولن تستطيعي إنقاذه، يموت الاثنان، ولكن يمكنك المحاولة من بعيد بالحبل المربوط بالسيارة، وتقومين بسحبه بالسيارة، أو ترمين له خشبه حتى

يأتي الدفاع المدني. كان الترفيه عند أبي وسيلة للتعلم التطبيقي، فكل مكان في المدينة المنورة فرصة تتجدد للحكايات واللعب والمقالب.

نعود إلى المليليح وماذا بقي عنها من تلك الذكريات الحلوة، كانت في المزرعة حيوانات كثيرة فجربنا كل ما يمكن أن يخطر على البال، تنافسنا ولعبنا، ومن بين الذكريات التي لا أنساها (عقدة الغرق) لدي التي تسبب فيها عماد (ابن منيرة ابنة غالي عبيد العامري). كان عماد من أهل جدة، وعندما يأتون المدينة تكثر العزايم، وغالبا كنا نسافر معهم إلى الشام وتركيا ونقضي الشهور معا، وكنت جبانة كثيرا أخاف السباحة، وحاول أبي كثيرا أن يساعدني على تجاوز هذا الخوف، ويومها كنت كأنني كرة يتناقلها أبي وأحمد العامري، أثناء لعبهما، فكان أحمد يحملني رهينة حتى يتركه أبي ولا يرميه في الماء، ثم يجذبني أبي وهو من يرميني بالماء، كنت لا أتصور أن يفعل بي أبي هكذا، فهو يرميني ثم يعطيني التعليمات حول الكيفية التي أتصرف بها،، كان يريد أن يعلمني السباحة.

تجربة تعلم السباحة للطفل تكون صعبة في بدايتها، وكان قلبي لا يطمئن للماء ولكني أثق بأبي، كان أبي يسعى لزرع الثقة في نفسي، وبعد جو من المزاح بين أبي وأحمد تركني أخيرا المتباريان أبي وأحمد حتى ألعب بجوار السلم مع الأطفال، وإذا بقدم عماد تضرب يدي بدون قصد وتسحب يدي من السلم وأغطس في الماء، قد تكون مدة الغطس قصيرة جدا، ولكنها تجربة تتجدد كلما غمضت عيني وفكرت بها، فحينها شعرت بأنني سأموت وذهبت في مصير لا أدري نهايته، كنت أرى الأطفال من تحت الماء، ولكن الجميع لا يروني ولا يشعرون بي، وما زلت حينما أتذكر تجربة الغرق أشعر بالألم. لقد كان شعورا مؤلما أن تشعر بالموت يدب فيك دبا، تشعر بأنك تتألم في عزلة والناس لا يشعرون بما تشعر، وغالبا ما يأتيني هذا الشعور كلما تعرضت لبنج في العمليات الجراحية، فأصبحت المليليح جزءا من ذكرياتي الجميلة، وفيها جزء غامض أتذكره في جرعات الألم تحت تأثير المخدر.

الفصل الثاني

ذاكرة (الشخصيات)

- جدي عبد الواحد
- ابن الضريرة
- أمي غيثة وحياكة الملابس والحكايات
- فاطمة العامرية.... إحياء الذكرى بعد حين
- أمي التضحية والحنان

جدي عبد الواحد رحمه الله

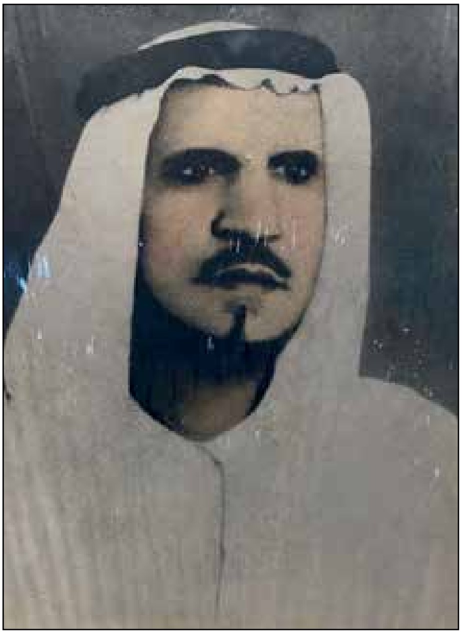

سأحكي في هذا الجزء عن جدي الذي عشت في كنفه وتربيت في بيته، ونمت على صدره، وسمعت منه الحكايات. جدي كما عرفته عيناي، وكما سمعتُ منه بأذني، وكما شاهدت هيبته ووجاهته، ثم سأوثق المورث من أوراقه الشخصية قدر المستطاع، والمورث والوثائق التي أعطاني إياها عمي إبراهيم – حفظه الله –.

قضيت من عمري ما يقارب ثماني سنوات من حياتي في حياة جدي عبد الواحد رحمه الله وبعد أن أنقل مشاهداتي وذكرياتي، سأنقل ما أعطاني إياه عمي إبراهيم – حفظه الله – مكتوبا. حتى يقرأه أحفاد الشيخ عبد الواحد من ذريته الذين لا يعرفونه إلا بالحكايات.

كنت وأنا في بيت جدي أرى كثيرا من الجدات يزرننا في بيت جدي عبد الواحد، في البداية لم أكن أعرف صلة القرابة لولا إلحاح أبي على أن أقبل يد كل امرأة يقول لها (خالتي) ويتبع قول خالتي فلانة باسمها، خالتي زينب، خالتي ملكة، خالتي مرشودة،...إلخ وعلى عادة أهل الحجاز فلا نقول جدتي، بل نقول (ستي ملكة، ستي زينب، ستي مرشودة...إلخ)، لم أكن أعرف سبب مناداة هؤلاء النساء (بستي). وحتى جدي عبد الواحد على عادة أهل الحجاز نقول له (سيدي عبد الواحد).

لم تكن هؤلاء النساء يتحدثن مثل لهجة جدي عبد الواحد، فلهجة جدي نجدية، وهن لهجاتهن متعددة، ومختلفة ما بين لهجة حجازية أو لهجة بدوية لهجة بدو الحجاز، ففي حياة جدي عبد الواحد كان هو يتحدث باللهجة النجدية، وكذلك زوج ابنته مريم محمد الحميد، أما بقية أولاده ففي حياته كانوا يخلطون بين اللهجة النجدية والحجازية، ولكن بعد وفاته، أصبح الجميع يتحدثون بلهجة أهل الحجاز ماعدا عمي إبراهيم فهو يخلط بين اللهجة النجدية والبدوية وقليل من اللهجة الحجازية، وتغلب عليه اللهجة البدوية، أما عمتي مريم وأمي فكانتا في حياة جدي عبد الواحد متأثرتين به فتتحدثانِ معه لهجة خاصة به اللهجة النجدية، أما بعد موته فأصبحتا تتحدثان مثل أهل الحجاز، وكثيرا ما كانت تتعرض أمي إلى التعليق من أخوانها حينما تتحدث بالنجدي متأثرة ببيت جدي عبد الواحد، وخاصة عندما تتلفظ بكلمة (مير) الأكثر ترددا على لسانها، وتستخدم أمي لفظة (مير) أسوة بما تسمعه من جدي وهي لفظة نجدية تعني لكن أو وقفة في الكلام. وفي ظني أن جدي عبد الواحد رحمه الله لو عاد إلى الدنيا وسمع لهجة أحفاده الجُدد من بعده فسوف يستنكر، فجميعهم أصبحوا يتحدثون اللهجة الحجازية بمن فيهم عماتي، بل إن بعضهم من الجيل الجديد أصبح يتحدث الحجازي الحضري، ولو سمعهم جدي عبد الواحد لن يستنكر؛ لأنه يحب الحجاز وأهله وهو من اختار الحياة فيها والممات كذلك

وحقق الله له أمنيته، ففي بيت جدي كنت أسمع لهجات عدة، ولم يكن يستنكر جدي أو أي أحد على أحد (اللهجة) التي يستعملها.

دعونا نستذكر كم لهجة كنت أسمع في بيت جدي إلى جانب (اللهجة الرئيسية) وهي اللهجة النجدية وهي لهجة جدي عبد الواحد وزوج ابنته محمد الحميد، والجدير بالذكر أن «أبو سعد» رحمه الله كان يتضايق كثيرا إن لم يفهمه أحد فيقول: (ياغربلك الله، ويش هنا بحكي) ويصفق بيده حتى يدرك السامع ويفهم كلامه، بينما كان أبي وعمتي مريم وأمي يدمجان بين اللهجة الحجازية واللهجة النجدية تماشيا مع كلام جدي رحمه الله، ولهجة عمي إبراهيم يُدمج فيها بين النجدي والبدوي، تماشيا مع لهجة والدته العوفية، وكنت أسمع جدتي والدة عمتي عيشة وجدتها زهرة تتحدثان اللهجة المغربية، وتغنيان بالمغربي، وتقولان النكت باللهجة المغربية، وعمتي عيشة تنافس في إظهار قدرتها على إتقان لهجة جدتها وتمزح بالمغربي وترقص بالمغربي. في حين يتحدث جميع أهل والدتي اللهجة الحجازية ولكن ليست مثل أهل المدينة تماما إذ تتداخل معها اللهجة الينبعاوية تماشيا مع جدتهم (غيثة الطوري)، وهم من سكان أهل المدينة ولكن أصولهم وأقاربهم من ينبع النخل، ومع هذا لم أجد يوما جدي حينما يأتيه كل هؤلاء الناس معلقا على استعمال لهجة معينة أو مستنقصا أحدا، في حين أنني عندما سافرت إلى المنطقة الشرقية، ودرست في الكلية، لاحظت تنمرا في السخرية من اللهجات، فكانوا يقولون (07 تعني أهل الجنوب، 06 تعني قصمان...وشناكل يعني شيعة، وسنافر تعني سنة)، وفي ظل هذا التنمر واجهت تنمرا على لهجتي كثيرا، فكنت أدمج بين اللهجة الحجازية والنجدية والشامية، فغالبا كانوا يسألونني (أمك سورية أو لبنانية؟) وبعدها أصلت اللهجة الحجازية في لهجتي، تأكيدا على تأصيل هذه اللهجة بوصفها هوية لي، ومواصلة لحب جدي للحجاز وأهله. وبوصفي أنتمي إلى أجمل بقاع الدنيا المدينة المنورة، فكنت أصف نفسي (تمرعجوة)

وبلهجتي الحجازية العفوية وصلت إلى قلوب زميلاتي وأسعدتهن بدلع هذه اللهجة وأصبح جميع من يعز علي يتحدث مثلي.

وإن كنت قد عانيت من غربتي في المنطقة الشرقية، فإنني في الوقت نفسه سعيدة بهجرة جدي عبد الواحد من الزلفي إلى المدينة المنورة، حيث أصبحنا نحن عائلة التميمي ممن يسكنون الحجاز مختلفين عمن أراههم ممن يأتون لزيارتنا من أقاربنا بالزلفي، فنحن أكثر تحضرا وانفتاحا وعلما وثقافة وجمالا. فعائلة التميمي من جدي عبد الواحد، تتميز بالجمال الفائق، والتمدن والتحضر ومحبة العلم، ورثوا من جدهم جميعهم الجمال والخلق والعلم والجاه والهيبة، وتأثروا بطيبة أهل المدينة وتعدد الثقافات المختلفة فيها.

لم أشعر بأن بيت جدي عبد الواحد له طقوسه النجدية وعاداته النجدية إلا بعدما عاشرت أهل أمي، ثم عاشرت أهل زوجي، وخالطت جيراننا من أهل القصيم ومن بدو أهل الحجاز، ومن حضر الحجاز، فاكتشفت أن في المدينة تتعدد العادات في المجتمع الواحد ولكن العوائل تندمج اندماجا اجتماعيا سريعا، وإن كان هناك فروق واختلافات شاسعة أحيانا في العادات، فأنا تربيت في سنوات طفولتي على عادات بيت جدي النجدي.

وإن كان لجدي عبد الواحد لهجة مختلفة عما رأيتها في الشارع المديني وعند أقاربي من أهل أمي، فله أيضا عادات مختلفة في الأكل، فجدي عبد الواحد يبدأ يومه بصلاة الفجر، ويبدأ بشرب القهوة المرة (سوداء اللون وداكنة) وبفنجان كبير اسمه فنجان وضحى وابن عجلان، مع التمر أو (الحيسة) البر الأسمر مع التمر، بينما أهل أمي يفطرون الضحى بالأجبان وغيرها، وإن كان جدي يأكل يوم الجمعة المرقوق باللحم الجزور، ففي بيت أهل أمي يأكلون في يوم الجمعة السمك، وكان أبي رحمه الله على عادة أهل نجد قديما لا يستسيغ أكل الأكلات البحرية مطلقا، بينما أهل أمي هم عادة أهل السمك فهو عندهم بمثابة لحم القعود عند أهل أبي.

ولكن بعدما كبرت قليلا أدركت أن التربية لها دور في حرية البنت، وبالتأكيد فأنا بعد المقارنة أفضل التربية التي تربيتها، فكنت أتعامل في بيتنا وكأنني أميرة وسيدة نفسي وحرة للغاية في أخذ قراري ويحترم الجميع رأيي. فعلى سبيل المثال، لا أحد يتحكم في رأيي في قص شعري، في وقت وجدت فيه أن حياة بعض البنات معذبة من جراء تحكم أهاليهن من أمهات وأباء في قص شعورهن، وأول مظاهر الحرية للفتاة تتمثل في حريتها في كيفية قص شعرها. ثم لاحظت أنني حرة في وضع (الروج) إذ ألعب في مكياج أمي وأعبث وأجرب ولا أحد يشعرني بأنني أرتكب جريمة، في حين تضرب الأم ابنتها لو وضعت الروج على شفتيها، ثم لاحظت أن البنت البدوية أكثر جرأة وقوة وحرية، فبنات خالي عيد العامري يعتبرن من البنات البدويات، فأختهن خديجة تسوق الونيت بغمارتين، ولا أحد يشعر أنها تفعل ما يعيب، وحينما يأتي أقاربنا من الزلفي، ألاحظ تمسكهم ببعض العادات في دقة لا أتحملها. فمثلا إذا وجدت حبات الهيل في القهوة بشكل واضح فإن ذلك يعد عيبا في العادات النجدية، ويعبر الناس عن استيائهم من ذلك بكب القهوة على الفراش، ومن عاداتهم أيضا وقوف من يصب القهوة طوال الوقت. بطبيعة الحال في بيت جدي عادات ولكننا نمارسها بحب، فالحياة في بيت جدي تتميز بالحرية مع الاحترام وبدون شدة، وبقدر من الدلع، فجدي كان يدلعني بـ (ترموس) وربما تقابل حاليا كلمة (كيوت).

وكان صوت جدي هادئا جدا ولا نكاد نسمع صوتا مرتفعا أبدا بالبيت، وإذا جلس جلس أبناؤه وأحفاده بشكل أشبه ما يكون بمجلس الشيوخ، جلسة موقرة يتحدثون بالتناوب، إذا تحدث فيهم شخص ينصت إليه الجميع، فلا يقاطعه أحدا أبدا، وغالبا ما يكون الحديث فيه الاستفسار، والنقاش وطرح الأسئلة، بينما هذا الشكل للجلوس لم يكن مألوفا عند أهل أمي ولا أهل زوجي، فقد ترتفع الأصوات، ويتحدث الجميع مع بعضهم، فغالبا ما كنت

أجد مشاكل في المجالس التي فيها ضوضاء لطبيعة التربية التي تربيتها في بيت جدي؛ بيت هادئ جدا رغم كثرة الأنفس فيه، فلا تسمع إلا همسا، حتى إن أبي ربانا أنا وأخواتي على خفض الصوت وغالبا ما يكرر علينا قوله: (أرمي الإبرة أسمعها) لشدة الهدوء الذي يريده في البيت، وهذا الهدوء لا يتعارض مع الكلام والحوار والضحك والغناء، فالشخص يأخذ حريته الكاملة ولكن بصوت منخفض. وللأسف تأثرت بهذه التربية ولم أستطع تربية أولادي عليها، فغالبا ما أقول في اليوم الواحد مئة مرة (اخفضوا صوتكم بشويش)، وأشير بأصبعي على شفتي، لعلهم يستجيبون كما تربينا على (أرمي الإبرة أسمعها).

في بيت جدي عبد الواحد عرفت معنى الكرم الطائي، وصلة الرحم العجيبة والمدهشة، بين الابن وزوجة أبيه وكأنها أمه، كنت استغرب لكثرة الأمهات لعميّ وعماتي، فتأتي والدة عمتي لزيارتنا في بيت جدي عبد الواحد فيبرها أبي وكأنها والدته، ثم تأتي أم عمي لزيارتنا فيبرها وكأنها أمه، والحمد لله أن عميّ وعماتي كانت كل أمهاتهم على قيد الحياة حينها ماعدا (أبي وعمتي مريم) فهما الوحيدان الشقيقان اليتيمان بلا أم، وبقية الأخوان جميعهم أمهاتهم على قيد الحياة.

لم يكن أحد من أعمامي يتيما سوى أبي، ورغم ذلك كان يحب والدة عمي إبراهيم (مرشودة العوفي) حبا جما وكنت أحسبها والدته ولكنها حكت لي حكاية زواجها بجدي عبد الواحد وسأحكيها كما حكتها لي، ويحب والدة عمي عبد العزيز (زينب العنابية)، ويحب والدة عمتي عيشة (زينب مسعود)، ويحب والدة عمي عبد الهادي وزينب وعبد الرحمن (ملكة كمال). لم أكن أعرف ما سر تكرار زيجات جدي عبد الواحد المتلاحقة والمتقاربة، وبقي هذا السؤال يلح علي حتى أتاني الجواب منه هو رحمه الله، ومن اثنتين من زوجاته (مرشودة العوفي، وغيثة المحمدي) رحمهما الله.

كانت جدتي مرشودة رحمها الله غالبا ما تحكي لي نبل جدي معها، وحكت لي بالتفصيل حكاية ضياعها من أهلها وإصابتها بالجدري وفقدانها البصر وحنان جدي عبد الواحد بالزواج منها وحنان جدتي (فاطمة العامرية) رحمها الله أم أبي عليها وسأحكي هذه القصة بالتفصيل في جزء ابن الضريرة.

وتفاجئنا الأقدار بأن نلتقي بإحدى زوجات جدي عبد الواحد بعد مضي سنوات طويلة على وفاته، وهي (غيثة المحمدي)، كانت واحدة من زوجات جدي التي لا أعرفها في حياته أبدا، ولم ترزق منه بأبناء، ولعل هذا هو السبب في أننا لا نعرفها، ولكن في زواج ابن عمي إبراهيم (فهد)، عزمها عمي وحضرت، وأدهشتني بما حكته لنا عن جدي عبد الواحد رحمه الله. فمن ضمن ما قالت: (كان جدكم رحمه الله رجلا ميسور الحال، فيتزوج الأرامل والمطلقات ليصرف عليهن ويطعم صغارهن، وإذا أنجب من واحدة منهن أكرمها وإن كان لها ولد زوج ابنها من بناته، كما فعل وزوج ابنته مريم من ابن زوجته زينب لعبد الرحمن، وزوج ابنته عيشة من ابن زوجته ملكة لعلي) فبيت جدكم كان أشبه بالمأوى ليطعم فيه النساء، وأن منهن من كنّ في فقر وحاجة فأحسن إلينا رحمه الله.

حقيقة، هذه المرأة جعلتني أنظر إلى (تعدد الزوجات) أو تكرار الزواج بشكل مختلف، كنت على طرف النقيض أعارض تعدد الزواج البتة وأرى أنه نهاية الكون، ولكن بعدما جلست معها، ورأيت الحكمة التي كان يراها جدي عبد الواحد وهي غائبة عن أعين كثير من الناس، أصبحت لي وجهة نظر مختلفة، وأصبحت مع تفهم تعدد الزوجات للرجل الميسور، لعله يحسن على كثير من المحتاجات، وكذلك لعل من هؤلاء النساء من ترزق بذرية تكون لها نافعة كما حدث مع جدتي مرشودة، ﴿... **آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا**...﴾.

أريد أن أتوقف هنا، لأقول إن سر النجاح والتوفيق في الحياة طاعة

الله وبر الوالدين والإحسان، فجدي يكرم أهل زوجاته وأهله من الزلفي في حياته وحتى بعد مماته، فقد فرض لهم من وصيته، وأوصى ببرهم، وله سفرة لإفطار الصائم في الروضة الشريفة يشرك أهله في أجرها، ويشركهم في سقيا الحجيج، وهذا ما تعلمته من سر التوفيق الذي كان يحظى به جدي عبد الواحد، ولعلي أنقل بعض الحكايات التي سمعتها من جدي إلى الجيل الجديد من عائلة التميمي، ليقرأوا عن جدهم الذي كان يدعو لهم وهم في ظهر الغيب عنده لم يخلقوا بعد، ودوما يدعو لذريته بالخير والبركة والرزق والعلم ويوصيهم بالصلاة وصلة الرحم.

فلنبدأ من البداية، كنت أسأل جدي عبد الواحد، لماذا تركت الزلفي وسكنت المدينة؟ فكان يحكي لي حكاية طويلة عن سفره إلى عدة بلدان قبل المدينة المنورة طالبا الرزق والعلم، فقد خرج من الزلفي هو وعبد الله العبيدي وعبد الله أبورسلي قاصدين الكويت للعمل هناك، فعمل أكثر من عمل، لا أذكر الأعمال التي كلها كانت ربما في ري الماء، والعبيدي في الغوص وفي رحلة حملات الحجيج، ولكنني أتذكر أنه ذكر لي من ضمن الأعمال التي عملها **الغوص،** فكنت أسأله عن اللؤلؤ والمحار، ولكنه لم تكن تعجبه فكرة العمل بالغوص، وأذكر ذات مرة، زارنا قريب جدي عبد الواحد، عم عبد العزيز العبيدي من الزلفي، ورأيت أصبع سبابته مقطوعا، فسألته عن قطع أصبعه، فقال لي عملت مع جدك عبد الواحد فترة في الغوص وأكلت أصبعي سمكة، ولم يحب جدك ولا أنا حياة الغوص.

نعود مرة أخرى إلى حكاية جدي عبد الواحد وأسفاره، فحينما كان جدي عبد الواحد رحمه الله يحكي لي حكاية عمله بالغوص، كنت أكتم نفسي، وأقول له عد لي وكأنني أغوص معك تحت الماء في البحر، ونرى من يستطيع الغوص أكثر، فيمزح معي ويقول إنني أنا الفائزة. رحمك الله يا جدي.

ثم حكى لي حكاية طويلة نسيت بعض أحداثها عن رجوعه إلى الزلفي ثم قصده مكة المكرمة، ولكن كان ما يدهشني أنه يحكي لي تفاصيل السفر سيرا على الأقدام، ليس معهم ركب، وأحيانا يقابلون ركبا فيركبون معهم، وأحيانا يسير على الأقدام، ويحكي لي تفاصيل السفر المزعج بالنهار، والمريح نسبيا بالليل وخصوصا حينما تكون الليالي مقمرة، فيكون في السفر سمر وأحاديث وأمنيات، وفي سيري إلى مكة، طلبت من الله العلم.

كان الوضع، لا يخلو من غرابة، فكنت أسأله يا جدي، كيف تستطيع السفر سيرا على الأقدام؟، فكيف تحمل أغراضك؟!، وطعامك!، وكيف تنام؟!، كل تلك الأسئلة يجيب عليها جدي بتبادل القصص والحكايات معه

رحمه الله، ولكنه أدهشني حينما طلب من أبي أن نسافر جميعنا إلى الحج، فجهز أبي رحمه الله لجدي ولجميع العائلة باصا كبيرا خاصا بنقلنا إلى مكة، وهو ملك لأبي. كان جدي يريدني أن أستشعر التجربة بنفسي، أن نسافر في تجربة جماعية نستكشف بها متعة المشاركة الجماعية.

قبل أن نسافر، جعلني أشرف مع (بابا) على ما أخذنا معنا من ركب، وعدد الركاب، ويبدو أن الأمر كان عليّ صعبا، فعلمني (بابا) عد العوائل، وعدد أفراد كل عائلة، فأصبح الأمر أسهل. كان عدد العوائل: عائلة جدي، وعائلة بابا، وعائلة أبو سعد الحميد، وعائلة عبد العزيز جبلاوي، ومحمد علي... فضحك بابا، المهم في النهاية، عددت على أصابعي (جدي، بابا، عم محمد الحميد، محمد علي، محمد نزهة، عمي عبد الرحمن، عمي عبد الهادي، عمي إبراهيم، عم عبد العزيز جبلاوي، ابنه عبد الله، ماما، عمتي مريم، عمتي زينب، توتا... إلخ).

بعدما انتهت فترة العد والإحصاء، بدأنا في ترتيب الاحتياجات، وكان أبي رائعا يمدحه جدي بعد كل تصرف ذكي منه، وخصوصا حينما، نصب بالتعاون

مع عميّ خيمة خاصة لقضاء الحاجة، كان الجميع يتعاون، ويتشارك الجميع في صنع الابتسامة، منها: حينما خرج عمي عبد الهادي متأنقا بعد أن تحلل من الإحرام، فعاد مقطوع جيب الثوب ومسروق المحفظة، فضحك عليه الجميع، وقالوا له خلي الشياكة تنفعك يا واشنطن، وواشنطن تعني عند أهلي المبالغة في التأنق والفخفخة، ومن بعد ذلك اليوم أصبح يلقب بواشنطن، وبعدما قضينا مناسك الحج، ذهبنا إلى رابغ، واستمتعنا بالبحر وذبح الذبائح وطهيها والأكل، وبعدما عدنا من السفر، سألني جدي، هل تعبنا في السفر؟! تعلمت من تلك السفرة الكثير والكثير من جمال التعاون والمشاركة، وبعدما عدنا من الحج، تعلمت من صبر جدي، وحنانه كثيرا.

كانت المفاجأة أن جدي عبد الواحد ترك قطته في بيتنا في العنبرية ليرعاها الجميع في غياب جدي، وكان ابن خالتي آمنة غسان مهووسا بتعذيب القطط وبحب الكلاب، وكذلك عنده نزعة إلى تعذيب القطط بحرقها في برميل مشتعل بالنيران، فحزن جدي حزنا كبيرا على ضياع قطته، فلم يجرؤ أحد أن يقول له أن غسان يمكن أن يكون قد قتلها تعذيبا، ولكن جدي من دهائه وضع جائزة (100 ريال) لمن يجد قطته، ووقتها كانت المئة الريال تساوي مبلغا خياليا، فحاول بعض أولاد الحارة جلب قطة مشابهة لقطة جدي عبد الواحد، ويمكن أن أحدهم قد وشى بفعل غسان عند جدي، ويبدو أن جدي خبير بطبائع الناس وعلم بنفسه أن غسان هو السبب، فتحدث أمام الجميع عن الرفق بالحيوان، ولم يحرج أحدا. كان كلام جدي مؤثرا جدا، مما جعل غسان يمرض قهرا على قتل القطط، وبعدها أنصلح حاله، وأصبح صديق الحيوانات ورافقا بها.

لم أرَ جدي عبد الواحد يوما غاضبا أو تظهر على وجهه أي علامات الغضب، كان هادئا جدا، في صوته نبرات عالية من الحنان والدفء، أشعر بنشوة بعدما أتحدث معه، ولكنني بعد سفرنا إلى الحج وعودتنا أصبحت

أشعر بوجاهة المكانة التي أحظى بها عند جدي عبد الواحد. كنت حينما أكون بجواره أشعر بالاطمئنان، ولكن هذا الشعور أصبح يخالطه الوجاهة ونشوة المنصب البارز لأمل في هذه العائلة، وشيئا فشيئا، كنت أذهب إلى مقر مجالس الشيوخ لأزوره بصحبة أبي، وأحيانا ألقاه بالطريق وأنا عائدة من المدرسة فيضمني ويضع المظلة علي لتظللني من الشمس، وكنت أحب أن أحمل عنه مشلحه أحيانا إن لم يكن يلبسه ويحمله على يده؛ لأشم رائحة جدي المميزة بالبخور مع الورد.

في ضوء ما تقدم، اصطحبني أبي رحمه الله إلى مقر المحكمة، لا أذكر بالضبط أين، ولكن ما أذكره هو مجلس للمشائخ في المحكمة، وهذا المجلس كبير جدا مليء بالمشايخ، والمجلس يضم نوافذ كبيرة ومطلة على الحرم (المسجد النبوي)، فأبي قبل دخول المجلس أخرج من جيبه علبة صغيرة، بها حبات هيل، فحسها بأصبعه ثم وضعها في فمه، وفحسّ أخرى وأعطاني إياها، فسألته، لماذا؟ فقال: الهيل يعطر الأنفاس، وإذا دخلنا، قبلي يد جدك. دخلنا، أنا وأبي، وإذا الحضور كله يقوم استعدادا للسلام على أبي، نهض الشيخ عبد العزيز بن صالح من صدر المجلس متجها إلى الباب نحوي، ومسح على رأسي وخفض رأسه منحنيا مقبلا رأسي، كان من المفترض أن يذهب بي أبي إلى صدر المجلس لأسلم عليه، ولكن تعلمت من هذا الموقف والمواقف التي تلتها أن من يتربى مع أمثال هؤلاء الناس، تختلف طموحاته ونظرته للحياة، لأنني في كل مرة أذهب إلى ذلك المكان، تتعطر أنفاسي من عطر بخورهم، وتستنشق أنفاسي نشوة عجيبة، للتقدير الذي يمنحونه إلى طفلة تعودت على المشي بصحبة والدها إلى كل مكان، فتحظى بتقبيل الرأس والدعاء.

ظللت طوال عمري استحضر مشاهد عدة، رأيت فيها مجالس المشائخ، واستحضر الشعور الذي كان يسعدني بالكلام الطيب الذي أسمعه منهم، ولكن رحم الله أبي وجدي، استحضرت مشاعر أبي كثيرا يوم استلامي جائزة

التميُّز العلمي عام 1438هـ على مسرح جامعة الملك سعود من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز آل سعود، تخيلته معي يوم استلام الجائزة على المسرح، تخيلته بمشلحه الأسود، يمسكني من يدي، ويدور بي على كل الحضور مفتخرا بي وقائلا: هذه ابنتي أمل حياتي، وقام بهذا الدور يومها زوجي، وكل من حضر من أساتذتي ومنهم الدكتور صالح معيض الغامدي، وحضور ابن عمي إبراهيم محمد الذي كان يمثل بالنسبة لي كل أهلي، وكان لصعود صاحب السمو الأمير نايف بن ثنيان آل سعود منصة التكريم وتهنئتي بالفوز وقعه الخاص في نفسي؛ إذ أشعرني بالهيبة والشموخ وهو يرتدي مشلحه، فشكل هيبته ومشلحه ذكرتني كثيرا بهيبة أهلي.

لو كان معي أبي، لتبلورت مشاعر أخرى، على ذاك المسرح تذكرت حكايات جدي رحمه الله عن سبب خروجه من الزلفي طالبا للعلم، إنه شغف طلب العلم، فحينما لم تعجبه الحياة في الكويت، ذهب إلى مكة، وحينما وجد طلبه بالمدينة المنورة استقر فيها ،حيث وجد طلبه وحقق الله أمنيته بالعلم والعمل المزدوج، فكل مشاريع حياتنا تبدأ بأمنية، فيتولى صاحب الأمنية التخطيط والإشراف على أمانيه، والحمد لله عاش جدي فترة حياته مثمرة بالعلم ونفع الآخرين.

كان جدي غالبا ما يدعو (اللهم بارك في أولادي وذرياتهم واحفظهم)، كان رحمه الله كثير الدعاء لذرياته ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**﴾، فوجدنا بركة دعاء جدي رحمه الله قد نال كل ذرياته ولله الحمد، وكان غالبا ما يقول ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**...﴾، فكل ذريته أنعم الله عليهم بنعمة العلم، وكل أحفاده بفضل الله ثم بفضل الدعاء رزقنا الخير والبركة، فغالبا ما كان جدي يقول، قد يرزق سابع جيل بدعوة جد محب على سجادته. فأصبح الدعاء قرة عيني لما رأيت من بركة الدعاء، وإن كانت هناك أسباب للتوفيق، ولكن منذ صغرنا تعودنا على الدعاء.

الأيام الأخيرة لجدي عبد الواحد رحمه الله لا أنساها، أصيب بجلطة، سقط بعدها طريحا على الفراش، ولأول مرة أرى جدي من شموخ هيبته قائما إلى وضاءة وجهه مستلقيا على فراشه طوال الوقت، أصبح صوته خافتا جدا وهو نائم بالمستشفى، وأبي وأعمامي وعماتي لا يفارقونه، يأتيه جمع غفير من الزائرين ومنهم الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله وهو الشيخ الأبرز الذي له مكانة في نفسي، لا أعرف لماذا؟ يمكن أن يحب الطفل من يهتم به ويشعره بتميُّزه.

وفجأة رأيت جدي محمولا على سرير كأنه نعش أبيض يحملونه على سلالم طائرة خاصة (إخلاء طبي) متجها بأمر من الملك خالد - رحمه الله -

إلى لندن لعلاجه، غادر معه أبي وعمي إبراهيم وعمي عبد الهادي وعمتي مريم وزوجها محمد السعد الحميّد، وبقية العائلة بقيت في بيتنا وعمي عبد الرحمن كان وقتها رجل البيت. وبعد سفر جدي بدأ فصل جديد للحياة.

الحياة بدون جدي وأبي وعمتي حياة صعبة جدا أنا ومحمد نزهة كنا صغارا ولكن الدموع كانت تنزل منا لهفة على أحبتنا في لندن، كنا نتحالف أنا ومحمد لنعمل كل ما يحب جدي، وبعد أيام طويلة عاد أحبتنا، وعاد جدي إلى المدينة المنورة من لندن وذهبنا إلى بيته، وفاجأنا أبي بفاجعة قائلا: إن جدي عبد الواحد رأى رؤيا في المنام أنه قد دنا أجله وأن صوتا يدعوه للسفر إلى المدينة المنورة، وأنه شعر بأنه سيموت فور وصوله فعليه بالتعجيل، وطلب منا التعجيل بالعودة به إلى المدينة المنورة، ثم أخبرتنا عمتي مريم بأن حرارته كانت مرتفعة في الطائرة وأخبرها جدي بأن كفنه موجود في حقيبته بالمدينة ومعه وصيته، وأنه ليس عليه دين، وإن مات أوصى بألّا يدفنوه ليلا، وأوصى كذلك بأن تذبح له الذبائح صدقة فور وصوله وتوزع على المحتاجين. هذا ما دار بيننا يوم وصول جدي وأبي وأعمامي وعمتي يوم الأحد.

وفي اليوم التالي لوصولهم يوم الاثنين، وبينما كنت مشغولة بالهدايا التي جلبها أبي معه من لندن ومنها ارتداء اللبس الإفرنجي الذي خصني به والدي ومعه حذاء طويل وربطة عنق إنجليزية جذابة، وخرجت بها إلى الشارع لأشارك صديقاتي فرحة الهدايا معهن وكل واحدة كانت تستعرض هديتها أيضاً.

دخلت البيت فإذا بي أشاهد منظرا غريبا يتمثل في تحميم جدي في وسط البيت ومن حوله أمي وعمتي مريم وعمتي زينب ومعهن مناشف وقطن وعطور جدي الخاصة، ولم يكن استحمام جدي في قلب البيت في الصالة مشهدا مألوفا. كان استحمام جدي في وسط الصالة وعلى سرير، وكان تجمع أمي وعماتي حوله منظرا غريبا، ومشهدا ترسخ في ذهني لا يُنسى. لم أكن

أعلم أن هذا هو الاستحمام الأخير له في حياته، فقد رأيته بعد غسله وتطيبه وإلباسه اللباس المعتاد لاستقبال الضيوف، وضعوه في المجلس وفي اللحظة نفسها دخل عليه أصدقاؤه من المشايخ وكان أبي موجودا يرحب بالضيوف. وبدأ جدي كعادته رغم انخفاض صوته، بذكر الله والتحدث إلى الجالسين ووعظهم كما كان يفعل طوال حياته، وكنت أنظر إليه وهو يقول صلى الله عليه وسلم، وفجأة رفع أصبعه السبابة مشيرا فإذا أبي يفهم من تلك الإشارة إخراج تركيبة أسنانه، وتشهد جدي بعدها وفاضت روحه إلى الله بهدوء بين غمضة عين وانتباهتها وهو بين أولاده وأصدقائه وكنت أنا حاضرة.

أنا كنت أرى المشهد من زاوية مختلفة فلا أحد يرى ما أرى، أمي يدها لم تجف من غسل جدي فكانت الصدمة حزينة ومصيبة عليها، عمتي مريم كانت تقتحم المجلس ثم تعود، أبي خرج ركضا يأتي بالطبيب، عمتي زينب تهدأ قلب أمها وتخفف من فزعتها، علا في البيت صوت التكبير والتهليل، وخارج البيت أرى من النافذة رذاذ المطر وكأنه الدموع يودع جدي عبد الواحد وأصوات المآذن تعلي صلاة المغرب، غطوا جدي بمشلحه، ولأول مرة أرى جدي مغطى الوجه، جسدا ميتا، ورائحة عطره تفوح في المكان، تلك الرائحة التي انتشرت في المكان لا يمكن وصفها أو نسيانها، رائحة الورد المعتق، ممزوجة برائحة العود، كلما شممت رائحة جدي أشعر برائحة كأنها الجنة، مباشرة أتذكر كيف اقتربت منه، وكأنني أتظاهر بأنني سأتناول المصحف من قرب رأسه، نمت على صدره، لم أكن أعلم حينها أنها ستكون هي تلك الليلة آخر ليلة أقبله فيها، وأنام على صدره، خرج الجميع من حجرته، لتجهيز الكفن، واخترت أنا أن أنام على صدره رحمه الله، وتغمده بواسع رحمته وعفوه ومغفرته وفضله وأكرمه ونوّر له قبره وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

مضت تلك اللية وأنا أتأمل مشلح جدي، تمنيت أن يتحرك، تمنيت أن أسمع صوت جدي ينادي، مضت تلك الليلة وأنا لا أفارق مراقبة مشلح جدي

لعلني أفلح بشعور أن جدي ينادي، أمضيت تلك الليلة وكنت أتنفس رائحة أعشقها رائحة جدي، كنت أخاف أن أنام ويأخذوا جدي ولا أراه، كنت وقتها لا أدري أنه في هذه الليلة انتهت حكاية لتبدأ حكاية أخرى.

طلع علينا الصباح، ولأول مرة لا أرى جدي يشرب قهوته، وكان بعد ذلك علي أن أتعود على صباحات فيها ذكريات جدي فقط، أصبح البيت ممتلئا بالناس ولكن بدون جدي، أدخل مجلسه المليء بالشيوخ ولكن في هذه المرحلة يتوسط هذا الجمع الغفير (جدي صالح) والد أمي... لا أنسى هذا المشهد أبداً في حياتي، كان جدي صالح يتوسط المشايخ ووجه كأنه البدر يضيئ نورا، لابسا ثيابا بيضاء ومشلحا أبيض، ويقرأ القرآن بصوت لا تهتز معه القلوب فحسب، بل تهتز معه الجدران. شعرت بالطمأنينة وأنا أرى جدي صالح يتوسط المجلس، ذهبت وقبلت يده ورأسه، وخرجت لأنادي ابن عمتي محمد نزهة ليسلم على جدي صالح، وعندما عدت ومعي محمد، وقفت في طريقي زوجة عمي عبد العزيز (خالة سلوى) اعترضت طريقي ومحمد وكأنها تحدثنا بطريقة فيها خصام، هكذا شعرت، نبهتني أنا ومحمد من عدم الدخول والخروج، وأمرتنا أن ندخل الغرفة التي بالداخل ولا نخرج، شعرت بالغليان الذي يضخ في رأسي، ما أتذكره، أنها تحدثت معنا بطريقة أحرقتني، فشعرت أنني أريد أن أحرقها كما أحرقتني.

شعور مبكر جدا بالكرامة، قد تكون هي محقة في تعليم الأطفال عدم الحركة بالخروج والدخول، وهي تشعر أنها بهذا تربينا كما كان الجميع يشترك في التربية، ولكن من وجهة نظري، كطفلة حينها لم يكن أسلوبها يعجبني، لا يمكن أن تحدثني زوجة عمي بطريقة فيها أسلوب الأمر. من وجهة نظري فإنها تجاوزت حدّها ولم تكن تقدر مشاعرنا أنا ومحمد نزهة، وهي تحاول تعترضنا بأسلوب فيه أمر، انقلب الحال من خطة كيف ندخل إلى المجلس للسلام على جدي صالح إلى الانتقام من زوجة عمي، أعلنتها في داخلي

حربا عليها. شعور الحزن تحول إلى شعور غضب للانتقام، كنت أرى أنها قلّلت من قيمتي وهي تتحدث معي بطريقة لم آلفها، ولكن لن أتحدث بمفهوم ناضجة حاليا، سأصف شعوري كما كنت طفلة، كنت أريد أن أعلمها كيف تتحدث مع أمل بطريقة تليق بها، غضبت غضبا شديدا، وأردت الانتقام منها وحصل ذلك.

خططنا أنا ومحمد نزهة وهو وافق على تنفيذ خطتي، وضعنا يدا بيد على أن ننتقم منها، بدأنا وتظاهرنا أمام الناس أننا دخلنا لأن البيت عامر بالضيوف في كل مكان، ثم اتجهنا إلى الغرفة التي أمرتنا بالبقاء فيها وهي غرفة يتجمع فيها أهل البيت ثم أخذنا حقيبتها اليدوية، لا أذكر كيف أخذنا الحقيبة إلى خارج البيت، المهم خرجنا بحقيبتها إلى أمام البيت، وبدأنا أنا ومحمد بتفتيشها ، وبغضب شديد بدأنا تصفية حساباتنا مع أغراضها بالحقيبة، نحطم الكحل ثم نرميه مباشرة في حفرة أمامنا، نحطم أدوات المكياج، نكسر أي شيء قبل التخلص منه، لا أعرف كم من المدة أمضينا ونحن نحطم أغراض زوجة عمي ولكن شعرنا بمتعة الانتقام منها، وخرج حينها جدي صالح ولحقناه أنا ومحمد وسلمنا عليه وعزانا بطريقة لطيفة، شعر بمشاعرنا وبكى معنا. رأيت جدي صالح يبكي على جدي عبد الواحد!

لا أعرف كيف عرفت زوجة عمي بخطة الانتقام منها، ولكنني بكل ثقة عبرت عن مشاعري نحوها، وسألوني، لماذا انقلبت على زوجة عمك كل هذا الانقلاب، بمشاعر صادقة حكيت وقتها عن استيائي من طريقة أمرها، وفرحت أن الجميع وقف معي، وعاتبوها في طريقتها وأسلوبها، ويبدو أنني منذ ذلك الزمن المبكر من عمري وضعت حدودا للكبار كيف يتخاطبون مع أمل، وهذه الحادثة، ما يزال الكل يتذكرها بمن فيهم زوجة عمي. زوجة عمي، تحبني مثل ابنتها، وهي رائعة وتحرص على إهدائي ما أحب من طعام من يدها، وإلى الآن ترسل لي (الغريبة) لأنها تعرفني أحبها، وزوجة عمي في

طريقتها هكذا مع الأطفال، لا تريد الانقاص من أمل مثلها مثل كثير من الناس فقد لا يشعرون بأن طريقتهم مع الأطفال لا بد أن تتفاوت بحسب الطفل. خلال تاريخ حياتي عرفت أنني حساسة جدا وتتناسب في طريقة التخاطب معي اللباقة. لست وحدي من اكتشف هذا، بل جميعنا من تربى في بيت جدي عبد الواحد رحمه الله، هكذا، نتعامل مع الناس كأنهم شيوخ، ونتعامل مع الأطفال كأنهم أمراء. ونبدووكأننا لا نخربش من الخارج، ولكن نعطي الناس رسائل يفهمون منها (برتوكولات) الحكي التي تتناسب معنا.

بعد موت جدي رحمه الله، عرفنا ميزة الرجل الكبير الذي يربط أواصر المحبة، انتقلت جدتي ملكة وأعمامي للسكن في عمارة عمتي مريم، وتميز بيت عمتي مريم بجمع أعمامي لأنها الابنة الكبرى، ولوجود جدتي ملكة وأعمامي في نفس العمارة، وتميز بيتنا باستضافة أهل جدي من الزلفي الذين كنا نستضيفهم لشهور وكانت أمي تقوم على ضيافتهم. وبعد موت أبي انتقلت الضيافة والتواصل إلى بيت عمي عبد العزيز ومحمد علي ابن عمتي عيشة، وتميز عمي إبراهيم بتنفيذ وصية جدي عبد الواحد طوال هذه السنوات والإشراف على بناء مسجد جدي وملحقاته، وإن كنت أنا ومحمد نزهة حظينا بالحنان الأكبر في بيت جدي عبد الواحد لأننا تربينا في كنفه وتغطينا بمشلحه، فالجميع حظي بالدعاء من جدي، وهناك طريقة لمعرفة حب جدي لنا من خلال الوصية التي تركها، سأورد نصها هنا المكتوب بخط اليد والمصدق بالمحكمة، وأهم بند في وصيته لأولاده وأحفاده بتقوى الله وإقامة الصلاة وصلة الرحم فيما بينهم.... وقد تعلمت منها الكثير والكثير من الدروس، وتعلمت أن بنود الوصية هي حب من الموصي إلى الموصى إليهم، ويبقى أن نتعامل معها بنفس الحب الذي كانت تُكتب به، وكان رحمه يكتبها كل سنة ويجددها، ويهتم بها بنفس درجة حبه لأولاده وأحفاده وكل أقاربه.

صورة الوصية وبعض نماذج المراسلات الإدارية والإخوانية

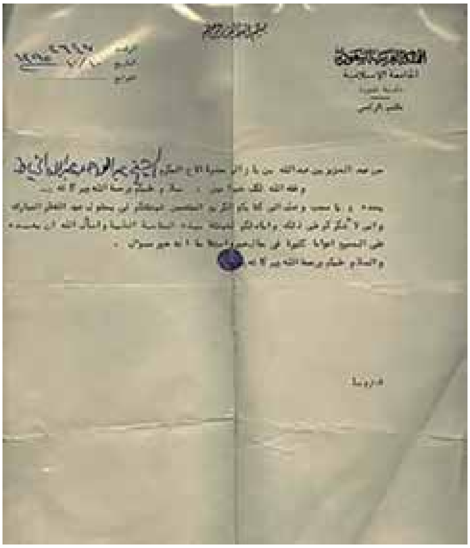

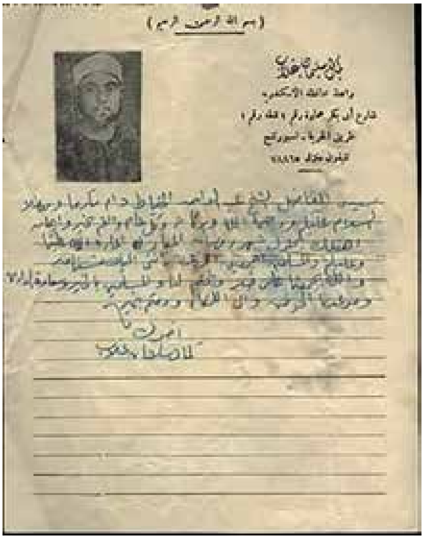

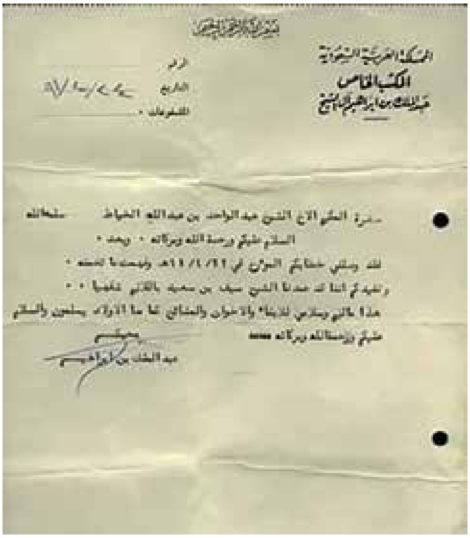

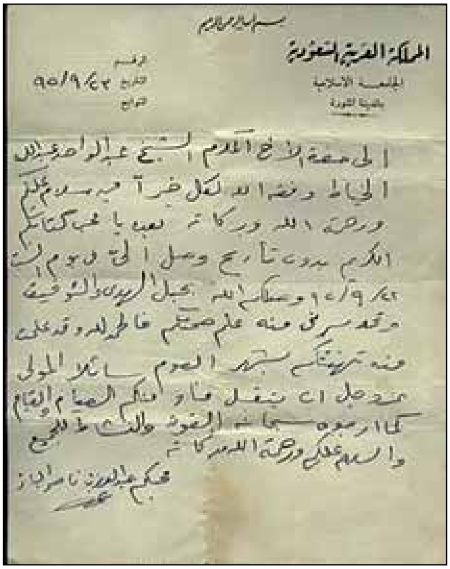

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

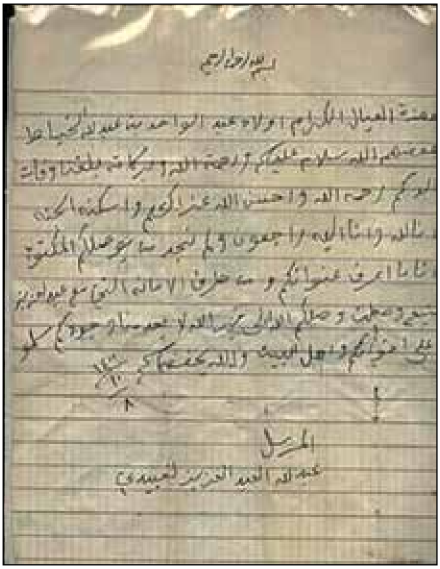

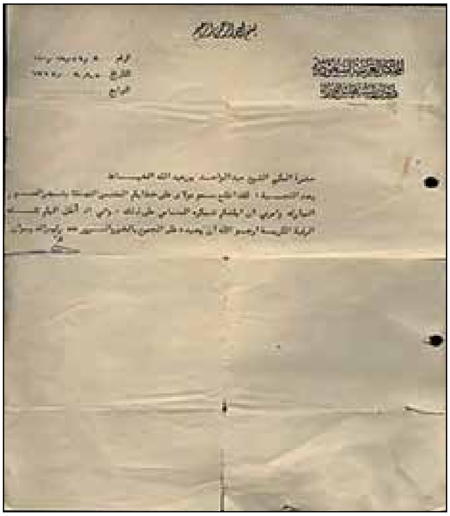

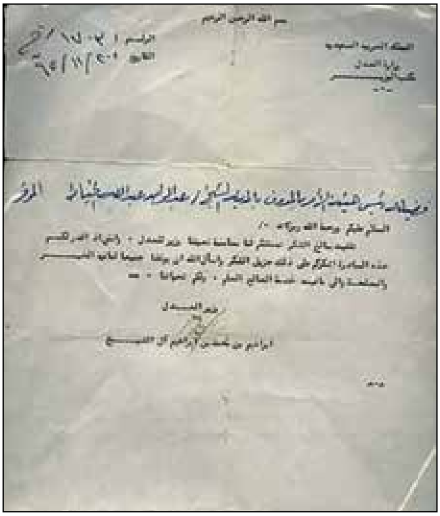

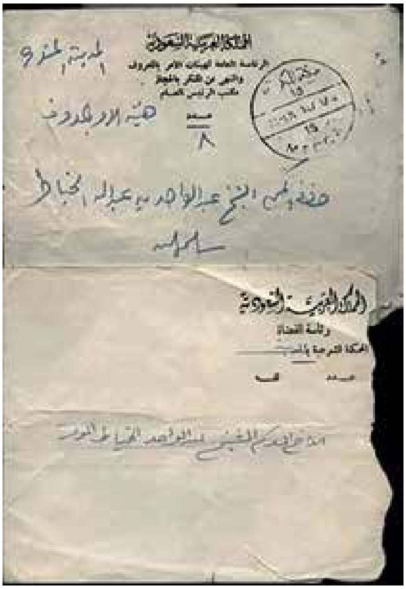

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحجاز
مكتب الرئيس العام
بالمدينة المنورة
هيئة الأمر بالمعروف
حضرة المكرم الشيخ عبدالواحد بن عبدالله الخياط
سلمه الله

المملكة العربية السعودية
رئاسة القضاة
المحكمة الشرعية

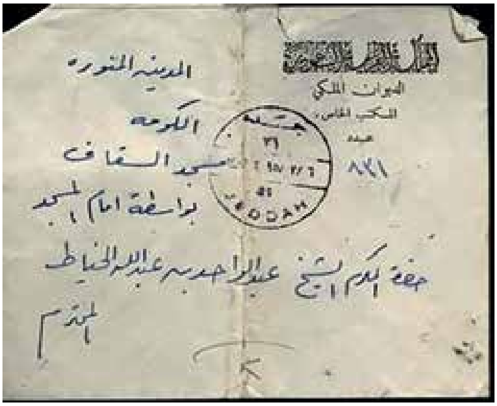

الديوان الملكي
المكتب الخاص
المدينة المنورة
الكرمة
مسجد السقاف
بواسطة امام المسجد
حضرة المكرم الشيخ عبدالواحد بن عبدالله الخياط
المحترم

صورة قصيدة جدنا عبد الرحمن المطوع التميمي

أوردت هنا بعض المخطوطات التي أمتلكها من أوراق جدي، فقد كان بينه وبين بعض الشخصيات مخاطبات، وهي كثيرة جدا أوردت بعضها مثل البرقيات بينه وبين الديوان الملكي لجلالة الملك فيصل رحمه الله، أو لجلالة الملك خالد رحمه الله، أو لبعض الوزراء مثل وزير العدل الأسبق صاحب المعالي الشيخ إبراهم بن محمد آل الشيخ، أو لبعض المشايخ مثل فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وكان وقتها مديرا للجامعة الإسلامية، ولمعالي الشيخ عبد العزيز بن ناصر الباز مستشار سماحة الشيخ بن باز، ولمعالي الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ (المكتب الخاص). وكذلك الكثير من البرقيات مع الديوان الملكي، وبعض الرسائل مع المشائخ من البلدان العربية وأقاربه في الكويت منهم يوسف الناصر البورسلي، والعم العبد العزيز العبيدي من الزلفي. وتجمع وثائق جدي بين الوثائق الإدارية والإخوانية، فسوف أسلمها بإذن الله إلى دارة الملك عبد العزيز بعدما علمت أنها مهتمة بجمع الوثائق التاريخية لمرحلة مهمة من مراحل السعودية، وتضم شخصيات تاريخية خدمت الوطن والدين، ولعل هذه الوثائق تكون باب خير للدعاء لجدي ومن فيها رحمهم الله جميعا، وتكون دراسة لمرحلة تاريخية مهمة في طريقة التراسل بين المشائخ، فهناك رسائل رائعة بين جدي وبعض المشائخ في طريقة الدعوة على الغداء أو في المعايدة في الأعياد أو في طريقة التهنئة بشهر الصوم رمضان، وأغلب الرسائل بخط اليد وبعضها مطبوع بطريقة الكربون، وأحيانا يتم الرد على الرسالة نفسها من جانب الرسالة الأيسر، إن ما أملكه من وثائق يعد، في الحقيقة، ثروة تاريخية نفع الله بها ورحمهم الله جميعا وجعل أعمالهم في ميزان حسناتهم وبارك الله فيها.

مرشودة وابن الضريرة

كانت جدتي (مرشودة بنت عودة بن مسعود المطرفي الصاعدي العوفي)، رحمها الله، صاحبة نكتة ومرح ولها حضور جميل، هي والدة عمي إبراهيم، ولكن لم أكن أعرف ذلك وأنا صغيرة، كنا نعيش باندماج بوصفنا عائلة كبيرة تعيش مع بعضها، كانت أمي تزور بيت جداتي اللاتي تزوجن من جدي عبد الواحد وتزور أهلهن جميعا من الأخوات والأقارب وبينهم وصل عجيب كأنهم عائلة واحدة، الكل يزور بيت جدي، ونزورهم وكذلك نزور أقاربهم، ونتعامل مع هذه العوائل الأخرى على أنها جزء من عوائلنا ونتزاور وبينهم ألفة ومحبة عميقة جدا، ومن بين هذه العوائل أهل جدتي مرشودة بالبركة وحاليا يطلق عليها (حي الأزهري)، وهذا المكان حاليا من أرقى أحياء المدينة المنورة.

كانت جدتي مرشودة رحمها الله فاقدة البصر ضريرة العينين، ولكن كان لها بصيرة، سبحان الله، فهي تعرف إذا مر الشخص أمامها، وتعرف الوقت إن كان ليلا أو نهارا، وتعرف الألوان إذا كانت غامقة أو نارية، لا تجلس إلا و(الراديو) المذياع بجوارها، أكثر ما يكون لصيقا بشخصيتها برنامج إذاعي اسمه (**أم حديجان**)، وهو عبارة عن شخصية إذاعية قديمة كان يقدمها الفنان عبد العزيز الهزاع، كان إذا بدأ البرنامج ينصت الجميع احتراما لجدتي مرشودة التي كانت مولعة بسماعه، ثم بعد أن ينتهي تعيد قصصه مرارا وتكرارا ويضحك الجميع على قصصها ونكاتها ويحب الجميع لطافتها، فهي شخصية تحدث طاقة إيجابية في المكان بمرحها وحكاياتها.

كانت جدتي مرشودة رحمها الله قصيرة القامة، شعرها طويل جدا إذا جلست تمشطه يجلس معها على الأرض، وإذا انتهت من تمشيطه، أخرجت كيسا فيه شعر كثير، وما إن تفتحه لتضع بقايا شعرها في هذا الكيس، إلا وتفتح معه الاستجوابات مني والحكايات منها، فكنت أسألها، لماذا تضعين شعرك في الكيس ولا ترمينه، ويبدو أن من عادة بعض النساء أن لا ترمي شعرها أبدا؛ لأن في هذه الفكرة تتلاقى جدتي مرشودة وجدتي (أمي غيثة) تجمع شعرها

في كيس ليدفن معها، فكنت أجلس بجوار جدتي مرشودة وأسألها كثيرا، فكانت تجيبني على تلك التساؤلات بردود عجيبة أحيانا، منها: أنني لو رميت شعري بالشارع أصير مجنونة وأفقد عقلي، أو تقول كلنا نجمع شعرنا وإذا متنا يدفن معنا، وكانت تحكي حكايات كثيرة عن (بقايا الشعر) الممشوط في بقايا المشط، أما هذه الكذبة الأخيرة فقد انطلت علي وصدقتها، فكنت أسألها كيف أتيت إلى الدنيا؟، فتجيبني، بأننا وضعنا بقايا شعري في حلق والدتك، (فقرفت وطرشتك) أي تقيأت من حلقها وخرجتِ من بطنها من حلقلها، فكنت أحسب أن النساء يلدن بالتقيؤ، عن طريق تحريك الشعر في حلوقهن فيحدث هذا الشعر الاشمئزاز فتلد المرأة، وهذه الأسطورة حكتها لي جدتي مرشودة رحمها الله.

كانت تحكي لي قصصا كيف أصبحت كفيفة، وهي قصص أقرب ما تكون إلى الخيال لدهشتها، حياتها كلها مثيرة وفيها صبر عجيب، والأعجب أنها لا تحكي القصص في شكل ماضٍ حزين ولكنه بوصفه ماضيا مرحا، فمن يسمع ما تحكي لا يبكي رغم أن القصص تُبكي، ولكنه يضحك معها، ويصاب بإدمان عجيب إلى سماع المزيد والمزيد، فكانت ساحرة بأسلوبها الجميل رحمها الله.

بعدما كبرتُ وقرأت عن شهرزاد تأملت (جدتي مرشودة) فهي أقرب ما تكون إلى شهرزاد العائلة التي يلتف حولها الجميع ليسمع الحكايات الجميلة والطريفة، ومن بين هذه الحكايات قصة (التيه) وهي قصة ضياعها من أهلها، فتحكي لنا أن أهلها من سكان البادية من منطقة وادي ريم غرب المدينة المنورة، وأن أمها توفيت وهي صغيرة، وفي أثناء قيام والدها برحلة من وادي ريم إلى المدينة المنورة، وفي أثناء سيرها تركت خطام الجمل وأخذت تلهو ببعض الأشياء في الأرض ولم يشعر بها أبوها، حيث سار الجمل عنها وهي لاهية عنه، فلما انتهت من لهوها لم تجد الجمل ولا أباها، حيث سار الجمل بأبيها حسب المعتاد باتجاه المدينة لحفظه الطريق، فجلست في مكانها تبكي ولم تشعر إلا بمرور جمّالة متجهين إلى المدينة فرأوها وحملوها معهم،

وكانت طرق الجمال متفرقة وليست طريقا واحدا، ولما افتقدها أبوها أخذ يبحث عنها بين الجبال والشعاب حتى أضاع مكان فقدها فرجع إلى موطنه بعد أن أعياه الجهد وعاد إلى البحث عنها وسؤال أهل البادية الموجودين في المنطقة التي فقدها فيها لعدة أيام حتى أصابه اليأس في العثور عليها، لكنه كان على أمل أن تكون على قيد الحياة، فاستمر ضياعها عن أهلها لمدة سنوات طويلة حتى وجدتهم بعد زواجها من جدي عبد الواحد.

الحكاية الأكثر تعذيبا في حياة جدتي مرشودة، وكنت دائما أحب أن أسمعها منها، هي أنها أصيبت بمرض الجدري الذي أهلك الناس في السعودية وقتها، وحبيبة قلبي، فقدت بصرها من جراء هذا الوباء الخطير، فضاعت عن أهلها وفقدت بصرها، تعرضت بعدها لألم شديد من التشرد والمرض والعمى. حبيبتي كانت تحكي أن جملا برك عليها وجاء ليقتلها، ثم وجدها جدي عبد الواحد وأواها عنده، ثم اقترح المشايخ أصحابه عليه أن يعقد عليها تحسبا للحرام والحلال في وجودها في البيت، وحينما تحكي لي هذه القصة، أعدل جلستي، وتبدأ الاستجوابات.

تبدأ الاستجوابات لأننا لا نعرف جدتي فاطمة والدة أبي إلا من خلال حكايات جدتي مرشودة، تبدأ جدتي مرشودة تحكي عن يوم عقد قرانها على جدي عبد الواحد بترتيب من جدتي فاطمة. أعدل جلستي وأحاول أن أفهم كيف ترتب زوجة لزواج زوجها من امرأة أخرى، فتقول جدتي مرشودة في قرارة نفسها لا تغار مني لأني ضريرة، وكانت تحسن إلي، ثم جهزتني وأشعرتني بأني عروس، وكنا نام على السطوح، فرشت لي السطوح وجهزت لي الفراش أنا وعبد الواحد، كانت تظن أن مشاعرها لن تتحرك من بنت صغيرة ضريرة، فجهزت كل ترتيبات العرس.

وتكمل جدتي مرشودة الحكاية، وكأن مشهد سطوح البيت أمامي، تقول إن السطوح ينقسم إلى قسمين، فنكمل مع جدتي مرشودة الحكاية بقولها:

جهزت فاطمة السطوح وكان عبد الواحد ليلتها من نصيبي لأنني عروس، وبعدما انتهى العرس، واختليت بعبد الواحد وسمعت فاطمة صوت خلوتي مع الشيخ عبد الواحد، جن جنونها، وصرخت قائلة: (واكبراه، واكبراه، واكبراه) أدركت فاطمة أم محمد أن زوجها يبيت مع زوجة ثانية، ونسيتْ أنني ضريرة وتذكرتْ أنني زوجة، فدخلتْ علينا، ورمت أباك محمدا وكان صغيرا في اللفة، وخرجت مثل المجنونة وراحت إلى بيت أخيها عيد في ظلمة الليل وصوت نباح الكلاب يتبعها، مشاعرها جنت يوم عرفت أن زوجها ينام مع زوجة ثانية. لقد حكت لي جدتي مرشودة هذه الحكاية مرارا وتكرارا، وكل مرة أشعر بشعور جدتي فاطمة رحمها الله، وأشعر أنها حاولت أن تكون إنسانة مثالية ولكن مشاعرها غلبتها، ثم أعود واسأل جدتي مرشودة وبعد ذلك ماذا حصل؟.

جدتي مرشودة في كل مرة تحكي الحكاية تشعرني أن فاطمة خرجت قرب الفجر من بيتها من شدة جنون الغيرة، وراحت إلى بيت أخيها عيد في السكة الحديد وحول بيتهم كلاب، يعني يبدو أن جدتي فاطمة قامت بشيء عظيم من الشجاعة لا يُصدق، كونها خرجت بالليل وقطعت تلك المسافة. ثم تحكي لي جدتي مرشودة أن جدتي فاطمة حاولت أن تتعقل وتتغلب على غيرتها وعاشتا فترة من الزمن مثل الأخوات في بيت واحد ولكن للأسف جدتي فاطمة كان عمرها قصيرا، وتقول جدتي مرشودة: قد يكون موتها بسبب قهر الغيرة.

ولكن ما تحكيه جدتي مرشودة عن معايشتها لجدتي فاطمة أنها كانت أياما جميلة وفيها كثير من المقالب والضحك والحب، ومما تحكيه لي أن جدتي فاطمة كانت تجهز جدتي مرشودة لجدي عبد الواحد في ليلتها، واستغلت جدتي فاطمة أن جدتي مرشودة ضريرة فرسمت على وجهها بالفحم، فعرفت جدتي مرشودة من جدي عبد الواحد المقلب الذي قامت به جدتي فاطمة، فردت لها المقلب بذكاء، فطلبت جدتي مرشودة من فاطمة أن تحملها على ظهرها متظاهرة عليها أنها عالقة لتساعدها، فحملت جدتي

فاطمة جدتي مرشودة على ظهرها مثل شوال الدقيق، ولما تمكنت مرشودة من ظهر فاطمة بالت عليها، وبهذا التّصرف اقتصت منها بذكاء، فضحكتا وكركرتا حتى سقطتا من فرط الضحك، وهكذا لو أردت أن أكتب مجلدا من حكايات جدتي مرشودة لا تنتهي معها الحكايات الجميلة.

كانت جدتي مرشودة رحمها الله جميلة الروح عذبة الكلمة، ارتبطت في خاطري بحب بسكويت (على طلبك) الذي كانت دائما تحمله لتفرح الأطفال به، إذا جاءت إلى بيتنا شاع الحب والمرح والضحك، يأتي الجيران وكل أهل أمي للسلام عليها وسماع قصصها، الكل يحبها ويقصدها ويُخصها بالحب. الصورة تختصر المشهد في صورة امرأة أعطاها الله كثيرا من جمال الروح، وقد كان وجودها مكسبا لنا ولأبي ولكل العائلة.

من مكاسب زواج جدتي مرشودة من جدي عبد الواحد الكثير والكثير، وأجملها عمي إبراهيم (ابن الضريرة) الابن البار بوالديه، مات والده ومات أخوانه وهو ينفذ الوصية، بنى لجدى مسجدا وسلمه إلى وزارة الأوقاف، باختصار وجود عمي إبراهيم في حياتي أكبر مكسب وهو نجم العائلة حاليا، فبعد موت أبي كان هو المرجع الأول لي في كل أمر، حفظه الله، وذريته هي امتداد لجدي مثل أخي وأبناء عميّ، حفظهم الله جميعا، وابنه فارس هو أكثر الأولاد شبها بجدي عبد الواحد وكذلك ابن عمتي زينب أحمد جبلاوي.

رحم الله جدي عبد الواحد الذي بطيبته مع مرشودة العمياء صاحبة الضفائر الطويلة وصاحبة الابتسامة الجميلة، وإن كان قد خلف مرض الجدري أثاره على تقاسيم وجهها، فقد خلفت في نفوسنا بجمال روحها أجمل أثر، خلف لنا منها جدي أجمل ذكرى رحمها الله واسكنها الفردوس الأعلى، فتعلمت من هذه الجدة المرحة أجمل حكايات المرح والبهجة والتفاؤل، وتعلمت منها أنه مهما كانت ظروف الشخص صعبة فهو قادر على تجاوزها، فالإعاقة في الفكر وليست في الجسد.

شبيه جدي عبد الواحد ابن عمي فارس

شبيه جدي عبد الواحد أحمد

أمي غيثة

جدتي (أمي غيثة) هي جدة والدتي. في بداية طفولتي المبكرة لم أكن أعرف العلاقات القرابية في بيت (جدي الشيخ صالح) والد أمي، ثم شيئا فشيئا بدأت بالتعرف عليها، وسأوضح السبب. كانت (أمي غيثة) شديدة البياض بلون الثلج، وطيبة وحنونة، وكذلك جدي صالح، شديد البياض وكأنه لون الثلج وبه وضاءة في وجهه، ونناديه جميعنا (جدي صالح). مشاعري كانت ملئية بالحب لجدي ولأمي غيثة كذلك، فكنت أحسب أمي غيثة زوجة لجدي صالح، وبقيت على ذاك الظن سنوات .

جدي الشيخ صالح رحمه الله والد أمي

فجأةً! اكتشفت أن هناك امرأة سمراء اسمها (أمي هنية) بنت أمي غيثة وهي زوجة جدي صالح وهي جدتنا وأم والدتي، في الحقيقة صدمتني القرابة، كيف يكون هذا الرجل الأبيض شديد البياض وأن تكون زوجته هذه السمراء التي لا تتكلم أبدا. من هذا الموقف نكتشف أن الطفل لا يعرف صلة القرابة

إلا إذا تكلم من حوله وتأكدوا أنه يعرف ذلك، وهذا الذي حصل معي. كان اكتشاف هذه القرابة بالنسبة لي أشبه بالعثور على كنز، وألغاز أريد حلها، وكان شرح هذه القرابة هي أول علاقة حكايات بيني وبين جدتي (أمي غيثة)، هذه المرأة البيضاء الجميلة، تحكي قصصا أغرب من الخيال.

حكت لي جدتي (أمي غيثة) أنها كانت تسكن في ينبع النّخل، ومن عادة البنات حينها أن تكون وظائفها شغل البيت، وجدتي (أمي غيثة) كانت تتقن القراءة والكتابة وتعلم البنات كذلك، ليس هذا فحسب، بل كانت أيضا تجيد الخياطة والتطريز، وتجهز جهاز البنات من شراشف ومخدات وكوافي، وبقش، وتخيط ألحفة النوم. خطبها ابن عمتها (مهنا بن سرور)، ويعد من شيوخ أهل ينبع النخل، وكان أسمر اللون، وفي هذه العائلة سمة وراثية وهي (الصمم والبكم)، وحصل أن تزوجت أمي غيثة مهنا، وصباح هذا الزواج اكتشفوا احتمالية أن يكون بينهم رضاعة، وحصل حكي وانهاء للشك تم الطلاق، وكتب الله (هنية) ثمرة ذاك الزواج، وبعد فترة تكتشف أن هذه البنت التي رزقت بها صماء وبكماء، تعلق قلبها بها ولم ترزق بغيرها، هي الابنة الوحيدة، ثم تزوجت بعد انتقالهم إلى المدينة المنورة برجل آخر ورزقت منه بولد وحيد (خلف الطوري)، وهذا الولد الوحيد بعد فترة يسقط من الجمل ويشل، ويظل قعيدا طوال حياته، كنت وأنا أسمع الحكايات من جدتي (أمي غيثة) أسمع معها الصرخات الموجعة على حظها، وكان أبي يسجل بعض حكاياتها، ثم يمازحها قائلا: (وأصيح، وأصيح، وأصيح).

كنت طوال حياتي أسمع أبي يقول لأمي غيثة (وأصيح، وأصيح، وأصيح) ثم هذه الكلمات تجعلها تضع مسفعها على شفتها وتضحك، تنحني قليلا برأسها، ثم تضم يدها وتفتحها قائلة: يامحمد، تضحك مع أبي، ولم أكن أعرف أنها تضحك معه على أوجاعها، ولم أكن أعرف أن أبي يلاطفها حتى تنسى آلامها. كانت جدتي (أمي غيثة) تمتلك أنوثة رائعة حينما تضحك، تضع

طرف يدها لتخبئ فمها، وبدون شعور مني وبإعجابي الشديد بها أصبحت ابتسم بنفس الطريقة الفاتنة لابتسامتها وضحكها الأنثوي.

امرأة جميلة كاملة الأنوثة، ولكنها لم تعش أنوثتها كما تريد، وابتلاها الله بابنة صماء بكماء وابن مشلول، ومع هذا تشعر بكلماتها وضحكها بالرضى والسعادة، اشترطت من جدي صالح يوم خطب ابنتها أن لا تفارقها وتبقى معها، ترعاها وترعى أبناءها، وتكمل أي تقصير من ابنتها ذات الاحتياجات الخاصة.

تعد جدتي (أمي هنية) حظيظة جدا أن يهبها الله زوجا مثل جدي صالح كان شيخا وقورا وفائق الجمال ويقبل بشرط والدتها، والعجيب أنه لم يتزوج عليها أبدا وأنجبت منه خمس بنات وثلاثة صبيان من أجمل البنات والصبيان في الدنيا، جمالا وصحة وعافية، ولم يكن أي منهم مصابا بالمرض الوراثي، الحمد لله، وكان جدي صالح كثير الدلال لجدتي (أمي هنية) إذ كان يطبخ لها، ويغني لها أمامنا، (أنا وحبيبي في جنينة والورد خيم علينا).

ذكريات الدهشة الأولى في طفولتي التي جعلتني أعرف الصلات القرابية بين أمي هنية بأنها زوجة جدي صالح هي نفسها التي أصابتني بالدهشة يوم وفاة أمي هنية رحمها الله، كنت أنا من غسلتها الوداع الأخير بمساعدة خالي ناصر وأختي وديان، وضفرت لها شعرها الذي قابلت به ربها، وبعدما جهزتها بيدي ووضعت يدي بيدها التي كانت كأنها لمسات الحرير، وتبدل اسمرار بشرتها إلى بياض جميل، وملامح جميلة لا أنساها، أدهشني الجمع الغفير الذي دخل يقبلها القبلات الأخيرة على جبهتها، وكل من دخل عليها هم من سلالتها وأبنائها وأحفادها، وأرحامها. ابنة وحيدة صماء بكماء، رزقها الله كل هذا الخلق منها، يوم وفاتها تجلت لي حكمة ربي في توزيع الأرزاق، واكتشفت أن الجمال رزق من أرزاق الله، وإن لم يُرزق الشخص برزق الجمال يعوضه الله بأرزاق أخرى، فأين نحن من تأمّل هذه الحكم من حولنا؟.

وبتأمل حياة أمي غيثة، نجد أنها كانت فائقة الجمال وحظها قليل في الأزواج، اختلفت القوانين في حياة هذه الجدة أمي غيثة فإن كانت لها ابنة واحدة، فكل من حولها يناديها (أمي) وهي أم للجميع، فقد كان كل الجيران والرجال والأجانب ينادونها (أمي غيثة). كان يحبها الجميع حتى عتقاء أهلها من العبيد يزورونها (دادي سعيد ودادة كاملة) وأسمعهم ينادونها عمتي أمي غيثة.

كانت أم الجميع ولكنها صديقتي التي فجرت كل مواهبي (الخياطة، ورواية الحكايات، ...) في فترة مهمة في حياتي. في (طفولتي)، و(مراهقتي) كانت دائما معي منذ فتحت عينيّ على الحياة وحتى قبل زفافي، توفيت ولم تحضر زفافي، فتركتُ العالم في أجمل ليلة تنتظرها كل فتاة لأكتب رسالة لأجمل جدة وصديقة عمري، كنت أخيط معها ونحكي الحكايات، تعلمت منها العطاء والكرم والحنان، كانت شخصية حنونة جدا تعلمت منها كيف يكون العطاء، وكيف تجذب الآخرين بالحب والاهتمام وتخصص لكل العائلة حصة من الفواكه من محل ابنها خالي خلف رحمه الله.

من الواضح أن أمي غيثة لم تكن حبيبتي وحدي، فكان أبناء أختها (مصطفى وعلي الطوري) وهما من تجار المدينة، يبرونها بالوصل والأرزاق، وكان ابنها المشلول (خلف الطوري) بائع فواكه، ووفقه الله ورزقه الكرم بالأخلاق والمال، فكانت خيرات أمي غيثة في بيتها توزع بطريقة الحصص، وكل حفيد من أولاد أمي هنية يأتيها ليأخذ حصته.

عشت على هذا الكرم الطائي طوال حياتي، كان بيت أمي غيثة طوال حياتنا في العنبرية بابها أمام بابنا، وبعدما طاحت في سابع أختي فاطمة وكُسرت صابونة رجلها وجلست قعيدة طوال حياتها، وأصبحت في نهاية عمرها تسكن معنا وأصبحت معها ليل نهار نقضي الوقت في حياكة الملابس والحكايات.

فاطمة دغيليب عيد العامرية

جدتي والدة أبي هي فاطمة دغيليب عيد العامري الجهني، من جهينة ينبع رحمها الله، كان أبي بارا بأهلها جدا، بارا بخاله عيد دغيليب العامري، وكان لهذا الخال التقدير المبجل في حياة أبي. ولو مررت يوما من جوار ابن من أبنائه ولم أسلم أكون كأنني ارتكبت جريمة، وما زال التواصل مع أحمد العامري ابن خالي عيد قائما حفاظا على ود أبي معه ومع أخواته. مات خالي عيد رحمه الله، وماتت زوجته وأرى النور في وجه أبنائه وبناته حبا لهذه العائلة كلما سلمت على أحد منهم قلت له هذه العبارة المحببة على قلبي: (هلا بالغالين وريحة الغالي).

عائلة (العامري) جميعهم غال من ريحة الغالي، وهم ود أبي، فلا أرى منهم أحدا وإلا وأتذكر في طفولتي هذه الآية الكريمة التي ترن في أذني بصوت أبي الذي كان يكررها مرارا وتكرارا: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ وإذا ما قلت إنني كنت أسمعها يوميا من أبي فلا أبالغ. كان أبي يوصينا بصلة الرحم، وأمي من بعده سارت على نهجه تماما، فهي خريجة مدرسة محمد عبد الواحد في صلة الرحم، وتبين لي مع السنوات أن الشخص الذي يتربى على صلة الرحم، يصبح متصالحا مع نفسه، محبا للحياة، وتزداد سعة رزقه، فقد وجدت بركة صلة الرحم كثيرا وأنا مدينة بذلك للتربية التي تربيتها من أبي، ثم من أمي التي حافظت على علاقتها بأهل أبي حتى بعدما مات أبي، فالبر حب وصلة الرحم حب.

كان بيتنا دائما عامرا بأقاربنا، وحينما يدخل علينا أحد من أقاربنا، ونحن نأكل يقول له أبي: (تفضل أربعين لقمة)، يا حبيبي ياأبي، كانت هذه العبارة

جميلة لمن يسمعها منه، فيقترب السامع ويأكل وهو يبتسم، فكان يشعر السامع بمرح أبي ويتفادى الحرج.

في أوراق أبي الخاصة عشرات الصور التي تجمعه بخاله عيد رحمه الله، وعشرات الصور لأبنائه، وزواجات بناته، مما يعني أننا كنا نعيش مع هذه العائلة أدق تفاصيلها الخاصة. فبر أبي بخاله جعلني أتأمل (صورة الخال)، من المؤكد أن أبي كان يشعر أن هذا الخال جزء منه، وأنه جزء من أمه، ورث أبي كثيرا من فاطمة العامرية رحمها الله.

كان هذا الخال كريما شاعرا تتجلى مكارم الأخلاق في صفاته. وكان ابنه صالح رحمه الله شاعرا مات صغيرا جدا على أثر حادث أثناء تأدية واجب عمله، ويبدو أن هذه العائلة مبتلاة بالموت المبكر، واليتم في عائلتهم، فغالبا ما كنت أسمع القصص عن خال أبي صالح الشاعر صاحب العينين الزرقاوين، الذي مات صغيرا، وهم يتذاكرون أشعاره.

في يوم من الأيام كنت في المنطقة الشرقية عام (1431هـ)، أتناول وجبة الغداء بين المحاضرات من الساعة (12-1) ظهرا في مطعم (كودو)، وإذا بعمتي مريم تتصل على الهاتف الجوال، وبابتسامة قائلة: أمل ورثتم من

جدتكم فاطمة (تسعة ملايين)، شاركت عمتي الضحك وحسبته مقلبا من مقالبها كما جرت العادة، فغالبا ما تتصل علي كل يوم وقت الدوام وتغني لي مثل أمي أغنية:

يا ليتني طير وأطير حوليك مطرح ما تروح وأنا عيني عليك

وإذا لم تغنِّ لي، تقول: اتصلت آخذ منك فتامين، فتامين عمتي (القبلة) والفيفادول، (الحضن)، هكذا كانت عمتي مريم كل صباح تشعرني وأنا في عملي بالاهتمام والحب، فصباحات عملي تزداد اشراقا وجمالا بها، وأعتقدت أن هذا الخبر بوراثتنا (تسع ملايين) قد كان مقلبا من عمتي، فلم أهتم بالأمر، وعدّى الموقف مثل سائر المواقف والمقالب.

لكن ما كنت عديته مقلبا يصبح حقيقة، فبعد موت جدتي فاطمة بما يقارب خمسين عاما، يُكتشف لها إرث، وليس المبلغ كما ورد في مقلب عمتي، وهذه القصة أشبه بالخيال، فأبي لا يعرف أمه، وأبي مات منذ سنوات، ومع ذلك نتبين أن لنا ورثا من جدتنا التي لا نعرفها. فمن ضمن المعلومات التي وردتني بعد هزة الأرض التي أصابت (العيص)، أن جدتي فاطمة كان لها أرض في العيص، وبعدما جاءت هزة العيص، بيعت هذه الأراضي وقدرت أثمانها، وأعطي ورثة فاطمة دغيليب العامري رحمها الله مبلغ الأرض. ما يهمني الآن ليس الإرث الذي ظهر فجأة ولا معرفة مقداره ولا تفاصيله، بل التفكّر في كيف يحي الله ذكر الشخص بعد وفاته بسنوات، فجدتي فاطمة العامرية لا أحد يعرفها منا أبدا ولكن بدأ ذكر اسمها من جديد في العائلة بقصة (الإرث) وبدأت السيرة ومعها الرحمات عليها، كان هذا الترحم مصدر سعادة لي، كنت أشعر أن لهذه الإنسانة خبيئة جميلة عند الله ليجعل الله ذكراها تعود إلى العائلة واسمها على كل لسان.

ما فهمته من خلاصة قصص الإرث، أن جدتي فاطمة ورثتها كل عائلة (جدي عبد الواحد) وليس فقط أبناؤها؛ لأنها توفت قبل زوجها، لسنا نتأمل

التفاصيل، نتأمل كيف يحيي الله ذكرى إنسانة توفيت بعد سنوات بين عائلة كبيرة لا أحد يعرفها إلا بالحكاية، أو بالذبائح التي تذبحها عمتي مريم لأمها، ماتت جدتي فاطمة رحمها الله شابة صغيرة، وبعدما أعطينا الإرث الكل أصبح يجدد الترحم عليها، حتى الأحفاد، ولا أبالغ، بدأوا يعرفون اسم فاطمة العامرية ويترحمون عليها، وكل واحد خصص لها مبلغا ليكون عملا تنتفع به، شعرت بالسعادة فلا بد أن لهذه الإنسانة سرّا كانت به مع الله ليحيي ذكراها بعد كل تلك السنوات.

وما علمته من جدتي مرشودة، وهي الزوجة التي زوجتها جدتي فاطمة إلى زوجها لتشاركها فيه، فكانت تحكي لي عن طيبتها وحنانها وكرمها، فإن تحدثت ضرة بشأن ضرتها بهذه الصفات فهذا يعني أن هذه الإنسانة ليست عادية في طيبتها، والدليل أن ننال كرمها بعدما كبرنا، ونال كرمها كل أحفاد زوجها الذين ينحدرون من صلبه، وليسوا أبناءها. ولأنها صنعت كرما في حياتها أحيا الله ذكراها بعد سنوات من موتها رحمها الله، فكانت جدتي مرشودة عمياء وزوجتها زوجها جدتي فاطمة رحمةً بها، وأبي الطفل اليتيم مات وبه حسرة عليها. وكانت مرشودة تخفف عنه بالحكايات فكيف لو علم أبي أن كل العائلة تترحم على أمه فاطمة العامرية، فرحمك الله يا جدتي فاطمة العامرية وجعل مثواك الجنة يا كريمة في كل شيء حتى في زوجك، ونادرة من النساء من تجود بزوجها كرما.

سأختم ذكرياتي عن عائلة العامري بمشهد لا أنساه؛ كان خالي عبيد العامري ساكنا جدة وذات مرة كنا ذاهبين للفطور عندهم في رمضان، ورأيت العجب العجاب، بعد صلاة العشاء رأيت ازدحاما شديدا في الدرج واتضح لي أن خالي عبيد رحمه الله كان يقسم فلوسا، فاندهشت كثيرا لكثرة الناس، فلما رأت ابنته ليلى اندهاشي أخذتني إلى سطح البيت لتريني مشهد الازدحام في الشارع كأنه طابور مبايعة. اصطف الناس ليأخذوا الزكاة من خالي عبيد،

وهو مشهد رسخ في طفولتي كأنه لوحة صعب أن أتصورها ما لم أشاهدها بعيني، رحمه الله وكتب الله له الأجر.

والشيء بالشيء يُذكر، أحب عطف هذا الرجل وحبه لتبيان الحب ومشاعره لمن حوله، فذات مرة كنا في رحلة برية طويلة من المدينة إلى تركيا، فمرة أركب في سيارة أبي ومرة أركب في سيارة خالي عبيد، أنوِّع بين هذا وذاك، وفي طريقنا من دمشق إلى حلب كنت راكبة معهم في السيارة، وكنا متعبين جدا ونريد الوصول إلى حلب لننام، فكنا نعلق أنا وليلى على المكتوب في اللوحات الخارجية على المسافة المتبقية، سمع السائق بخيت تعليقاتنا، وانتظارنا، وفجأة في صمت السيارة، رأى لوحة، فصرخ مخترقا صمت الليل: (وصلنا حلب). فضحكنا كلنا، وهو الوحيد الذي لا يعرف السبب. كان مكتوبا على اللوحة، (مقابر)، وهو يحسبها مكتوبا عليها حلب، فكان رد فعل خالي عبيد هو ممازحة بخيت تخفيفا من إحراجه، لأن بخيت كان أميّا لا يعرف القراءة، فيعامله خالي عبيد على أنه أحسن سائق في الدنيا، ويمتدح مواقفه ورجولته في السفر، ويمتدح أناقته. فكان يعامله كأنه ابنه أو واحد من العائلة.

عائلة العامري كلهم محل ود أبي ومن صاهرهم ومن جاورهم ومن مر على ديارهم، ففي آخر حياته وبعدما فقد عينه كانوا هم عينه التي يرى بها النور والحياة والحب والابتسامة، وكان يجد أنسه وهو في وسطهم ويشاركهم كل تفاصيل حياتهم، ويشاركونه أجمل أبيات الشعر، فلا يتحاورن إلا شعرا، وكأن الشعرعلى لسانهم كالماء الزلال الذي يشربونه من نبع ينبع، رحم الله أم أحمد العامري، كانت تفيض على أبي بحبها وكرمها وحنانها، جزاها الله الفردوس الأعلى وجمعنا بها على سرر متقابلين.

أمي: التضحية والحنان

حين كنت طفلة كانت أمي تلعب معي مثل بقية الأطفال، تشاركني لعبة الضيوف، والكتابة، والخياطة، والغناء، كبرت أمي معي وكأننا صديقتان في البيت أو أختان، وبعد موت أبي تغيرت أمي كثيرا بدون أن تشعر، غيرتها ظروفها المحيطة التي أجبرتها أن تعيش حياة جادة مسؤولة عن أربعة أيتام.

أمي امرأة فقدت زوجها في سن مبكرة جدا، وتحملت أعباء الحياة منذ الثلاثين من عمرها، أمي امرأة شابة قضت شبابها لأبنائها، لم تكن أمّا أنانية وعاشت لنفسها، رغم صغر سننا، كنا نسمح لها بالزواج كلما جاء رجل مناسب لخطبتها، وكان جوابها المعتاد، لن أسمح لرجل غريب أن يدخل حياتكم ويتحكم في حريتكم، كانت أمي تحرم نفسها ممن يتشارك معها المسؤولية حتى يعيش أبناؤها أحرارا، حرية الرأي، وحرية اللباس، وحرية

النوم، وحرية المكان.

كان لأمي دور كبير في تحقيق الإرادة الداخلية لنا، كانت تقدرنا كثيرا، وتحترمنا أمام الناس وكذلك فيما بيننا. إن تقدير الطفل وعدم السماح بالإنقاص من دوره هذا يجعل الطفل يثق بنفسه أكثر، وحينما ندخل أي مجلس ترحب بنا ترحيبا خاصا ولافتا، تقف أمي أمام الناس لتسلم علينا بتقدير عالٍ، وتخصنا برقصة في الحفلات أو المناسبات، وتهدينا الأغاني المعبرة، فحينما تدخل المجلس وتقبل أمك أناملك أو تقبلك على جبهتك، فهي تزرع ثقة كبيرة في صدور أبنائها، وتقول حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل هذا ويقبل فاطمة الزهراء، ويقف حتى يستقبلها في المجلس وهو قدوتنا، فعل أمي هذا يقوي شخصية الطفل أو المراهق، والأسرة أساس لترسم مستقبلك، فينمو معنا دورنا في الحياة.

كل الرسائل في أوراقي الخاصة لأمي، كل الأغاني لأمي، كل الحب لأمي، أمي المرأة التي أحبها صديقة وأختا وأمّا وزوجة أبي، أحب وصايا أمي، وحب أمي لأبي، فهي أجمل امرأة تدلل زوجها، فما زلت أتذكر مشهد تحضير الحمام لأبي، فأبي لديه طقوس في الاستحمام، يغتسل في نهاية الاستحمام بسطل ماء مخلوط بالعطر، ثم يشرب ماء باردا قبل الخروج من الحمام، فهذا المشهد يعجبني كثيرا، فبعد أن ينتهي أبي من الاستحمام تقف له أمي بسطل ماء مخلوط به عطر الليمون، يستحم به في الشطفة الأخيرة، ثم بيدها ماء بارد حتى (لا ينصفق) أي يؤذيه الهواء البارد، وبيدها الأخرى منشفة.

كانت أمي أنيقة جدا في بيتها، ومع ذلك ترضي أبي في ما يحب، فلا يحب أن يأكل وحده، وكل مرة على أمي أن تستعد لاستقبال ضيوف معه، فإن لم يجد أحدا فإنه يعزم الباعة المتجولين، ومع هذا ترضيه، وتستضيف أهله، وتستضيف أقاربه شهورا بدون كلل أو ملل. تعلمت منها الكثير والكثير، ونصحتني بأن لا يخرج زوجك للصلاة ويعود ويجدك بنفس اللبس، فلم تكن النصيحة صعبة لأن طفولتي عامرة بأم أنيقة مثل أمي. رزقنا الله برها، وأدام

علينا بسمتها، فهي بسمة حياتنا وأمي أم تساعد على البر، وتشعرنا دائما أن البر متبادل بين الأم والأبناء، واكتشفت من حياتي الطويلة معها أن من عجائب الوتر أنك تقوم به سرا فيضيئ الله حياتك في العلن، فسر توفيق أمي في تربيتها وحياتها هو قيام الليل، فليتنا نتعلم منها أن السعي وحده لا يكفي، فالسر مع الله سر التوفيق، وسر تجاوز صعوبات الحياة.

تأثرت أمي كثيرا بتربيتها في بيت جدي عبد الواحد، وهي وعمتي زينب كأنهما فولة وانقسمت نصفين، بحكم التربية معا. حافظت أمي على حب التعليم كما كان في بيت جدي بطريقة المحاورة والنقاش والسؤال والاستجواب، فعندها مجلس أسبوعي في بيتها كل يوم ثلاثاء، حافظت عليه طوال تلك السنوات أكثر من 25 عاما ولم تتوقف عن مجالس العلم والمعرفة أبدا، وغرست هذا في نفوسنا جميعا وفي نفوس أحفادها، فحاليا أرى فيصل ابن أختي فاطمة وهو يناقشها فأكون سعيدة جدا لهذا النقاش والاستجواب فأشعر بأن حياتنا ما زالت عامرة بحب العلم، وهذا شغف أمي لمن أراد أن يسعدها، يفتح معها مواضيع للنقاش، وقد أثرت كثيرا في ابني عبد الملك، وجعلته يحب كثيرا قصص الأنبياء، وهي العامل الأول في اكتسابه الثقة بنفسه،

وخروجه أمام الناس والظهور الإعلامي في برنامج «العبقري الصغير»، فأمي كما غرست فينا حب العلم تغرسه في نفوس أولادنا، فأي أم مثل أمي لا بد أن تكون مخرجاتها بعد توفيق الله أكاديميات، وأنا مدينة لأمي في حب العلم، جزاها الله خير الجزاء.

رغم اختلاف شخصية أمي عن أبي إلا أنني أخذت أجمل ما في أبي وأمي، فلم تكن أمي تحب الأدب البتة، ولا الشعر أبدا، وكانت تستاء من انشغالي في كتابة الشعر لأبي، فلم ييأس ولم تيأس فكانت أمي تحب كتب الدين وتنغمس في قراءتها من مكتبة عم محمد الحميد زوج عمتي مريم، وأبي يغمسني في قراءة الأشعار وكتب القصص واستفدت من الطرفين.

واكتشفت أن الأم التي تكون قوية أمام أبنائها تكون ملهمة لهم في استمداد القوة منها، وأن الأم التي تمزج بين الحنان والحزم يبرها أولادها، فرأيت أمي في حياة أبي بشخصية، ورأيتها بعد مامرت به من تجارب صعبة بعد موت أبي بشخصية أخرى، تتكيف مع حياتها الجديدة، فأمي مدرسة في الحزم واللين في آن معا.

الفصل الثالث

من أنا؟

- كل هؤلاء أنا

- أنا حفيدة شيخين

- أنا كليوباترا

- أنا مصطفى صادق الرافعي

- أنا نزار قباني

- أنا التميمي اللي عاش مترف

- أنا غازي القصيبي

- أنا مي زيادة

- أنا كلود مونيه

- أنا نجلاء مطري

- أنا محمد بن سلمان

كل هؤلاء أنا وأشباههم..........

قرأت عن حياة مئات البشر، وكتبت عن الكثير منهم، بكيتُ مع من بكى وقليل منهم من ذقت معه طعم الفرح، لقلة وجوده في حياتهم، وتجرعت معاناتهم، وتعلمت من مواقفهم، فأصبحت حكيمة بما تعلمتُ من حكم حياتهم، واكتشفت كثيرا من خفايا صدورهم بما اعتصرته من معاناتهم وتشربته من تجاربهم، وأصبحت قاصة أحكي قصص أبطالي، ومحللة نفسية تتوجه إلى أعماق النفس البشرية حاملة مصباحا من النّور يطلعها على خفايا الأسرار البشرية، وتشعر وكأنها صاحبة خوارق خفية تعلم ما لا يعرفه الناس، لتكتشف جمال ما بين السطور وتتذوق جمالا خارج السطور.

كتابة حياتي لم تكن مشروعا من مشاريعي الكتابية إلا بعد أن تتبين لي في المجال النقدي إمكانية توارد الخواطر في حياة البشر، أو وضع الحافر على الحافر، وفي ذكرياتي مارست ضربا من ضروب توارد الحياة؛ بمعنى أني عشتُ حياةً تتقاطع مع حياة الآخرين، نفس الحياة، نتقاسم معهم التجارب والمواقف والأزمات. هكذا شعرت!.

لست أنا وحدي من يعطي حياتي قيمةً، إنني كنتُ أستمد قيمتها ممن حولي، يتعاظم فينا حب الحياة بقدر حب من حولنا، بقدر شكرهم وثنائهم تتعرف على قيمتك، بأنك صاحب عطاء، غالبا ما كنت أشعر بأنني أعيش بروح ملكة أو أميرة، أو أعيش لمستقبل أصنع فيه المعجزات، وكلما قرأت في حياة البشر نضج الوعي عندي، وعرفت ماذا نتقاسم نحن البشر من تجارب متشابهة، ولكن الميزة فيمن يستطيع التعبير عن المشاعر الخفية التي تكنها الصدور في المواقف، فتشابهت مشاعري مع العديد من البشر وسأورد بعضا منهم.

أنا حفيدة شيخين

أنا حفيدة شيخين جدي لأمي إمام وخطيب مسجد الغمامة، وجدي لأبي من مواليد الزلفي عاش مجاورا للحرم النبوي وإمام مسجد أبي بكر الصديق، شيخ نجدي، هاجر إلى الحجاز طالبا للعلم.

وُلدت في بيت من حجر وسقفه السعف والنخل، وتربيت في بيت من طوب وسقفه من خشب، وتنقلت بين بيت شعبي وآخر مسلح، كل هذه التّسميات العمرانية للبيوت التي سكنتها في طفولتي لم تشعرني يوما أنني في منفي أو في سجن بين عمران، عكس المشاعر التي وجدتها بعدما تزوجت وانتقلت إلى المنطقة الشرقية (أم الساهك) كنت أشعر أنني محصورة في علبة (ساردين) رغم اتساع البيت وطوله وعرضه. البيوت جدران تشبه عقول من يسكنها إما أن يجعلها روضة من رياض الجنة أو يجعلها حفرة من حفر النيران، الجدران الاسمنتية عانيت منها كثيرا بعد بيت جدي، تربينا في بيت لا تشعر أنك ممسوخ الهوية أو بلا إرادة، لم أشعر بحواجز الجدران العقلية حينما تربيت في بيت أهلي، كنت أشبه بمهرة تمتطي الحياة بلا توقف، ولم أشعر بقيود في بيت جدي، على العموم في حياتي لم أشعر يوما ما أنني مقيدة، وعشت طوال حياتي (حرة) للحرية التي منحوني إياها في طفولتي، وطفلة (مقدرة) لها حضورها وهيبتها وعشت بهيبة جدي التي رأيتها، ولم تعصرني الحياة في معاركها، ولم تكسر طوبة في زوايا بيتي من الداخل ؛ لأن حصار الطفولة قوي جدا.

مواقف التقدير تتكرر في حياة الطفلة منها هذا المشهد الذي أرويه

وكأنني أراه أمام عيني الآن، كنا في بيت عمتي عيشة - رحمها الله - وكان المجلس مفروشا بالكنب على طريقة ما نراه في أفلام (الأسود والأبيض) وفي المجلس جدي عبد الواحد وزوج عمتي محمد الحميد وزوج عمتي عبد القادر شريف وأعمامي - لا أذكر بالضبط - كل الحضور، وكان في الصالة المقابلة للمجلس عمتي عيشة وعمتي مريم وأمي، ويبدو أن هناك نقاشا منخفض الصوت بين جدي وأبي، وجدي غاضب على أبي - رحمه الله - لا أعرف سبب هذا الغضب، وعادة لا يمكن أن تشعر أن هناك نقاشا أو خلافا في هذه العائلة إلا ويدار بصمت ونظرات لا يمكن مهما كنت حصيفا أن تفك شفراته، حتى إن لمجلس النقاش هيبة تشبه هيبة جدي، ثم طلبت عمتي مني أن أدخل إلى طرف الباب، وأجعل جدي عبد الواحد يراني، وأقول له (سيدي عبد الواحد عشاني سامح بابا)، فأشار جدي عبد الواحد لي بالقدوم إليه، وفتح ذراعيه وحضنني، وسامح أبي من أجلي. وجاء أبي منكبا على يد أبيه، وجلس محنيا رأسه عند رجلي أبيه، وهذا المشهد غالبا ما أراه، فأبي إنسان بار بأبيه، خافض الجناح له، وهذا عادة ما يكون أمام أبيه، ولكنه يكون بشخصية شامخة في مجلس لا يكون أبوه فيه.

هذا الجزء سأكتبه من ذكريات الطفلة، وبوعي الراشدة؛ لأن البيئة والتنشئة لهما دور كبير في مستقبل الشخص وتصرفاته أحيانا، وقد يكون له دور كبير لأدوار الأشخاص الذين رآهم في حياته أو سمع منهم الحكايات، ومن أبرز الأمور التي أثرت في تربيتي أنني (حفيدة لشيخين)، جدي لأبي (الشيخ عبد الواحد)، وجدي لأمي (الشيخ صالح)، وأمي تأثرت بكليهما وتأثرتُ بها. كانت أمي معلمة في كتّاب مع والدها (الشيخ صالح) إمام مسجد الغمامة - رحمه الله -، وبعدما فتحت عينيّ في العنبرية، وأنا أشاهد أمي تعلم أبناء الحي من أقاربنا (أولاد خالتي والبنات) على طريقة الكتاتيب القديمة، كان يتكرر هذا المشهد أمامي كل يوم. وبالإضافة إلى ذلك، كانت تساعد

جدي عبد الواحد في الاستعدادات السنوية لإفطار الصائم في رمضان في (الروضة الشريفة) في المسجد النبوي، وهذه الاستعدادات تكون في بيتنا في العنبرية، إذ يخزن التمر المجلوب من الزلفي والقصيم في بيتنا، وتحضر أمي (الدقة) بنفسها وتقوم بمساعدة عماتي في الاستعدادات السنوية في تحضير إفطار الصائم لجدي، كان في بيتنا احتفال أشبه بالعيد ننتظره نحن الأطفال وكل جيراننا في العنبرية، وسأحكي عن هذا الطقس السنوي بالتفصيل.

أنا كليوباترا..........

غالبا ما كنت أشعر بأنني أميرة أو أعيش بروح ملكة تحظى باهتمام كل من حولها، فأنا مدللة، طفولتي حينما استدعيها في ذاكرتي تبدو أشبه بشريط سينمائي (أبيض وأسود) مخملي راقٍ، في مشهد هذا الفيلم الكثير من الخدم والصبيان وبيت جدي كبير يتألف من أربعة طوابق.

من بين مشاهد الطفولة التي سيطرت علي وأتذكرها ويتذكرها الجميع بوصفها نكتة، أنني في بيت جدي (عبد الواحد) رحمه الله كان اجتماع أولاده وبناته ونحن يحدث يوميا، وهذا ليس بالغريب ويبدو عاديا وغالبا كل الأسر تعيش بهذه الصورة، الغريب هو أن في البيت صبيانا صغارا مختلفي الجنسيات ذكورا وإناثا يقمن بالخدمة ومن ضمن هؤلاء الإناث فتاة صغيرة سمراء البشرة (عزيزة) كنت ألعب معها، وهي صبية لعمتي (مريم) كنت أنادي عمتي (مريم) بعمتي لأنها عمتي وأخت والدي، ولكنّ هذه الفتاة تسببت لي بعقدة اللون.

أهل والدي جميعهم أصحاب بشرة بيضاء، ووالدي أبيض مائل إلى الحمرة، ولم أكن أشعر بأن لوني مختلف عنهم حتى قالت لي عزيزة:

- من متى (إنتي) تشتغلي هنا؟
- ليش؟
- أنا أسمعك تقولي عمتي أنا أحسبك تشتغلي هنا.

وقتها عرفت أنها تحسبني خادمة؛ لأنها تسمعني أقول لأخت والدي (عمتي) وأصبحت أتساءل بلغة الطفلة عن الألوان (أسودا – أحمرا – أبيضا)، ليش أنا من طينة أسودا؟ وبابا من طينة (أحمرا)؟ وعمتي من طينة أبيضا؟

محمد علي عبد العال ابن عمتي عيشة رحمها الله

كانت عماتي يجبن عن تساؤلاتي بطريقة تطيب خاطري، فعمتي زينب كانت تحضنني وتقول لي: أنت لونك (التوفي) اللذيذ يا أجمل بنت في الدنيا، يا أميرة التميمي كلهم، وتظل عمتي مريم تحكي لي حكاية يوم ولادتي المشهود في العائلة، وحينها ابن عمتي محمد علي أوجد لي الحلول بقوله: (عشانك تشربي بيبسي كثير إنتي من طينة أسودا اشربي ميرندا تصيري أبيضا)، وأصبحت أشتري كراتين الميرندا وأسبح بها على أمل أن أصبح (أبيضا) مثل عمتي وبابا، وبعدها أصبحت أسبح بالحليب، وكبرت وابن عمتي محمد علي أصبح يعمل في كتابة عدل، ويذكرني بالمواقف الطريفة عن سباحتي

بالميرندا، وأصبحت قصتي هذه قصة يرويها لأبنائه بوصفها من المقالب الطريفة التي كان يمازحني بها.

وبعدما كبرت قرأت عن حياة كليوباترا وعرفت أنها كانت تسبح بالحليب، فأصبح كثيرا من عائلتي يذكرونني بموقف عقدة اللون الذي كان في طفولتي، وكان ابن عمتي محمد علي هو من جعلها قصة تروى على سبيل الطرفة.

وأصبح يوم (البيبسي والميرندا) من بين مشاهد الطفولة التي سيطرت علي وأتذكرها ويتذكرها الجميع بوصفها نكتة.

أنا مصطفى صادق الرافعي

بدأت أكبر قليلا عن سنوات الطفولة، وبدأت شخصيتي تتشكل بقراءات تعجبني، كانت مكتبة أبي رحمه الله عامرة بالكتب، أحيانا يشدني الغلاف لجماله وبريقه، ولكنني لا أفهم ما أقرأه، فكتاب الأغاني للأصفهاني، أجزاؤه كثيرة ويتصدر المكتبة، ويزيد من جمال غلافه البراق الإضاءة الخافتة المسلطة على رفوف المكتبة، وكنت كلما سمعت عمتي عيشة تتناقش مع أبي على كتاب الأغاني أعزم على قراءته، فأفتحه فلم أفهم منه شيئا، محاولات كثيرة للفهم ولكنه كان أشبه بالطلاسم ولم أفهمه.

بدأت تعجبني كتب الروايات وكتب أنيس منصور، وعشت ليالي طويلة في الشتاء أقضيها في قراءة الكتب التي تعجبني من مكتبة أبي رحمه الله، فلم يمنعني أبي من قراءة أي كتاب إلا رواية «لا أنام» لإحسان عبد القدوس، ما

كنت أعرف سر تحذيره لي من رواية لا أنام، فبدت لي مثيرة الأحداث لأكمل النهاية، ولكن ما زال أبي يحذرني منها دون أن يعطيني أسبابا مقنعة، ومثل كل مرة حينما يعجز أبي في إقناعي بأمر، يتدخل عمي عبد الرحمن رحمه الله في الإقناع، ولكنه في هذه المرة لم يستطع إقناعي فحجته الوحيدة أنني ما زلت صغيرة على قراءة الروايات، ومن وجهة نظره لا داعي للاستعجال، فكنت أضع الرواية داخل القرآن حتى أكملها ولا يغضب أبي ويمنعني، ورغم محاولات أبي في منعي من قراءتها، أكملتها، وأعجبت كثيرا بأسلوب الكاتب إحسان عبد القدوس، واكتشفت مبكرا أن روايته تلامس العمق النفسي الإنساني، وهو الخط الذي حاولت التخصص فيه في المستقبل.

ولكنني في هذه المرحلة اكتشفت أنني أميل جدا لأسلوب مصطفى صادق الرافعي، وأحفظ كلماته ونصوصه عن ظهر قلب، وخصوصا كتاب **أوراق الورد**، ومن **وحي القلم**، والعجيب أن كتاب أوراق الورد هو عبارة عن رسائل غرامية، ولكن أبي لم يمنعني من قراءته، وحفظ نصوصه، ففي تلك المرحلة كنت بارعة في مادة (التعبير) فتثني المعلمة كثيرا على كتاباتي، وخصوصا أننا نكتب في الفصل مباشرة دون تحضير مسبق، ولاحظت بعدما كبرت قليلا أن كتاباتي تتداخل مع كتابات مصطفى صادق الرافعي بشكل يصعب التفريق بينهما، وإذا بمعظم نصوصي تتداخل مع أفكاره في كتاب (وحي القلم).

ولكن اكتشفت طوال عمري بعد ذلك أنني لم أقرأ أجمل من أسلوب مصطفى صادق الرافعي، ولم أجد كتابا أجمل منه في الأفكار والكتابة وملامسة مشاعري، واكتشفت كل الرسائل التي كتبتها في حياتي، وكنت استحضر رسائل مطوية في ذاكرتي ومشاعر هجرتها وعدت إليها كامنة في خاطري، هي رسائل مصفوفة في مشاعري تشبه الكتب المصفوفة في مكتبة (بابا) والضوء مسلط على كتب مصطفى صادق الرافعي.

أنا نزار قباني

كان أبي يعشق الأشعار وهو شاعر، ولكنه لا يضع دواوين نزار قباني مباشرة في الرف الأمامي، خوفا من ملام الناس، فكان أبي يحترم كثيرا العادات، وفي داخله كان يعرف أن بعضا ممن يزوروننا ينتمون إلى تيار متشدد ولا يمكنهم قبول أشعار مثل شعر نزار، فكان يعيش حياته باحترام كل الأفكار ولا يُحسب على أحد، يحبه كل الناس ويحب كل الناس، وهذا ما تعلمته من أبي رحمه الله، لا يمكن أن أُحسب ضمن تيار أو فكر أو اتجاه، فكل الناس سواسية بأفكارهم ومعتقداتهم ولا نجادل أصحاب توجه معين ولا نُحسب ضمن أصحاب توجه محدد، فكل الناس مثل (**طبق السلطة**)، تندمج ولكن لا تختلط إلى حد لا يمكن التفريق بين البندورة والطماطم والبنجر والجزر.

كان للشتاء قيمة في (الليالي الشعرية)، فكان أبي يجلس جلسة خاصة واضعا قدما على قدم، ودفتره على فخذه، ونظارته واحدة على عينه والأخرى فوق رأسه، وبجواره براد الشاي والمسجل، وتتناثر حوله الأوراق والكتب، يمضي الليل على هذا الحال لساعات وساعات، وفي حياته كنت أقلده تارة وأحيانا يكون لي جوي الخاص بي، فليل الشتاء الطويل أصبح مرتبطا عندي بـ(الليالي الشعرية) طوال فترة الشتاء كنت أفتح النافذة وأسمع طرق معدات توسعة الحرم النبوي من النافذة، ارتبط هذا الصوت عندي بالشتاء وقصائد نزار، وقصائد أحمد رامي التي غنتها أم كلثوم، وبعدما توفي رحمه الله، أخذت دواوينه ووضعتها على رف مكتبتي، أستعيد بها ذكريات المكان، والشتاء، والأصوات التي كنت أسمعها من نافذة غرفتي.

بعدما مات أبي رحمه الله وضعت دواوين نزار قباني على الرف بجوار صورته، وبجوار الديوان عصفور في قفص ذهبي، العصفور حبيس مثلما أعمالي التي كتبتها بتأثير أشعار نزار، فمهما وصلنا من الحرية في التعبير عما بداخلنا، فهناك رقيب يخشى من حولنا، لم أستطع نشر الرسائل التي كتبتها بواقع تأثري بكلمات نزار أو صوره، لا تسمح لي الحياة أن أنشر رسائل (عاشقة طائشة إلى عشيقها الطائش)، في هذه الرسائل ذاب قلب العاشقة وغرقت في حبر عشقها، أحببت كلمات نزار، ولكن يصدمنا الواقع الحقيقي بأنه لا بد لنا من حبس بعض إبداعاتنا، فقصائدي ورسائلي أشبه بهيكل عظمي محبوس في جسد.

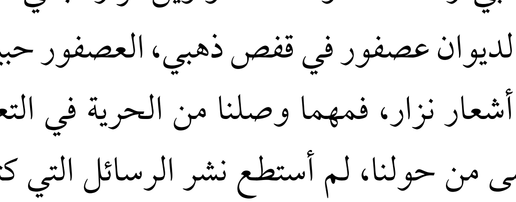

لم يمنعني أبي يوما عن قراءة أشعار نزار، بل كنت أشربها كما أشرب شاي الصباح والمساء، كانت ستائر نافذة غرفتي يُطيرها الهواء، وكلما انفتحت النوافذ، تطايرت الكلمات من قلبي مهتزة كالشعر، كتبت رسائل لم أتصور يوما أن أكتبها أبدا ولكنها حبيسة الأدراج والدفاتر.

يصعب على نفسي أن تحتبس أوراقي كما احتبست رغبتي في التخصص في شعر نزار قباني، ففي مرحلة الماجستير، ظننت أن ما نحمله من حب في الطفولة يمكن أن نعلنه في التخصص، فرفض القسم أن أدرس شعر نزار قباني، وجعلني هذا أستعيد دهاء أبي، فكان يحب (نزار) في صمت ويضع دواوينه في مكتبته الخاصة، وهكذا أنا فعلت خبأت أوراقي الكثيرة وأشعاري الغزلية، ورسائلي العشقية ضمن ممتلكاتي الخاصة، فمن الشهامة والشرف أحيانا أن لا نعلن عن عواطفنا.

طبعت هذه الأشعار عشرات المرات، وجمعت الرسائل كذلك عشرات المرات، ولكن قلبي لا يطمئن إلى نشرها، نشرت جزءا منها تحت لقب شرخ الهجر، ورأيتني آخذ موقف أبي بأن لا أنشر. قد أكون مجبرة على فعل هذا لأن أبي رحمه الله مات شابا، وقد أنشر هذه الرسائل ولكن بعد حين، مثلما تجرأت يوما ما وكتبت عن حياتي، بعدما كنت أرفض ذلك تماما، فالقناعات

تتحول. وطالما وضعت دواوين نزار قباني على الرف الأمامي، فيمكن للرقيب المتشدد في داخلي أن يغير رأيه ذات يوم ويقدم على النشر، رحم الله أبي ونزار قباني.

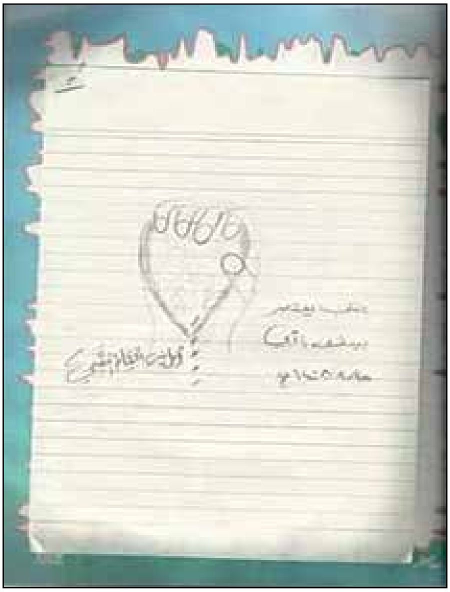

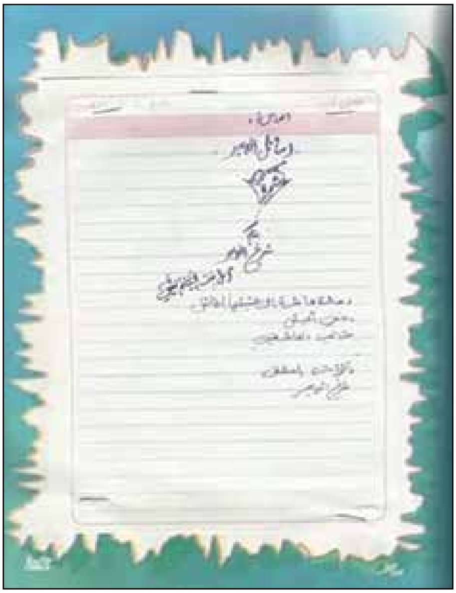

أنا التميمي اللي عاش مترف

قصة العشق في عائلتي أثرت في وتأثرت بها، فكلما قرأت في شعر الغزل العذري شعرت بأنني سأكون ضحية من ضحايا العشق، تأثرت كثيرا بقصة عشق جدي عبد الرحمن المطوع التميمي الذي قتله العشق، وهذه المخطوطة/ القصيدة التي أنشرها هنا كانت غالية جدا على أبي، وكل فترة يخرجها ويطلب مني أن أقرأها له، ونتذاكر حول ما بها وكأننا نحفظ القصة وكل مرة نكتشف أسرارا جديدة فيها.

كان أبي أيام طفولتي حينما يطلب مني أن أقرأ القصيدة بالطريقة الشعبية النجدية يصعب علي نطق الكلمات النّجدية فيكرر علي نطقها، وإذا مرت بي بعض أسماء أماكن من نجد يشرح لي مواقع الأماكن، حتى أنني كنت أتخيل شكل جدي عبد الرحمن المطوع التميمي رحمه الله وكأن القصة مشهد أمام عيني وخصوصا عندما تنتهي القصيدة بهذا الأبيات:

عضيت روس أناملي بنواجذي وقلت آه من حر المصيبة آه

لو أن في قول آه تبري علتي كثرت أنا في ضامري قول آه

وكم تمنيت في ذلك الوقت أن أنقش لي على فص خاتم شطرا من أبيات القصيدة وهو:

(خليلي يشادي خاتم العاج وسطه)

وكبرت واكتشفت بالصدفة أن هذه القصيدة وقصتها موجودة في النت (جوجل) ومتداولة، وقد كنت أعتقد أنها من ضمن أسرارنا في العشق، ولم أكن أدرك بأنني سأقع في يوم ما في تجربة عشق عاصف حتى عصف بي ذات يوم، فكتبت **رسائل عاشقة إلى عشيقها الطائش**، وحينما أبحث في صفحتي

في (الفيس بوك) أجد أنني نشرت رسائل العشق، وقد كانت هذه القصيدة بمطلعها أوّل ما عرفته في أبجديات العشق:

يقــول التميمــي اللي عــاش مترف   مــدى العمــر مــاشٍ في زمانــه جاه

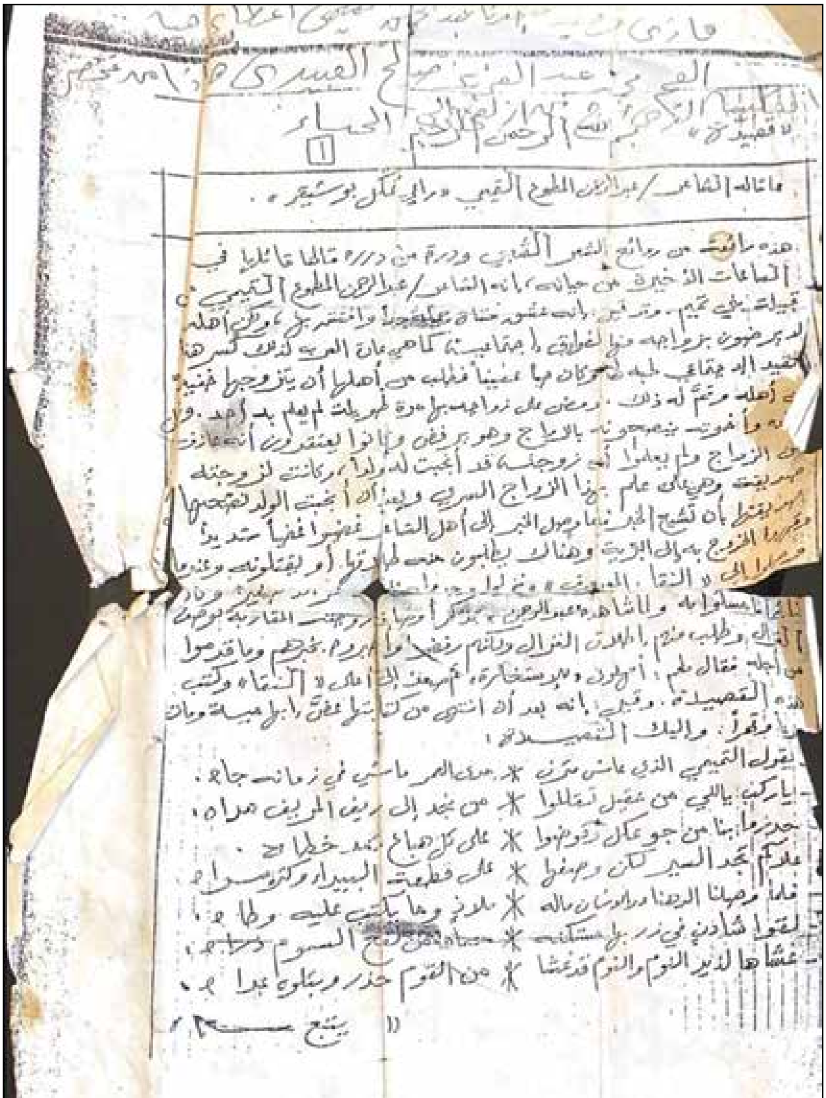
يقول التميمي الذي عاش مترف * مدى العمر ماشي في زمانه جاه
يتبع

٢

- وقولوا لحسني وغالي لتلتم * يصيب ايادي من الزمان وطاء .
- يا شمس يا مونس المعنى هوذكِ * إلى صاحب عسير عليَّ لقاء .
- لعل قصر حال بيني وبينك * لبخم من الوله يبتغي بناء .
- وليطر عشيري سالماً من تزعل * هذاك مطلوب الفتى ومناء .
- ألا وشقاعيني إلى خشب صاحبي * ضجيج لغيري ما حرمت لقاء .
- دع ذا وسل رب العلا في محالقم * سبيل لينتج الظلماء شعاع سناء .
- وإن كان لي ظن وهاجوس خاطري * قد حال بين الباز بين غشاء .
- من باعنا بالمجد بعناه بالنيا * ومن جذ حبلك ما وصلت رشاء .
- الا اتقنا جزاء الاقتفا وسار بالفتى * يتبع هوى من لا يطيع هواء .
- خليلي ليشادي خاتم الناح وسطه * تتقول انفرج لورد البريسم زراء .
- خليلي لهو قلبي من الوغى غيره * عفت الاخلاء الحدود جفاء .
- خليلي لو طال الهجر بيني وبينه * ذهبت روحي فوق عتبة ماء .
- خليلي لو يرمي الجراد ربيقته * وسرحه من حشمته ومرضاء .
- [illegible] * [illegible]

1- خليلي لو يبين في عمال الشراع ربيقه * فما عسل ما اغنى التجار شراء .
2- خليلي لو يا لها على جمر الغضا * وطيت في رجلي تبع ما لها .
3- خليلي لو يا لها على تربيت تكلم * تكلم راعي الغب باذن الله .
5- خليلي معسول الشفتين فاتني * كما نات لقاعي الدلي رشاد .
6- كن من صغير السن حذر ومتكن * دنوع إلى مستغفة بسن سنخاء .
7- وان كان ما جاوز تعوتي مع أربع * وعشر فعد ليشفي الفؤاد لقاء (١،٢،٣)
8- تعاديه مايدري وقصا فيه مادري * وما سمع من غالي الحديث مكاد (٣،٠٠)
9- عذبت روحي أنا ملي بسرا جندي * وقلت آه من مر المصيبة آه .
10- لو أن في قول آه تبري علتي * كثرت أنا في ضمائري قول آه .

((١، ٢، ٣)) ليقصد أن زوجته كانت صغيرة السن أي انه عندما تزوجها لم تتجاوز السابعة عشر من عمرها لذلك اذا اتمت تتزوجها غير مقدرة لما سوف يجري لزوجها من قبل أهلها وعشيرته فالصغير تعاديه مايدري وقصا فيه مادري * وما سمع من غالي الحديث مكاد .

أنا غازي القصيبي

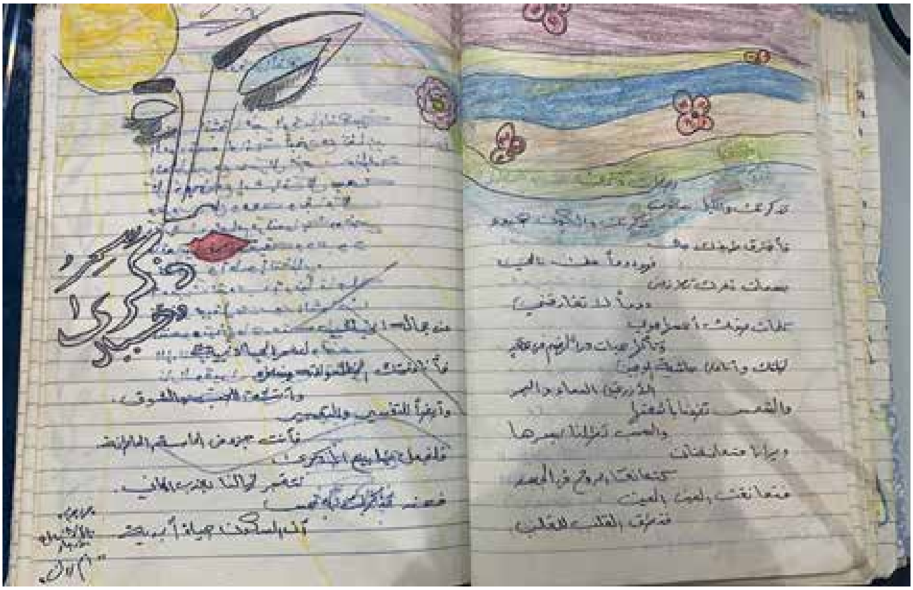

كنت متأثرة جدا بكتابات غازي القصيبي وخصوصا كتاب (**100 ورقة ورد**)، فرسمت مثل غلافه، وكتبت مثل أشعاره، وهو الملهم لأمل الشاعرة، كتبت الكثير والكثير على نسق أشعاره، وبدأت مشواري الإبداعي شاعرة تستلهم أشعار غازي القصيبي، وأمتلك ديوانا شعريا كتبته بخط يدي على منوال قصائد غازي القصيبي، وحتى غلاف كتابه الأول الذي كنت أمتلكه رسمته بيدي، فيه شبه كبير لغلاف كتاب غازي القصيبي إن لم يكن منسوخا منه تماما، صورت صورة الغلاف ووضعته هنا على سبيل الذكرى، والديوان ما زال مخطوطا، يحتوي عشرات القصائد ومئات الرسائل، كنت أرسلها في خيالي إلى غازي القصيبي.

كنت أحاكي غازي القصيبي منذ عرفت أبجديات الكتابة الإبداعية، كتبت

الكثير من القصائد على نسق تأثري بما كنت أقرأ لغازي القصيبي. من الذي جعلني أعرف القصيبي في سنوات طفولتي، وكيف درجت على حب أشعاره، والبحث عن مؤلفاته؟!

بعد موت جدي عبد الواحد رحمه الله انتقلنا إلى السكن في العنبرية في عمارة بناها أبي من ورثته التي ورثها من أبيه، فكان مسكننا جديدا، ثم تولى الملك فهد الحكم، وأصبح مع المسكن ملك جديد، وجاءنا بعدها مولود جديد (أختي غصون)، في هذه الفترة من حياتنا، كان أبي قد أسس لإنشاء مكتبة كتب في أثاث بيتنا الجديد، مكتبة في الصالة في مدخل البيت، لونها أسود وفضي، وحواف كل رف يتزين بالإضاءة تتسلط على الكتب فتزيد جمال الكتب جمالا. كانت كتب هذه المكتبة متاحة للقراءة، وتعد أيقونة ثقافية مغرية للقراءة في بيتنا، والمكتبة الأخرى في حجرة أبي التي يستقبل فيها الضيوف، وهذه المكتبة خشبية باللون البني الداكن، وفيها خزائن مغلقة، يضع أبي رحمه الله في مكتبته الخاصة أوراقه الخاصة، خزائن خاصة بالعمل، وخزائن خاصة بأوراق أدبية وكتب، في هذه المكتبة خصوصية لأبي لا نمسها إلا بأمر منه.

كنت أرى بعض الكتب في هذه المكتبة، ولا أسمح لنفسي بمساسها دون إذن أبي، ولكن إذا فتح المكتبة يأتيني الفضول بسؤاله عنها، فيحكي لي بعض الحكايات حول بعض الكتب أو المخطوطات أو الأوراق المصورة.

وذات ليلة، من الليالي التي يسهر فيها أبي مع أصدقائه المقربين، جلب معه ورقة مصورة، عليها صورة القصيبي، وكانت هذه الورقة موضوع النقاش، وفهمت أن هناك مشكلة أو ضجة أحدثتها قصيدة للقصيبي، بينه وبين الملك فهد وتسببت في (الإعفاء)، كانت هذه الورقة تدور بين الأصدقاء، بشكل تناوبي، بعدما يقرأها الشخص يبدأ بالتيعلق عليها، لم أفهم شيئا إلا أن القصيبي قد كان في مشكلة مع الملك فهد، وأقالوه من عمله. أعطاني أبي هذه الورقة لأضعها في الرف العلوي من الجهة اليسرى، لأصفها ضمن

القصائد المصورة، وطلب مني أن أضعها بين الدفتر البني، والأوراق التي تحتها، وطلبت أن أقرأها، فكان جوابه أنني ما زلت صغيرة على مثل هذه المواضيع، احترمت خصوصية أبي، ولكنني لمحت صورة القصيبي، لا أعرف حينها تخيلت صورته كأنه على ماكينة أو آلة كاتبة يكتب، كانت صورته التي انطبعت في ذاكرتي باللون الأبيض والأسود وحفظت شكل الورقة، انحناء رأس القصيبي في الصورة شغلني.

كنت أسمع حوارات وقصصا عن غازي القصيبي، وأجدني أسمع حديثا لا أفهمه من أبي ومن كان يتحاور معه بشأن غازي القصيبي، تبقى تلك الصور عالقة في ذهننا، لا أتذكر الحوارات، ولكنني أتذكر الصورة، ويمكن أن (إخفاء الورقة) تسبب في انشغالي بها، ويمكن أن يكون قد دار في ذهني لماذا يخبئ أبي عني قصيدة للقصيبي ويمنعني من قراءتها، حاولت أن أفهم منه ماسبب منعه أن أقرأ القصيدة، ولكنه خبأ الورقة التي فيها القصيدة عني معللا أني ما زلت صغيرة على أمور لو تحدثت عنها يمكن أن توقعني في مشاكل نحن في غنى عنها، فهمت من أبي أن القصيدة سياسية، وأن قصيدة القصيبي مثل بيت المتنبي، الذي قال فيه:

سيعلم الجمع ممن يضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

شرح أبي لي أن هذا البيت كان سببا في مقتل المتنبي، ورغم ضلاعته باللغة العربية، في رده على الواشين، في تعليلهم بأن المتنبي فضل نفسه على كل من مشى على الأرض من الأنبياء والصالحين وسيف الدولة، ولكن المتنبي قد قال (تسعى) بتاء المضارعة وليست بتاء الماضي، ورغم كل المخارج اللغوية التي حاول أن ينصر نفسه بها من وشاية الواشين مات المتنبي مقتولا لأسباب كثيرة منها الشعر، فأدركت من أبي وقتها أن الإنسان كان مسؤولا عن كتاباته وأشعاره وأفكاره، وقد تتسبب في قتله، ولكنه ضرب لي أمثلة كثيرة ولم يتحدث عن قصيدة القصيبي التي دارت حولها المشكلة وقتها.

كل مرة كنت ألمح ورقة القصيبي التي مع أبي، تزيد في ذهني التساؤلات، ولكنني لم أفهم منها شيئا، وكانت وقتها من الممنوعات تداولها أو قراءتها، هكذا بدا لي، لأن أبي يخبئها ضمن أوراقه الخاصة، وكل مرة ألمح صورة القصيبي تُحرك في داخلي ذكرى غامضة وخاصة وممنوعة، ومكتوب عليها جريدة الجزيرة، وكانت هذه القصيدة والورقة موضوع نقاش يتداول في مجلس أبي الأدبي رحمه الله، ولكنه رفض إطلاعي عليها، مرة أخرى، والغريب أنني سمعت كلامه ولم أفتح الورقة، رغم أنني كنت أستطيع فعل هذا، فدولاب أبي له خصوصية وهيبة حتى في غيابه، لا يسمح لأحد أن يفتحه، وسهل فتحه لو أردنا في حالة خروجه أو سفره، ومع هذا عودتنا أمي على احترام خصوصية أبي رحمه الله، فلا هي تفتح دولابه في غيابه، ولم تسمح لنا أبدا بفتح ذلك الدولاب، رغم أنه ليس عليه أقفال توصده، ولكن هيبة أبي وخصوصيتها أقوى من الأقفال، وظلت القصيدة والورقة من الأسرار التي خبأها أبي عني.

تعلمت من هذا الموقف أمورا كثيرة، منها أن هناك قضية مثارة وضجة كبيرة حول غازي القصيبي، ولكنني لا أعرف التفاصيل، وحجب أبي رحمه الله عني معرفة التفاصيل، كأنني مستعجلة النضوج وأبي يريدني أن أعيش عمري وزمني. وكذلك من الأمور التي حجب أبي عني الخوض فيها أمور السياسة، فكان يهمس قائلا: (الجدار لها آذان يا أمل)، فممنوع الخوض في الأحاديث السياسية البتة. لا أعرف وجهة نظره، ولكنني أحترمها، وكنت لا أعرف سبب منعه، ثم يقول ستكبرين وتنضجين، وتعرفين قيمة ما أقوله، ولو عندك أولاد ستحجبين عنهم ما يضرهم ولا ينفعهم.

مرت السنوات، واكتشفت ما كان يحجبه أبي عني قصيدة (رسالة المتنبي الأخيرة إلى سيف الدولة) لغازي القصيبي، وحينما رأيت الورقة التي تشبه الورقة التي حجبها أبي رحمه الله عني ابتسمت، فلو أن أبي عاش إلى زمن

(الإنترنت) ورأى أن مثل هذه القصائد أصبحت متاحة للجميع، وأننا لا نستطيع حجب القصائد، ولا (اليوتيوب)، ولا أي وسائل التواصل الاجتماعي عن أبنائنا، فزمن حجب قصيدة القصيبي عني مضى، ولكنه ترك في نفسي كبير الأثر لخوف أبي علي وروعة تربيته، فهو يتحاور ويتناقش ولكنه يصرح بمشاعره وأفكاره معي بكل وضوح، وأنا أتناقش بكل ثقة واحترم مع رأيه في الحضور والغياب.

رسالة المتنبي الأخيرة إلى سيف الدولة

شعر: الدكتور غازي القصيبي

قصة إعفاء غازي القصيبي، كانت البذرة الأولى التي عرفتني باسمه، ومنذ ذاك الحين بدأت أبحث عن أي يشيء يخصه، فكان كتاب (100 **باقة ورد**) أول نص وثائقي يربطني بالقصيبي، فألفت معه القصائد، فشغلني غازي القصيبي، كما شغل أمة من الناس، واحترت في أمر هذا الرجل، الذي أعطاه الله بسطة في الجسم والعقل والمال والمنصب، فلم أجد على مر تاريخ حياتي ممن قرأت

رجلا استطاع مثله أن يكون شاعرا، وكاتبا وناقدا ومترجما، ووزيرا، وإداريا ناجحا، وإنسانا! فبدأت أبحث عن طاقات هذا الرجل، وسر نجاحاته، فهداني الله إلى كثير من أسرار نجاحات غازي القصيبي، فتمنيت أن أكون أنا هو.

وبدأت أصنع لنفسي نموذجا إنسانيا قالبه يشبه غازي القصيبي، تجاوزت القصيبي الشاعر وبدأت أبحث عن القصيبي الإنسان، فغازي القصيبي لو أشغلته المعارك لما كان غازي القصيبي المميز، فأصبح لي قدوة فكلما حاول أحد يجرني إلى معارك وجدت نفسي أصيغ من شعره، خطة حياة مذكرة نفسي، بقصيدته رسالة المتنبي إلى سيف الدولة:

هذي المعارك لست أحسن خوضها من ذا يحارب والغريم الثعلب
ومن المناضل والسلاح دسيسة ومن المكافح والعدو العقرب

ارتبط في ذاكرتي في الطفولة أن القصيبي خاض معارك، وفهمت أن كل الناس الناجحين سيخوضون هذه المعارك لا محالة، ولكن أهم الشيء أمام هذه المعارك هو عدم كسر النفس، فكل الجراح تُداوى مرارتها، إلا كسر النفس، ولكني وجدت من غازي القصيبي نفسه وصفة سحرية للنجاح، وهي قول القصيبي: (ستدرك في وقت متأخر من الحياة أنّ معظم المعارك التي خضتها لم تكن سوى أحداث هامشية عن حياتك الحقيقية).

ساهم اطلاعي على تجارب القصيبي المبكرة في نضجي المبكر. وكنت كلما تأملت الديوان الذي كتبته محاكية الشاعر غازي القصيبي، أذيل كل قصيدة (بذكرى يوم كذا، وتاريخ كذا، والساعة كذا، مساء أو صباحا أو ظهرا أو عصرا)، كنت مشغولة بأوقات الناس كيف يقضونها، وتأملت أيام الناجحين وساعاتهم كيف يقضونها، فكلنا لدينا (24 ساعة)، فأدركت ساعات البركة في حياة غازي القصيبي، التي تجعل الساعات أطول والدقائق أجمل والثواني بها إنجاز ونجاح وبركة، تحمست أكثر لأكتشف سر نجاحاته، فعرفت أن التوفيق وراءه أسرار ومن أهمها أنه كان يقضي مصالح الناس.

ويكبر حجم الأمل في داخل أمل بأن تقف على منصات مشابهة لمنصات غازي القصيبي، كنت أكبر والأمل يكبر في تقليد القصيبي، إبداعا وكتابة وشعورا، ومن يقرأ كلمات القصيبي يحب العمل للخلود. كان أبي معجبا بغازي القصيبي، ما استطعت أن أفهم موقف الناس حينها من غازي القصيبي، ووجدت نفسي معجبة بهذا الأسلوب الأدبي الذي يلامس فكري وإبداعي، كلما قرأت فكره أزددتُ إعجابا به، كان إبداع غازي القصيبي المترجم بداياتي الأدبية، مدرسة أدبية بدأت تشكل ذوقي، وهو ذوقي الذي اخترته بنفسي، لا بوصفه كتابا ملكا لأبي، ولكن من أرشدني إلى ذائقة **المدرسة القصيبية** هو أبي.

عرفت في طفولتي (خط الممنوع) الفكري، حتى الأفكار يُحاسب عليها الكاتب، إذا كان لك جناح حر فانطلق، ولكن لا تخرج بخسائر، و(ثمن الحرية) أن لا تسلط الأعين عليك، ولا تضر أحدا، (الضجة الكبرى) التي أحدثتها قصيدة غازي القصيبي، جعلت أبي يتناقش معي حول الكتب الممنوعة التي كانت عنده، وتحدثنا كثيرا عن الكتب التي أدت إلى وأد أصحابها والأشعار التي قتلت أصحابها.

كانت بعض الكتب التي يقتنيها أبي لا يضعها في الصف الأول مع الكتب المصفوفة في المكتبة، كان يخبئ الكتب في الرفوف الداخلية، استغربت، وناقشته كثيرا حول منع الكتب، فعودني أبي رحمه الله حينها، أن تكون على دراية بكل ما حولك، ولكن لا تخض أمام الناس بما تعرف، أشعرني بأن لكل شخص واشين، وأن لكل ظاهر باطنا، ولكل ضجة إعلامية حقائق مختلفة، قد لا تدرك حينها، ولكن الزمن كفيل بإيضاح الحقائق.

كان أبي يقول لي: (اللي ما يربيه أهله، تربيه الحكومة، واللي ما تربيه الحكومة يربيه الزمن)، كيف يربي الزمن أصحاب العقول؟ أبي كان يعلم أن الطفلة ستكبر، وأن السؤال الذي لا يجيب عليه، سيجيب عليه الزمن.

كان أبي متعاطفا مع القصيبي، ويؤيده، وتعلمت من هذا النقاش، أن الطفل يقلد خطوات أبويه، فنقلد الخطوات، حتى في مذهب الأدب. كما جاء في الحديث النبوي الشريف (كُلّ موْلودٍ يُولدُ على الفِطرَة فأبواه يُهَوّدِانه أو يُنصِّرانه أو يُمجسّانه)، فأبي كان أوّل من علمني مذهب القصيبي، فأصبحت أخطو خطاه. فإذا بي أصبحت أخطو خطا القصيبي في كتاباته وفكره ونجاحاته.

أنا مي زيادة

بيني وبين هذه الإنسانة توارد عجيب، حقيقة لم أكن أعرفها أبدا، ولا حتى أعرف اسمها، ولا أعرف عن كتاباتها شيئا، ولم أعرف أنها كاتبة إلا حينما تخصصت في السيرة الذاتية وكنت أبحث عن سيرالنساء فعرفت اسمها وكتاباتها، وشيئا فشيئا أفاجأ بالتوارد الذي بيننا حتى أذهلني، وبعدما عرفتها بوصفي متخصصة أذهلني التوارد الكتابي العجيب بيننا.

لم أكن أعرف مي زيادة أبدا، وكنت أكتب توقيعات كثيرة تحت اسمي تارة أم محمد، وتارة أم روان، وتارة شرخ الهجر....إلخ، ولكل توقيع قصة، ومن بين هذه التوقيعات، كنت أطلق على نفسي (أنا) كنت صغيرة جدا، وأقول إذا رزقت بابنة سوف اسميها (أنا)، حتى إذا سألها الناس، ما اسمك: تجيب أنا، فيقول المحاور لها: نعم اسمك أنت، فتجيب: أنا، فتقول: أنا، أنا اسمي أنا. فينتهي حواري مع أي زميلة أقول لها بالضحك والابتسامة، ظللت لفترة طويلة ألقب نفسي (بأنا)، ثم اكتشف وأنا أدرس حياة مي أنها كانت تطلق على نفسها (أنا).

المصادفة الثانية، كان عندي (صومعة) للخلوة بنفسي، وأكتب فيها، وعندي كوخ صغير في حوش البيت، وعليه كرمة عنب، وفيه كرسي هزاز، وطلبت من رسام يرسم لي جبلا كبيرا على جدار الحوش، فرسم رسمة تدمج بين الجبل والبحر دمجا غريبا، وأثناء قراءتي عن حياة مي زيادة اكتشفت أنها لديها مكان تخلو به للكتابة وتسميه كوخا أو صومعة، واكتشفت هذا بطريق المصادفة.

المصادفة الثالثة، كان عندي صالون لاجتماع صديقاتي، كل يوم ثلاثاء نقرأ فيه كتابا أو نتناقش في قضية ما، وغالبا ما أجهز لهذا اليوم بفرح شديد وبكل كياني، وكل اجتماع أحاول إبهارهن بلفتات فنية تزيد من الجلسة جمالا، فأحيانا أضع سمكات ترقص بجوار الضيافة، وأحيانا أخرى أشعل الشموع بدل الإضاءة، وأحيانا نفتح صوت أم كلثوم، وكل مرة أجهز تجهيزات فنية بجوار التجهيز الأدبي للاجتماع، ظل هذا الصالون الخاص لمدة سنوات، وأكتشف وبالمصادفة وأنا أقرأ عن حياة مي صالونها الأدبي الشهير.

المصادفة الرابعة التي لا يمكن أن يصدقها أحد حتى نفسي، لولا أنها الحقيقة، ومن معي يصدق هذه المصادفة العجيبة، كان أحمد البشري، مدير يشرف على كل مهامي الإدارية، وفي الماضي قبل ظهور الإنترنت كانت الوسيلة الوحيدة للاطلاع والثقافة هي شراء الكتب أو المجلات أو الجرائد، فكان هو يقوم بهذه المهمة يشتري لي الكتب من كل أقطار الدول العربية، ومع بداية ظهور الجوال (نوكيا النورس) كنا لا نكتب الأسماء الحقيقية مباشرة، وإنما نرمز للأشخاص بأسماء مستعارة، على سبيل المثال: أختي غصون اسمها بالجوال (رذاذ الربيع والحقول الندية) ثم بعد ذلك كتبت اسمها (أختي الوزيرة)؛ لأنني حينما كنت أغرق بالنوم ليلا وأفتح عيني غالبا أفتح على شكلها وهي قائمة تصلي، فأغار منها وأقلدها، فهذا المشهد غالبا لا يراه أحد إلا القريب جدا وأهل البيت الواحد حينما ينام الجميع، فأختي الوزيرة لأنها كانت تشد أزري على الخير.

نعود إلى أحمد البشري الذي غالبا ما أثور عليه وهو صاحب طبع بارد جدا، وغالبا أكون أن المخطئة في ثوران غضبي فأتأسف منه، وأعاود الكرة، وهو بطيبة قلبه وبرود أعصابه لا يمل من تقبل التأسف، فكنت أكتب اسمه في الجوال (**الأجنحة المتكسرة**)، وكل من حولي يعرف اسمه الأجنحة المتكسرة بما فيهم زوجي، وذات مرة سافر ليحضر بعض الكتب، وإذا به يفاجئنا بعنوان

كتاب لجبران خليل جبران (**الأجنحة المتكسرة**)، وهذا العنوان أذهلنا جدا، كيف يكون هذا التوارد العجيب، وهذا العنوان وإن لم يكن يخص مي زيادة مباشرة، إلا أنني أكتشف التراسل بين مي زيادة وجبران خليل جبران.

سلسلة من التوارد بيني وبين مي زيادة اكتشفتها بالصدفة، ومنها ولعي بكتابة الرسائل، والكتابة والنشر باسم مستعار، وهذا التّوارد حينما اكتشفته سبب لي اكتئابا شديدا وخوفا مفزعا، بعد قراءة نهايات حياة مي زيادة، اعترف ها هنا، أنني خفت ولفترة طويلة من هذا التوارد العجيب، وأصبحت أدعو الله دوما أن يحسن خاتمتي، وسأورد بعد المقالات التي نشرتها باسم مستعار مثل بدايات مي زيادة، في الفترة التي كنت أكتب بها بالتخفي بدون إظهار اسمي الحقيقي، وكنت أكتفي بالتوقيع فقط بـ (**شرخ الهجر**)، وسأضع نص الرسالة التي كنت أطلب فيها النشر باسمي المستعار.

اليوم
AL-YAUM

الخميس ٢١ ذو القعدة ١٤١٨ هـ، ١٩ مارس (آذار) ١٩٩٨ م، العدد ٩٠٤٣

١٠

حوار مفتوح

نقاط حادة

الأدب والأديب والمجتمع

ما الأدب؟ استوقفتني هذه الكلمة في تأمل عميق احسست عندها ان هذه الكلمة بمنطقها تحرك أوتار القلب وتأتي الشم بين أنامل قبضا من المشاعر والأحاسيس، إنها كلمة صادقة فيما تحمل من معان لا تستحق أن تعرف تعريفاً علمياً عابراً في أسطر أو نضعها في اطار لا تخرج عنه ويصعب اخضاعها لتعريف دقيق كالعنصر، والمادة، والأجسام السائلة والصلبة لاننا نتلقون لإطلاقها على مجموعة من الكلمات في الجمال والشعر والخيال والأدب والذاتية وتعبيرات كثيرة تدخل تحت اثارة النفوس، ايضا لاختلاف مدلولها عبر العصور وفي نهاية المطاف فهي ابداع القلم.

فلا حياة بدون أدب، وفناء الأدب دليل على فناء الحياة نفسها، فالكلمة قوام الأدب وبها تقاد الأمم والشعوب، فالأدب هو خلاصة عقول الأمم فكلما يقطر الزمن ليعصر عطرا باقيا خالدا كذلك الأدب الخالد هو السراج المنير على من مروا في طريق الحياة منذ الأزل الى الأبد.

فهل كل ما يكتب ويطبع وينشر أدب؟ لا بالطبع فالأخبار الجارية في الصحف لا تعتبر أدبيا لاننا نقرؤها ولا نعود لها ولا تشكل لنا تاريخا والأدب يمتاز بالرجوع اليه لتروي به عقولا ظمأ وقلوبا لا تمل وبه نتعرف على مجد من سبقونا لذلك من خصائص الأدب صفة الخلود والذي أكسبه هذه الصفة، الأديب الحق الذي يصور الحياة ماضيها وحاضرها، مستقبلها القريب والبعيد فالأديب هو ذلك المكلف بايصال رسالته يحملها في اجنحة خيالية ويطير بالنفوس معها فبخياله يحلق آلام البشر ويجيب اليهم الحياة، ويكشف للابصار ما غمض واستتر. فخياله خصب ثري وقلبه حلم دائم ويعلمه وثقافته يحقق تلك الأحلام فهو الكاتب الذي يثري العقل الانساني ويغذيه، يحمل قدرة لطبعها ليحارق بها قلوب البشر، يعيش بها ويخالط احاسيسهم، يبني الآمهم ويشكي لاحزانهم ويسعد لافراحهم يؤثر في نفسه كل خطر الم بهم يشحن في نفسه كل موقف. كل موقف. كل ذكرى. كل عبرة فتبقى قوة كامنة في صدره يحللها ويضع لها الحلول ليكشف ما بها من ملابسات فتشرح لنا فترة بيضاء ناصعة تزحزح ما في صدره من أحاسيس يشعر بها تجاه الآخرين، فاذا كانت مشاعره مرآة صادقة عما في داخله فهي تعبر عن صورة فوتغرافية التقطت من خارج مجتمعه فلذلك تكون مشاعره أصدق وأعمق.

فهل كما يكون انتاج الأديب من واقع مجتمعه وبيئته يتاثر به ايضا مجتمعه ويتم التواصل وتكون العلاقة متبادلة؟ هذا بالتأكيد وسترى ذلك فعلاقة الأديب بمجتمعنا وثيقة فيكون كالأب المربي والمعلم الموجه تجده قريبا منا ويضع يديه على مواضع الألم فيضع البلسم الشافي ويسهر نفسه لتعيش فهو الشمعة الوقادة التي تنير دروبنا وتمهد الصعاب أمامنا، ولا اعني بالأدباء اولئك الذين يتطفلون على الورق بلغات الفارغة التي يرفضها العقل البريء أو الذين يحصلون على مكاسب مادية. ولكن اولئك الذين يحترمون العقل فالأديب اكبر الحياة فعندما تسام النفوس متاعب العمل وضجيجها النزعة تلتجاء الى دنيا الأدب وعوالمه.

شرخ الهجر

التاريخ: ١٤٠٨/١١/٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ المشرف: على صفحة حوار مفتوح.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية طيبة وبعد:

يسعدني أن أساهم في صفحتكم ولأول مرة، وأتمنى أن تكون البداية مشوار طويل، وأرغب عدم نشر اسمي الحقيقي والاكتفاء بلقبي فقط وهو "شرخ الهجر".. وسوف أبعث في كل مرة اسمي الحقيقي لأحتفظ بحقي في اللقب.

شرخ الهجر
أم ل ح

وأحيطكم علماً بأنني قد بعثت إليكم مساهمتين يوم الأربعاء الموافق [illegible]١٤٠٧هـ ٢٥ نوفمبر ٩٨٦م، باسم الأستاذ عبدالعزيز البدر.

المساهمة الأولى بعنوان "مطالبة بتحية إجلال لأساتذتنا الراحلين"، وهي التي أرغب نشرها في أسرع وقت ممكن، والثانية "الأدب والأديب والمجتمع".

ولكم جزيل الشكر والامتنان،

الاسم: أمل بنت الخياط التميمي

العنوان:

ص.ب ٢٩٤

الرمز البريدي: ٣١٩٢١ الهفوف

ت: ٨٩٢٢٢٠٠ - فرعية ٢٦٤٩

شرخ الهجر
أم ل ح

مرايا
12
البلاد
السنة 68 العدد 15241 الأحد 24 ذو القعدة 1416هـ

طالبة شارفت على التخرج

محاضراتكم مسرحيات تعبث بلغتنا العربية

● بماذا تتوقعون ان يشغل بال طالبة مشرفة على التخرج ؟

هل هي الوظيفة ام اين سيكون التعيين ام يكون املها منصبا في توجيه نشئ صالح واعداده للحياة.

تشدني الاحلام ويحدوني الامل والامنيات لبداية مشوار جديد بعون الله، ومن هنا تبدأ الخطوة الاولى ويكمن مفتاح النجاح لان احلامنا تبدأ اكبر بكثير من ان ترتبط برباط وظيفي وقد صدق الشاعر حين قال:-

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الاجسام

وربما انني طالبة على وشك التخرج من قسم اللغة العربية فلا بد انني قد اعتدت على سماعي عبارات لغوية صحيحة حيث تنفر اذني من سماعي عبارات الخطأ، بل تشمئز نفسي من قبول العامية في المحاضرة وتعافها بشدة تلك النفس التي تأسست على اسس صحيحة صلح العود بعد ان كان معوجا، واخذت عهدا على نفسي بالا اسلك الطرق المعوجة وان اسلك الطرق الصحيحة التي رسمها لنا اساتذتنا وان اجاهد لإصلاح نفسي وان اكون عمادا لمن بعدي وبعد هذا المشوار الذي هو بداية لمشوار اكبر ملئ بالعطاء يكون هذا الختام !!

ان تفسدوا ما قمتم بتأسيسه وكسر العود في الذروة تتحطم الامال وتتلاشى الاحلام؟

لايهمني النجاح بقدر مايهمني كيف يكون النجاح فمن الصعب ان تكون قوالب تصب فيها المعلومات لتتقيأها على الورق ومن ثم تذهب ادراج الرياح لانريد النجاح فقط بل التزود بأكبر قدر ممكن من خبرة اساتذتنا ونحن في المحطات الاخيرة، اين انتم يا اساتذتي المتميزين؟!

كان لكم وقع في نفسي لاينسى وسيحفر لكم الزمن في طيات قلبي واخرين مثلي الكثير والكثير من الشكر والامتنان مهما طال بنا الزمن وبعدت المسافات فامثال هؤلاء تدريسهم امانة ومسئولية وليس وظيفة ووسيلة لدخل استاذ ويكون بعد هذا كله ان يأتوا بغيركم ممن تنقصهم الخبرة وحتى النطق السليم ليكون البديل ولكن هيهات.

كنتم تحاسبوننا عندما نلحن في المحاضرة واليوم من يحاسب استاذا يحمل درجة الدكتوراة في اللغة العربية يلقي محاضرته بالعامية في محاضراتكم كنا نجالس الخليل بن احمد ونحلق حول مجالس المبرد وثعلب ونناقش سيبويه والاخفش وأبي علي الفارسي ونتسابق على المكتبة للتزود من مخزون التراث او الكتب والان نمشي بخطى بطيئة واقدام متثاقلة لمحاضرة عبارة عن مسرحية هزيلة ساخرة ومملة ولست ادري لماذا هذا العبث؟

ولصالح من؟ وعلى حساب من؟ أهذا هو البديل؟

خطأ في حق انفسنا وحق امتنا ان توضع الامانة بيد غير لائقة بها فصرخة من الاعماق ابعثها الى كل طموح لإعلاء صرح بلاده ان من تختارونه لاعداد نشئكم يفترض فيه ان يساعدكم لبناء مجدكم فانظروا على من يقع الاختيار؟ على من هو اشد حاجة الى غيره؟ أم من هو اكثر تميزا من غيره لكفاءاته وخبراته.

برقية مستعجلة

ارجو المزيد من العناية عند الاختيار الصعب لمدرس اللغة العربية عند استقدامه من الخارج فلديكم الافضل فاذا كان لديكم صعوبة الاختيار فالطالب لايجد صعوبة في التقييم والاختيار.

شرخ الهجير ام ل - ح الدمام

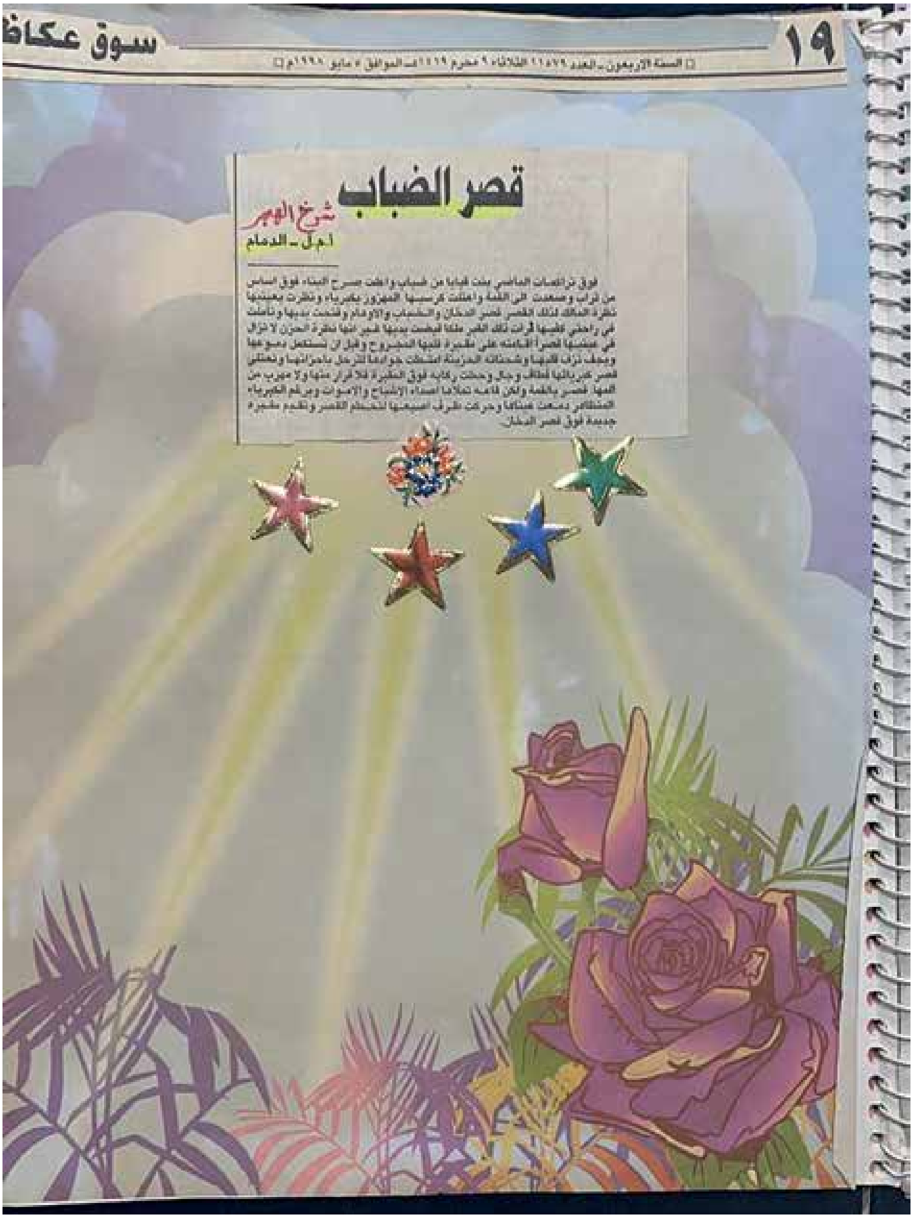

سوق عكاظ ١٩
السنة الاربعون ـ العدد ١١٥٧٩ الثلاثاء ٩ محرم ١٤١٩هـ الموافق ٥ مايو ١٩٩٨م

قصر الضباب

شرخ الهجر

أ.م.ل ـ الدمام

فوق تراكمات الماضي بنت قبابا من ضباب واعلت صرح البناء فوق اساس من تراب وصعدت الى القمة واعتلت كرسيها المهزوز بكبرياء ونظرت بعينيها نظرة المالك لتلك القصر قصر الدخان والضباب والاوهام وضمت يديها وتأملت في راحتي كفيها قرأت تلك الغر علنا قبضت بيديها غير انها نظرة الحزن لا تزال في عينيها قصراً اقامته على مقبرة قلبها المجروح وقبل ان تستكمل دموعها ويجف نزف قلبها وشحنات الحزينة امتطت جوادها للرحيل باحزانها وتحتلي قصر غربائها لطاف وجال وحطت ركابه فوق المقبرة فلا فرار منها ولا مهرب من المها قصر بالقمة ولكن قامه تملأها اصداء الاشباح والاموات ورغم الكبرياء المتظاهر دمعت عيناها وحركت طرف اصبعها لتحطم القصر وتقدم مقبرة جديدة فوق قصر الدخان.

٢١

سوق عكاظ

السنة التاسعة والثلاثون - العدد ١١٠٢٨ الأحد ١٧ ذو القعدة ١٤١٨هـ الموافق ١٥ مارس ١٩٩٨م

هموم طالبة على وشك التخرج

شرخ الهجر

طفولتي أكثر حرية من مرحلة فترة العشرينات من حياتي، رأيت أن الاسم المستعار كذبة لا يمكن أن أستمر فيها، وجريمة في حق نفسي لا يمكن الاستمرار فيها، في جزء آخر من حياتي سأحكي عن مرحلة العشرين والثلاثين المرحلة الصعبة جدا في حياتي بتأثير المحيط الذي كنت أعيش فيه.

أنا كلود مونيه

كلما قلبت دفاتري القديمة تذكرت موهبتي في الرسم، فقد كنت منذ طفولتي مولوعةً برسم الشّجر والفروع والأغصان، كنتُ أرسم على الأوراق، وألواح الخشب، والأقمشة، والجدران، وقد كنت أستوحي بعض رسوماتي من رسمة أمي الشهيرة التي كانت ترسمها لي على لوحة ورق مقوى كبيرة، ترسم فيها أمي غابة خضراء كبيرة وبها كل أنواع الشجر (الصنوبر والبلوط والتفاح ...إلخ) وعلى جوانب النهر يتناثر الورد، هذه اللوحة كانت ترسمها أمي لي كل عام دراسي تقريبا، وأشارك بها لتزيين الفصل والمدرسة، وغالبا ماتكون هذه اللوحة متضمنة بعض القطع النثرية المقتبسة من كتب المطالعة، وكانت أمي تصنع لي وردا صناعيا كأنه ورد طبيعي من المناديل الورقية مثبتا بأسلاك من الحديد لتزيين أرجاء المدرسة.

كنت غالبا ما أرسم على جدران المدرسة بمشاركة زميلاتي، ومن ضمن مارسمت أنا وصديقاتي جدارية كبيرة تتوسط فناء المدرسة مرسمو عليها عريش لشجر كرم العنب وبه عناقيد متدلية بألوان متعددة من العنب، وكتبتْ عليه إحدى الزميلات بخطها الجميل (**من كل دالية عنقود**). ورسمتُ كذلك لأختي فاطمة سلة فواكة متدلية منها عناقيد العنب على فستان أبيض واسع كأنه فستان عروس ليلة زفافها.

تأملت صوري القديمة فجدت نفسي ألبس قمصانا من رسوماتي، وبعض الصور فيها لوحات من رسمي. واكتشفت أنني في كل مرحلة من مراحل عمري كنت أرسم إما الشخصيات، أو في بعضها أرسم الشجر والطبيعة،

وقلما تخلو مخطوطاتي اليدوية من صور من رسوماتي، وكان عندي مرسما في سطح البيت على شكل عرش أحاول تقليد الرسامين، وأحيانا أحمل أدوات الرسم وأخرج بها لأرسم في الطبيعة.

لا أدري لماذا غلب على لوحاتي رسم الشّجر؟!، ومن ضمن الرسومات التي كررتها كثيرا رسم **شجرة العائلة** التي كنت أحرص على تحديثها كل فترة، تأملت شجرة العائلة التي كنت أرسمها منذ طفولتي المبكرة وحتى فترة المراهقة، فهي مليئة بالألوان والحياة وكأنها تشبه الإنسان في الخصوبة والانجاب والاستمرار، وبعدما كبرت وأصبحت أكثر إطلاعا وجدت لوحات الطفولة تشبه إلى حد ما لوحات الرسامين الانطباعيين التي بها مناظر الطبيعة في الربيع وصور الحدائق والشمس المشرقة وألوان الورود المتعددة وهي تشبه حياتي السعيدة في الطفولة، وتذكرني كثيرا بلوحة المرأة صاحبة المظلة ومعها ابنتها للرسام الفرنسي كلود مونيه.

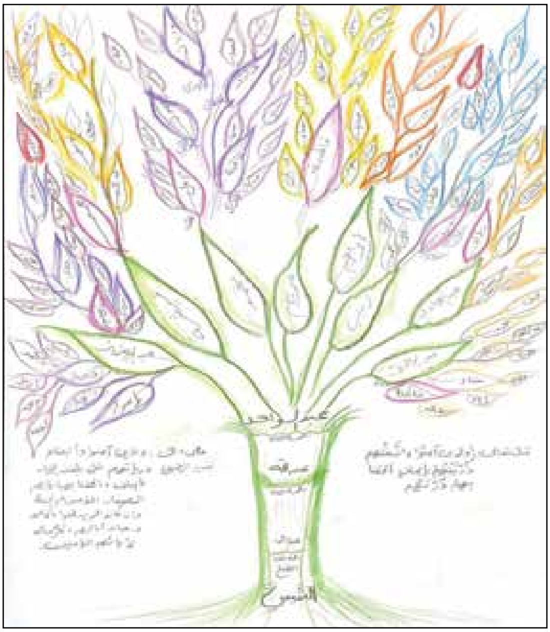

لعب رسم الشجر في حياتي دورا مهما في طفولتي، لاأدري لماذا؟!

أنا نجلاء مطري

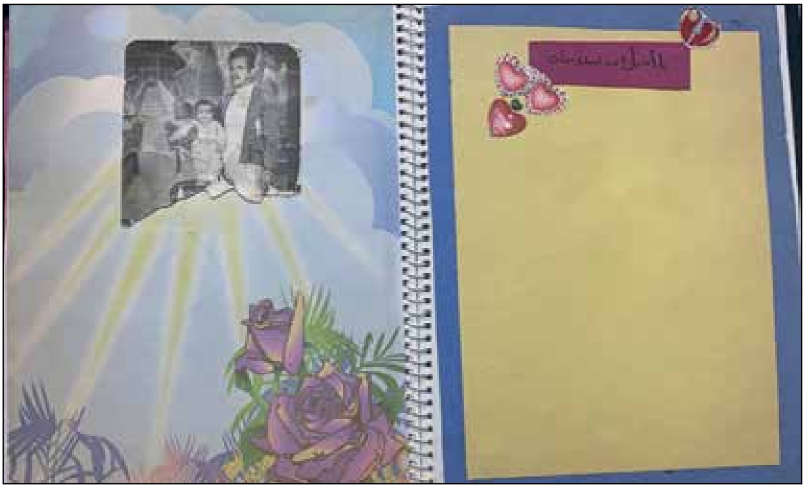

ظلت هذه الصفحة فارغة منذ وفاة أبي رحمه الله التي لم أستطع يوما الكتابة عنه أبدا ، فحينما تبلغ مكانة الشخص بقدر الأب تصبح اللغة عاجزة في التعبير عن المشاعر، يؤلمني كثيرا أنني لا أستطيع كتابة سطر عن مشاعري لفقد أبي، وكلما حاولت ذلك أغرق في الدموع وأدخل في اكتئاب شديد، رغم السنوات الطوال على موته رحمه الله ظلت هذه المنطقة الوحيدة المؤلمة التي لم أستطع مقاومتها أو التغلب عليها.

كتبت نجلاء مطري عن مشاعرها لفقد أمها رحمها الله، وكلما قرأت عن مشاعرها أبكي معها وأبكي على نفسي؛ لأنني لا أستطيع الكتابة، فتقول نجلاء: «الفقد يعني الموت يعني أن تفقد رائحة.. وتفاصيل من تصطفيهم، أن يحيطوك ولا تلمسهم، فتشعر بخيبة ووجع، تعذّبُك خيالاتهم، صورهم، طيفهم، تمرُّ ساعتُك أياما، وشهورك سنينا....(رزنامة ص 18).

تعاودني نوبات البكاء مع كل خبر موت، مع كل سطر أقرأه عن فقد، نجلاء تكتب عني ألم الفقد، بمجرد قراءة كلمات نجلاء مطري تبدأ الدموع تنغز عيني وكأنها رؤوس دبابيس حادة تطرق محاجر عيني، ويطفو غمام الدموع على عيني وكأنها أمواج، نقطة إلى هنا انتهت الكتابة.

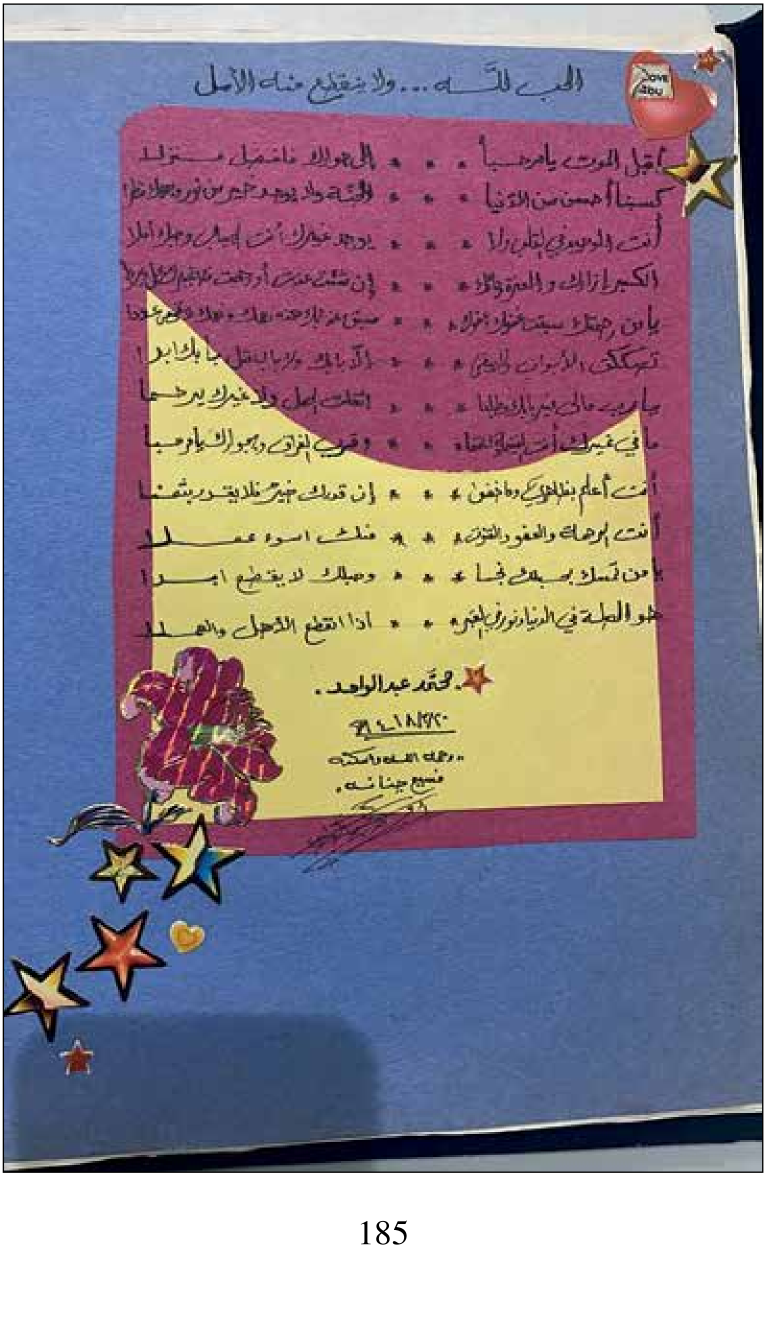

أنا محمد بن سلمان

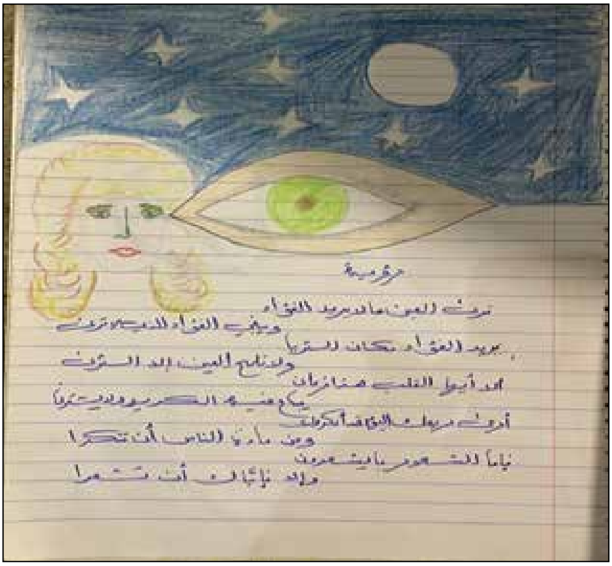

عنوان (رؤية) غالبا ما يتكرر في عناوين الأعمال التي اقتبسها لأرسم موضوعها وأنا طفلة وأنا في سن المراهقة، ووجدت قصيدة بعنوان (رؤية)، ثم عناوين أخرى تكرر فيها عنوان رؤية، وبدا لي أنني منذ طفولتي لديّ رؤية واضحة لما سأكون في المستقبل بإذن الله، فهناك تخطيط واضح، تخطيط قريب المدى وتخطيط بعيد المدى، وأنا أتصفّح أوراقي الخاصة بالرؤية ابتسمت، وشعرت كأنني محمد بن سلمان، فغالبا مصطلح رؤية أصبح يتكرر في حياتنا بعد رؤية صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان حفظه الله، فأصبح هذا المصطلح لصيقا باسمه.

وكلما تصفحت أعمالي التي كتبتها في الطفولة والمراهقة وجدت عناوين الرؤية والتخطيط والأمل والشموع والمستقبل والتفاؤل متكررة في كل مخطوطات أعمالي الشعرية والنثرية والرسائل والمقتبسات.

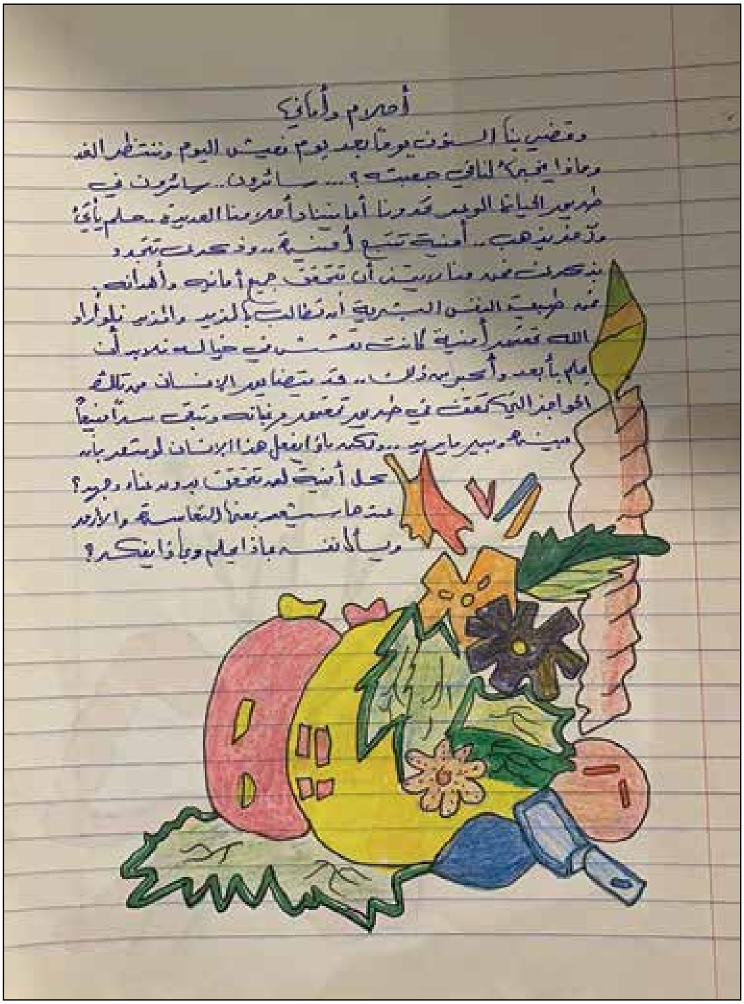

أحلام وأماني

وتمضي بنا السنوات يوماً بعد يوم نعيش اليوم وننتظر الغد
وما هو مخبأ لنا في جعبته؟... سائرون... سائرون في
طريق الحياة الطويل قد ودعنا أمانينا وأحلامنا العديدة.. حلم يأتي
وآخر يذهب.. أمنية تتبع أمنية.. وقد عرفت [illegible]
[illegible] أن تتحقق جميع أمانيه وأهدافه.
من طبيعة النفس البشرية أن تطالب بالمزيد والمزيد [illegible]
[illegible] أمنية كانت تعشش في خياله [illegible] أن
يحلم بأبعد وأكبر من ذلك.. قد يتخطى الإنسان من تلك
الحواجز التي تعيق في طريق تحقيق رغباته وتبقى سداً منيعاً
[illegible] ... ولكن ماذا يفعل هذا الإنسان لو شعر بأنه
هل أمنية لم تتحقق [illegible]؟
عندها سيشعر بمعنى التعاسة و[illegible]
[illegible] ماذا أحلم وبماذا أفكر؟

تأملت دفاتر كثيرة في مرحلة طفولتي أحتفظ بها توضح رؤيتي في الحياة وتخطيطي للمستقبل، كانت كتاباتي غالبا ما أهتم فيها بالتخطيط ودفع الآخرين إلى التفاؤل والأمل، وفيها قصائد وطنية، ووجدت مسرحيات مكتوبة في حب الوطن، وأخرى نصوص مسرحية في معالجة قضايا اجتماعية، بأسلوب يتناسب مع صغر سني. ولكن من يتصفح تلك الأعمال يستشعر أن لهذه الطفلة رؤية واضحة، وهمّا إصلاحيّا، يشبه إلى حد ما مشروع محمد بن سلمان حفظه الله.

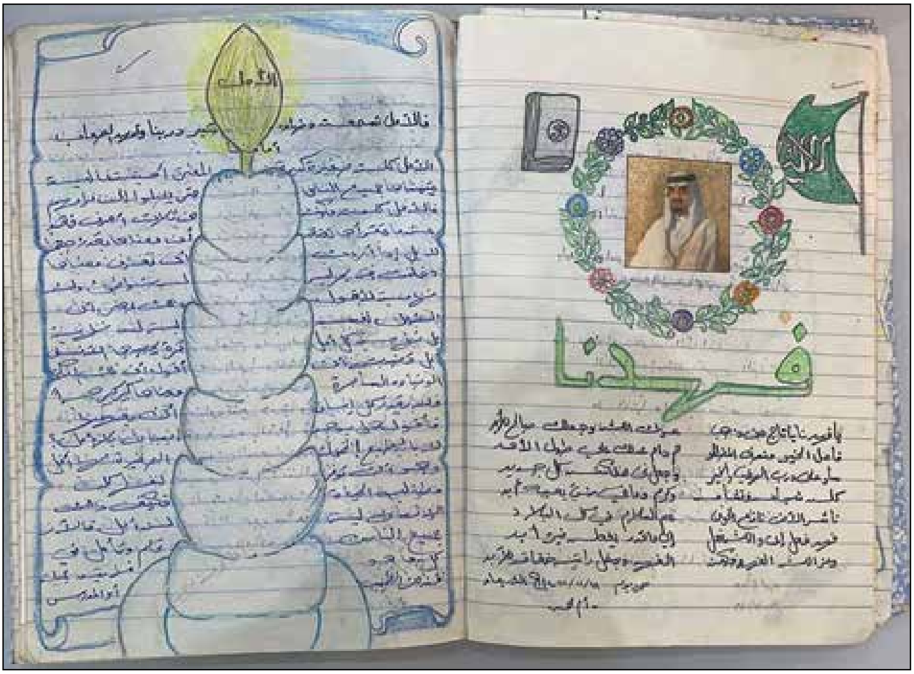

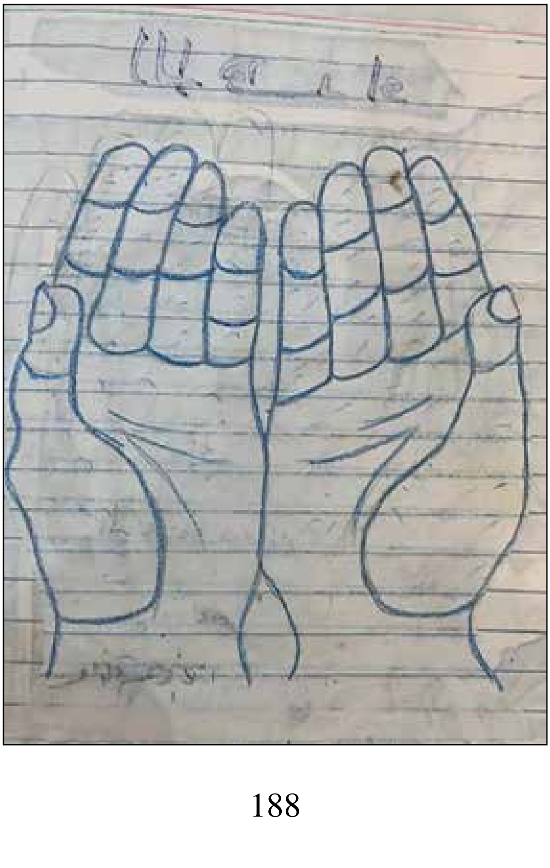

هذه الطفلة والمراهقة ترسم بيدها، وتكتب بمشاعرها، وتقتبس من كتبها، وتقص من مجلاتها وتلصق، مهمومة برؤيتها وتحقيق المستقبل الريادي لها ولمشروعها الوطني والديني والإنساني.

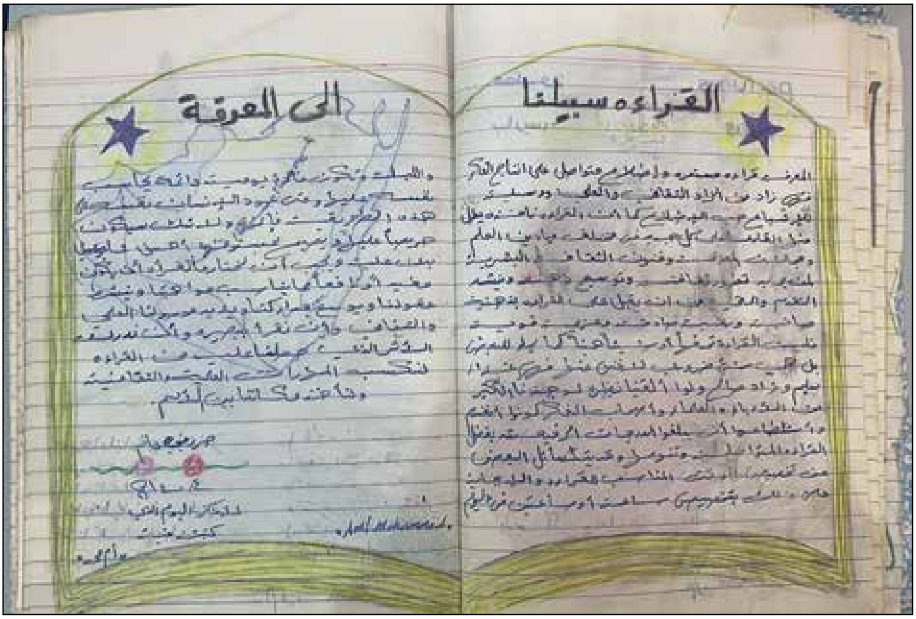

يبدو أنني لو جمعت ما كتبته بخط يدي عبر سنوات طوال عن الرؤية والأمل والتخطيط فقد يصلح لأن يكون كتابا عن التخطيط والرؤية والحوافز والأمل، وأحيانا أكتب (الرؤية الذهبية) بمعنى استغلال الفرص، وكل أوراقي وذكرياتي تدل على الشّغف، واهتمامي بالإنسان والذكريات، ولو أراد أحد أن يطلق علي اسما مناسبا مثل أمل الذي لي من اسمي فيه نصيب كبير منه، فيمكن أن يكون اسم ذكرى وذكريات مناسبا جدا لكثرة التوقيعات التي أوقعها بذكرى يوم وذكريات أحداث.

الطفل حينما يكون له رؤية، فيعني هذا أن يستشعر أهمية دوره في الإصلاح، كنت مشغولة في إقناع الأطفال من حولي برؤيتي، والعجيب أن

كل من حولي يتأثرون بي تماما، ويسيرون خلف ما أقول وينفذونه، ولعل من أهم الخطط التي نفذتها في طفولتي، تدريس الأطفال وتنويرهم في رسم وظائف المستقبل والموائمة مع قدراتهم وخططي تأهلهم للتفكير الناقد من خلال المسرح.

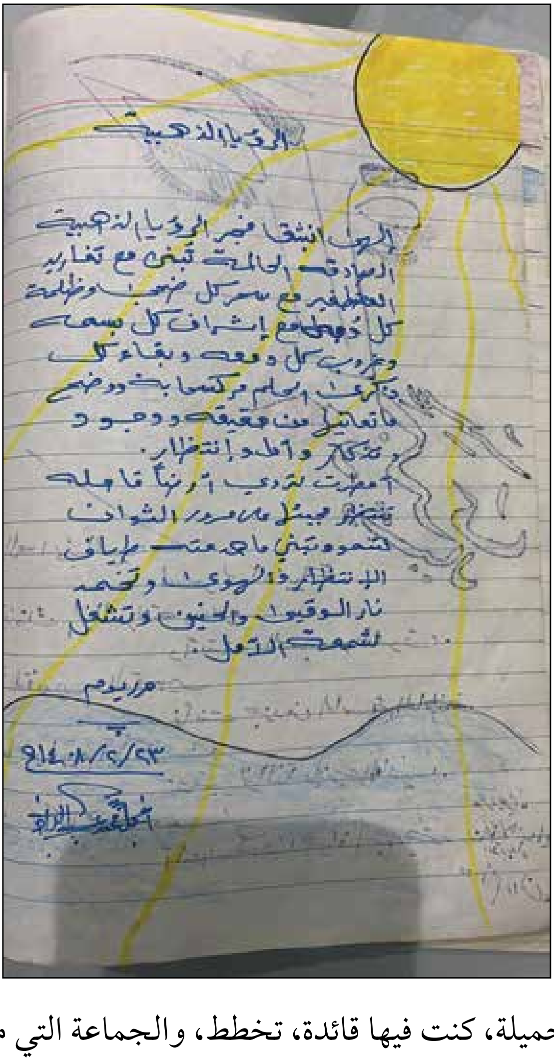

ذكريات جميلة، كنت فيها قائدة، تخطط، والجماعة التي معها تنفذ، وكل مرة تشعر بفرحة التّغيير، أو الإصلاح والعمل ضمن فريق عظيم يتحدى معها كل الصعوبات.

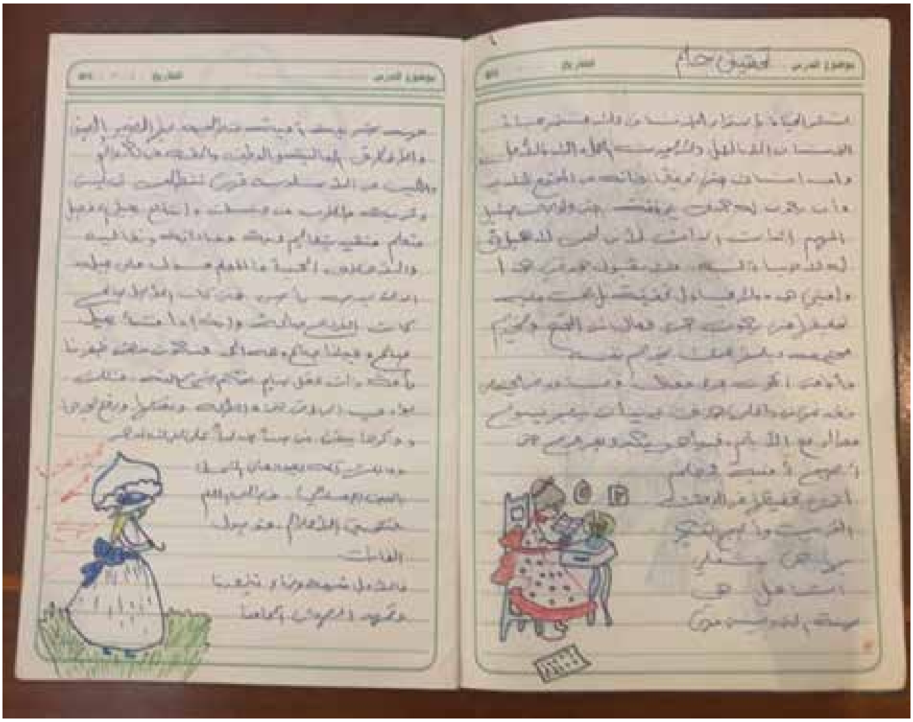

الفصل الرابع

صور من شريط الذكريات

- مفرحات الطفولة ومحرجاتها
- مراهقة عنيدة
- قبلة ثمنها الصفع
- وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا
- خصام وهجر
- غربةٌ مرة ويتمٌ أمر
- مشالح التخرج
- أمل واسطتها كبيرة
- التّنمر
- الاستديو الإعلامي
- مشلح الرقص
- محنة كورونا ومنحة الخالق
- الفستان الرقمي
- محنة كورونا ومنحة الخالق
- وجروح طوتها الأيام وعادت بالعمى المؤقت
- المواجهة والإرادة
- بين كركرة الذكريات وبكاء الأنين

مفرحات الطفولة ومحرجاتها

كنت الابنة الأولى لأمي وأبي؛ لذلك حظيت بالحنان الفائض والدلال، لا أعرف إن كان فائضا وقتها أو أن كل الناس تعامل أبناءها هكذا، ولكن يبدو أن ليس كل الأبناء يحظون بما كنت أتنعم به من رغد والديّ وكرمهما، لأن خالتي الصغرى، وهي ليست بالبعيدة عني سنا، أكبر مني بأربع سنوات أو خمس، كانت تفصح عن مشاعرها بالغيرة مني كوني أمتلك عرائس كثيرة وألعابا، لم أكن أشعر أنني أميل إلى إغاظة أحد بألعابي، بل كنت أميل إلى مشاركة من حولي بما أملك، أحب امتلاك أشيائي ولكن لا أمانع في مشاركتي اللعب مع الأطفال، وأحب إعطاء الهدايا وفرحة الأطفال.

ومما حكته لي أمي وأتذكر بعضه، أنني إذا أعجبتني لعبة عند زيارتنا لأحد أحضنها وأبكي، وأريد أخذها معي. حقا، كانت فيّ هذه العادة، أحيانا، إذا أعجبت بلعبة أريد أن أتملكها، وقد حدث هذا معي وأنا كبيرة في الحج، فذكرتني أمي بهذه الخصلة وأنا صغيرة. كنا أنا وأمي بمعية أخي عبد الواحد وأخواتي لأداء فريضة الحج، وكان وقتها شتاء قارس، والحملة التي نحن في

زمرتها (حملة النور) كانت توفر جميع احتياجات الحاج، وفتحت عيني ذات ليلة وإذا بجميع النساء في المخيم نائمات، ماعدا أختي غصون قائمة تصلي في ذاك الشتاء، فشعرت بالغيرة، فقمت لأقلدها، وأنا في طريقي إلى المكان المخصص للوضوء، شاهدت مصلى صغيرا فيه شراشف صلاة، توضأت وقمت أتخير من تلك الشراشف، فإذا بشرشف فائق الجمال كأنه يناديني، وبه جاذبية عجيبة، لونه أزرق وبه ورود فائقة الجمال، لمسته فشعرت وكأن بيني وبينه علاقة حب، ضممته ولبسته، فأعجبني لونه، وحضنه، فشعرت بالدفء والفخامة وأنا ألبسه، فأخذته وصليت به تلك الليلة ونمت به، ولما صحوت مررت على جميع أقسام المخيم الذين كانوا من الحجاز والقصيم والمنطقة الشرقية ونجد، أسأل عن صاحبته لأشتريه منها، فلم أجد صاحبته، فاسمريت في لبسه وأنا أستشعر جماله ودفئه. وعند اجتماع البنات في مكان للمشروبات عند المغرب، اجتمعنا لشرب الحليب الدافئ في البرد وأنا ألبس ذلك الشرشف، وإذا بي أرى مجموعة بنات، تصرخ واحدة منهن مؤشرة عليّ (هذه هي الحرامية، حرامية الشرشف، وجدناها) وتقدمت مني وهي سعيدة أنها قبضت على الحرامية، ابتسمت وأصبحت أُبرر لهن بأني لست سارقة، وأنه أعجبني كثيرا، وودي بمثله، وسالتها من أين اشتريته؟ وفي قرارة نفسي أريد الشرشف نفسه، ثم قلت من صاحبته؟ فقالت إحداهن: أنا. فقلت لها ما اسمك؟ فقالت: أفنان. فقلت: أفنان كم كلفك الشرشف؟ فقالت (100 ريال)، فقلت لها: أريده بـ(300 ريال). ففرحت كثيرا وقالت: (أكيد خذيه، بالعافية عليك، أروح جدة وأجيب بدله ثلاثة شراشف). فتبادلنا الأرقام، وأصبحت من يومها صديقتي.

هكذا كنت منذ طفولتي، حينما يعجبني شيء أعبر عن رغبتي في أخذه، وأتشارك اللعب والمحبة والصداقة، تكون علاقة جميلة بيني وبين الجمادات والأصدقاء والألعاب والحيوانات والحشرات، فاكتشفت أفنان أنني لست

السارقة، وهكذا، اكتشفتُ أنني محبوبة عند كل صديقات الطفولة، وأصدقاء الطفولة، وهو شعور جميل أن يصف الآخرون مدى حبهم للعب معي، أو مشاركتي اللعب، لأن فيّ صفات جميلة؛ فأنا لا أضرب، ولا أعتدي، ولا أجرح، ولا أسب. وحتى الأمهات كن يحرصن أن ألعب مع أولادهن وبناتهن لأن بي خصالا حميدة. هذا الشعور الجميل نُقل لي من صديقاتي وأصدقائي، الذين ما زلت احتفظ بالتواصل معهم ما بين فترة وفترة.

كنا نتردد على أبي طوال العصر، ونقول: (بابا ريال) ونذهب ونشتري بالريال، ثم نعود، ونطلبه ريالا آخر، فلا يمل أبدا من تكرارعبارة (بابا ريال) عليه عشرات المرات من أجل هذا الريال، ولكنني كنت أحيانا أحرجه، فأذهب وأقول له: (بابا ريال)، ومعي زمرة من الأطفال، فيعطي كل من معي مثلي، فأحيانا يوجهني بيني وبينه بألّا أطلبه مع مجموعة أطفال. وكان من عادة أبي في التربية إذا أراد التنبيه على أمر، أن يطلب مني أن أذهب وأحضر تمرة، يجعلني أكلها ثم يأخذ مني (نوى التمر) ويضعها خلف شحمة أذني، ويضغط عليها، ويقول ما يريدني أفعله، ثم يقول لي سمعتِ، فالتمرة تكون رمزية لحلاوة الشيء مثل (الريال)، والنوى للتنبيه، فأعرف إذا قال بابا، أمل روحي جيبي (التمرة) أنه مستاء من تصرف ما، فأعرف أنها للتنبيه على تصرف أو سلوك خاطئ لا يريد بابا إحراجي بين الناس عليه.

ولا أظن أنني رأيت أبي يمر من بين الأطفال إلا وفي جيبه حلاوة (توفي) أو (حلاوة بقرة) يوزعها على كل طفل يمر به، وإذا أحضرت زمرة من الأطفال لأخذ الحلاوة فهذا السلوك يفرحه ولا يحرجه، لأنه كان يقول: إن أجر فرحة الطفل عظيمة عند الله.

من جماليات الطفولة أننا نفرح بالهدايا، وكنتُ حظيظة جدا باستقبال الهدايا من الصغار والكبار، فأذكر عم يعقوب زوج (توتا) الذي اشترى لي فيديو فهو من أروع الهدايا التي تشبع رغباتي الإعلامية، و(توتا) أحضرت

لي عروسة تتكلم من أمريكا، فكانت هذه العروسة مثار نقاش حول ما إذا كان اللعب بها حرام أو حلال، وكذلك العروسة التي اشتراها لي بابا وكانت تقضي حاجتها ونشتري طعامها من الصيدلية، رغم النقاش الذي دا عن جواز اللعب بالعرائس من عدمه. وأعتقد أن العرائس من أجمل الألعاب للطفلة فهي التي تشبع فيها غريزتها للأمومة. وما زلت احتفظ ببعض تلك الهدايا الجميلة والغالية على قلبي، وتذكرني بأجمل مرحلة في سنوات عمري.

منذ كنت صغيرة كنت أمل السيدة التي تلبس الكعب، أحب العباءة، وأحب أن أحمل حقيبة بيدي، لا يمكن الاستغناء عن الحقيبة أبدا، فكانت أمي تناديني (**خديجة منادي**) نسبة إلى دكتورة بالمدينة تذهب بحقيبتها لتولد النساء، فأعرف أن أمي تقصدني بقول خديجة منادي، تقصد حقيبتي التي بها كل مستلزمات اللعب، وبها أدوات خياطة، وبها كل أدوات الزينة التي كنت أحبها منذ طفولتي، فأنا (خديجة منادي) التي لا يمكن الاستغناء عن حقيبتها أبدا، ولا أستعني كذلك عن أصدقائي.

كنت أحمل في حقيبة خديجة منادي، الأوراق والأقلام حتى أكون معلمة، وأحمل الأقمشة والإبر والخيوط حتى نلعب بالعرائس مع كل البنات، وأزيد عليهن أنني شغوفة بالخياطة لعروستي الفساتين والبجائم والوسائد، وكنت ألعب مع كل من أحب ولأنني كنت ألعب في الشارع مع أولاد خالتي فمن المؤكد أنني تعرضت للضرب بالخطأ أو بالعمد، فغسان خلع لي سنا، وشوقي (فقش رأسي بالخطأ)، وأيمن يضربني متعمدا، وحاليا يحكي لزوجته مغامرات الطفولة، وتحكي لي أنني أسطورة الحكايات لأولاد خالتي في الطفولة، وأيضا هم أساطير طفولتي. فذات مرة فعلوا بي ما فعلوا من مقالب الطفولة، فكان الأولاد يفعلون ببعضهم من المقالب ما يفعلون، ومنها: أن جمعوا بولا في علبة (سفن أب) لنعمل تحليلا له في مستشفى الطفولة، فقد كنا نحلم أن نكون أطباء المستقبل، فأعطوني علبة السفن وشربت منها، ولكم أن تتخيلوا ما أصابني.

ولأنني كنت ألعب مع أولاد، فلكم أن تتخيلوا أن تلك الطفلة الوديعة كانت تلعب مع الأولاد مثل سوبرمان، فكنا نلعب على حافة سور سطح البيت المكون من ثلاثة أدوار، غير مبالين بالخطر الذي قد يتسبب في سقوط أحدنا، والحمد لله لم يصبنا أذى. ولكن ذات مرة، ونحن نلعب على سطح بيتنا، امتدحني أولاد خالتي، ونفخوا بي، حتى صدقتهم أنني (ستيف أوستن) الذي له قوة خارقة ويستطيع أن يطير بالسماء، فطرت من على السطح ظنا مني أنني سأحلق عاليا مثله، فإذا بي أسقط على الأرض وتنكسر رجلي، ويجبرها زوج خالتي علي، هذا يعني أنني وعلى الرغم من الذكاء الذي كنت أُمتدح به، فبي أحيانا بعض السذاجة إذ أُصدق من يمدحني حتى أعرض نفسي إلى التهلكة، (المدح الضار)، وأيضا لم أكن أحسن الاقتصاص لنفسي من الآخرين، بمعنى العين بالعين والسن بالسن، فإذا ضربني أحد لا أرجع الضربة بضربة. وذات مرة، ضربني نزار، وإذا بي أحمل طوبة لأضرب رأسه بها، وإذا بأبي يفكه مني، ويقول: لا تضربيه، فأحرجت أبي قائلة: ألم تقل لي من يضربك أضربيه، وإذا بالموقف ينتهي بضحك الكبار.

كنا نتهادى نحن الصديقات بأشياء كثيرة، ومن أجمل الهدايا التي أهدتها لي صديقتي حنان الحازمي (تجراف للذكرى)، وهو عبارة عن دفتر خاص

لتسطير الذكريات والمشاعر تشارك في كتابة صفحاته مجموعة من الفتيات الصديقات، وأظن أن التجراف من أهم ممتلكات البنات في فترة ما من حياة الطفولة، وعادة ماتكون هناك عبارات تكررها البنات جميعن مثل: (الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان – أكتب لكِ بالمقلوب علامة الحب في القلوب – أكتب لك بالأخضر علامة الحب الأكبر – أكتب لك بالمائل علامة الحب القاتل)، وهذا التجراف يُشبع عند الفتيات متعة الكتابة للذكريات، وما زلت أحتفظ بالتجراف الذي أهدته لي صديقتي حنان منذ الصف الخامس ابتدائي، وكلما أقرأ العبارات الجميلة التي بين أسطره وأوراقه وكل حرف فيه، استعيد الحب الصافي في حياتنا، ونكتشف مزايا الطفولة الجميلة.

في الطفولة كنا كأننا حمام سلام، نفرح من القلب على حلوى أو لعبة، وما زلت أحتفظ ببعض جماليات الطفولة ومنها قطعة ذهب، وهي عبارة عن تعليقة على شكل فلفلة صغيرة، وسجادة وشرشف صلاة، أهدتها لي معلمتي (ملكة) وأنا في الصف السادس تقديرا لتميزي على مستوى المدرسة. وثمة حقيقة تعلمتها من طفولتي، وهي مدى تأثير الهدايا على الطفل وتشجيعه، وأصبحت أحرص عليها حينما كبرت، إننا حينما نمنح الأطفال الهدايا نمنحهم الحب، نمنحهم الثقة، نمنحهم الذكريات الجميلة، وكل شيء في وقته جميل، فلا أستطيع أن أتخيل لو ذهبت طفولتي بدون هدايا وحلوى وألعاب، يمكن أن يكون في داخلي حرمان أو شعور بالقسوة أو يمكن أن يكون هناك إلحاح لرغبة لا يمكن أن تتحقق في الكبر، فألعاب الطفولة مثل أوقات الصلاة، تؤدى في وقتها، وإذا راح وقت الصلاة فهي قضاء.

من أجمل مفرحات الطفولة مشاركتي بالإذاعة، ومشاركتي في الرسم على جدران المدرسة، ومشاركتي في كتابة نصوص مسرحية والأداء المسرحي على مسارح المدرسة، وأجمل مفرحات الطفولة أيضا أنني أستطيع الشفاعة لمن يطلبها ومساعدة الآخرين، فكانت مديرة المدرسة تطلب مني

أشياء أطلب من أبي يساعدهم فيها، وكذلك فإن من أجمل ثمرات الطفولة لذة حب الآخرين لي وثناءهم علي وشكرهم لي على كل شيء أقدمه لهم، وكان هذا الأمر يسعدني كثيرا.

مراهقة عنيدة

يبدو أنني كنت طفلة عنيدة جدا، ومن مزايا تربيتي أنها عقّلت عنادي، فلو أنني تربيت في أسرة عنيدة مثلي أو مسيطرة لكنت أشبه بالأسد الهائج أو الثور الأعمى، ولكن النقاش الراقي الذي تربيت عليه هدأ من ثوران الأسد الذي بداخلي، فكنت وإن بدوت هادئة ناعمة، ولكنني لا أسمع الكلام أحيانا إلا إذا أردت. مثلا أدخل بيت عمتي، وأقف عند الباب، فيقول لي الجميع وبهدوء: هلا ادخلي، لا أتكلم ولكن أُشير بكتفي، يعني لا أريد! ثم يقولون اتركوها (أمل بالمديني) وتعني هذه الكلمة عروسة تلبس الزي المديني وتزف على كراسي ببطء وتتعزز، ثم ما ألبث أن أدخل وأسلم وألعب، ويبدو أن هذا كان خجلا، لا أعلم! وأحيانا يطلب أبي مني غسل يدي قبل الأكل، فأشير بكتفي، يعني لا أريد! ثم يقولون اتركوها، وقد يكون هذا اعتراضا على تصرفه أن لا يخجلني بقول اغسلي يدك أمام الجميع، هذا ممكن! وإذا بكيت، يقول زوج عمتي (محمد الحميّد) بطريقة لهجته النجدية ثلاث مرات: (بلحيل أكثر ما أسمع، بلحيل أكثر ما أسمع، بلحيل أكثر ما أسمع)، فيجن جنوني منه، فأصرخ بالبكاء. وكانت أمي عندما تقلده تستفزني، فأبكي ثم أنام في حضن عمتي (مريم) وهي تمسح رأسي.

مضت طفولتي (العنيدة) بدلال أهل روضوا اللبوة التي في داخلي، فيبدو أن الدلال والغنج هما الأسلوبان الوحيدان الذان يؤثران فيّ، أما العناد فيزيدني عنادا ويخرج الطرف الآخر معي في تحدّ خاسر، وبعدما كبرت قليلا لم أتعرض لعناد بل كانت شخصيتي محبوبة من الجميع كما كنت طفلة بل

أكثر، وفي هذه المرحلة تضاعفت مواهبي الإعلامية، فكان عندي استديو أسجل فيه البرامج الإذاعية، والأغاني، فعندي قناة راديو خاصة بي وعلى طريقتي، وكنت أقلد وأرقص وأنكت، و(عمي عبد العزيز رحمه الله) كان كريما جدا يعطيني 500 ريال برأسها، فأذهب أنا وتوتا لأشتري بها كلها أشرطة فارغة، وموسيقى، وأغاني، فأفتح الموسيقى وأغني كأنني أنا المطربة الأصلية للأغنية، وأعمل فواصل إذاعية بقراءة كتب، أو أعمل مقابلات مع العائلة. وعمتي زينب وزوجها (عمي عبد العزيز جبلاوي) في هذه الفترة من حياتي كان لهما معي أجمل ذكريات حياتي، كنا نسافر معا في سيارة واحدة، وكان يسميني (فرحات) لكثرة الفرحة التي أدخلها على قلوبهم.

وفي هذه الفترة بدأت بتطويل أظافري، والرقص بسحبة مايكل جاكسون، وألصق صوره هو وبروك شيلدز على جدران غرفتي، وكذلك صور القطط، وصورة الأمير (سلطان بن سلمان) ببدلته الفضائية الملهمة كانت تزين قلب غرفتي بوصفه ملهماً لي وشخصية جذّابة وساحرة. لم أكن أعرف أن (الأغاني) حرام أو (الصور) حرام، وفجأة تصعقني أستاذة في مرحلة المتوسط بقولها: (الأغاني حرام) وأخذت تنصحنا، لم أصدقها، وصعقني كلامها، وخصوصا أن في مكتبة أبي كتابا اسمه **الأغاني** للأصفهاني، ويبدو أنني كبرت وبدأتْ تُدهشني الدنيا الغافلة عنها، أو أن تلك

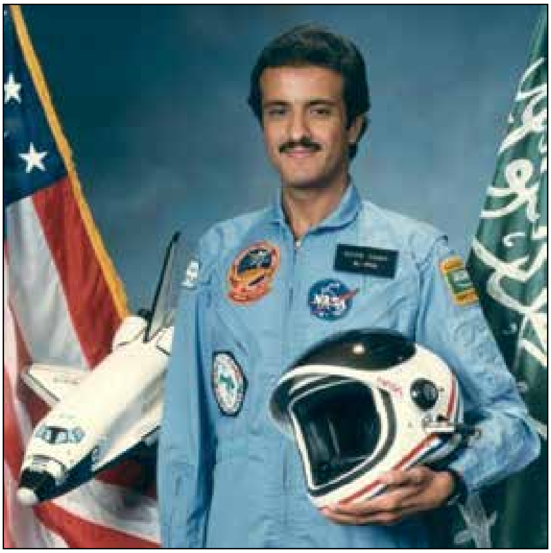

الفترة قد بدأ فيها تيار متشدد جدا في النّصيحة؛ لأن عمتي (عيشة رحمها الله)،

هي الأخرى بدأت تتصرف بطريقة عجيبة بالنسبة إلى ما أعرفه عنها، فقد كانت مرحة فارسة شجاعة وتحب ركوب الخيل والمرح وعمل المقالب بأخوانها، وفجأة أصبحتْ تعترض على أظافري، وتنصحني بتمزيق الصور المعلقة على جدران غرفتي، ولأول مرة أرى عمتي تتصرف بهذه الطريقة، فقد مزقت الصور بيدها، ومزقت قلبي مع صور القطط.

كنت أنا (أم هريرة) مثل جدي عبد الواحد أحب القطط وتربيتها، وكانت صورها تزين كل جدران غرفتي، ولم يطلب مني أبي أو أمي يوما ما أن أنزعها أو يعترضان عليها، وبعد تصرف عمتي هذا انهارت أمل بالبكاء، أمي لم تقل لعمتي شيئا وجعلتها تتصرف كما تريد، وأنا من وجهة نظري، أن أمي لم تحمني من تصرف عمتي، وجعلت عمتي تحرق قلبي بتمزيق ممتلكاتي وما أحب، وكذلك أبي!!

والعجيب أن أبي بعدما خرجت عمتي طلب مني أن أقص أظافري، أدهشني!! لأن أبي يريدني أن أقص جزءا مني رغما عني، وشيئا أحبه، وهو يعلم كم أصرف من الوقت لأهتم بأظافري، وأشتري لها مقوي أظافر، وأسخن زيت الزيتون حتى يُصبح دافئا وأضع عليه قطرات الليمون - كما أوصتني عمتي زينب - ثم يطلب مني بعد كل هذا الاهتمام أن أقص أظافري، ولأول مرة قلت (بابا آسفة) لن أقص أظافري؛ لأنك لم تطلب مني ذلك من قرارة نفسك أن أقصها؛ ولأن عمتي عيشة طلبت منك ذلك. فقال: عمتك عيشة أختي، وأنا ألبي طلب أختي، ودار نقاش طويل بيني وبين أبي أساسه أنه يريد تلبية أمر أخته على حساب أظافري، وأنا رفضت الطلب بأسوب الأمر.

وانتهى الموقف بيني وبين والدي، بتخييري بين أمرين: إما أن تسمعي كلام عمتك عيشة وتقصي أظافرك، وإما أن تستمري على رأيك ولن تسافري معنا تركيا. ثار غضبي من موقف أبي، ورددت عليه بأدب، قائلة: تركيا أعرفها ولا أريد السفر إليها، وأظافري غالية علي جدا، ولأول مرة أبي ينام وأنا زعلانة.

عمي عبد العزيز رحمه الله

عمي عبد الرحمن رحمه الله

لا أعلم ماذا قال أبي لعمي (عبد الرحمن رحمه الله) وهو غالبا ما يتدخل في مواقف مثل هذه لنصحي أو تحميسي لدراسة الطب، فمثلا نصحني بعدم قراءة رواية (لا أنام)؛ لأنني ما زلت صغيرة على قراءة الروايات، المهم دخل عليّ عمي عبد الرحمن، ومعه ساعة (رولكس)، ففرحت بها، وهو غالبا ما يقول لي: (يا دِكتور) باللهجة المصرية، وقال لي: هذه الهدية الرائعة لك إذا قصصتِ أظافرك، فكنت فرحة ثم انكمشت وبكيت، وقلت له: حتى أنت يا عمي تريد أن تكسرني وتنفذ كلام عمتي عيشة، أنا لا أحب أحدا يفرض علي رأيه بدون نقاش، وهي لم تطلب مني ذلك أو تتدرج في الطلب بل مزقت صور قططي مباشرة، وتطلب قص شيء هو جزء مني وغالٍ عليّ، فشرح لي

عمي شرحا طويلا، أضرار الأظافر، ومحبة الأخت وتقدير كلامها، واحترام الكبير، والتنازل حتى تسير السفينة....اقتنعت بكلامه على أن يجعل عمتي تعتذر مني وتطيب خاطري على صور قططي التي مزقتها، لا أعرف كيف أقنعني وقبلت.

يبدو أن عمي باتفاق مع أبي حل مشكلة كبيرة من عنادي، ثم وأنا نائمة، وجدت أبي بجوار رأسي ومعه (القصّاصة) ولم أكن وقتها أعلم ماذا تعني (الأخت) عند أخيها للرجل، وكنت بموقفي هذا مع عمتي قد وضعت أبي في موقف صعب مع أخته، ويبدو أن الابنة مهما كانت غالية ومدللة، وتعرف كيف تلين رأس والدها، فإن كفة الأخت ربما أرجح وأثقل. كنت مراهقة وعنيدة ولا أعرف مشاعر أبي تجاه أخته، وأنني وضعته في موقف صعب في داخله، وهو بلينه وبحكمته عرف كيف يطيب خاطر أخته وينفذ أمرها، وفي الوقت نفسه، عرف كيف يوسط أخاه ليحل المشكلة باللطف واللين، وعنصر (المكافأة). ومرهذا الموقف وقد كسبت كثيرا، كسبت حب عمتي وتقديرها وأمي من طلبت مني تقبيل رأسها ويدها، (ما أروع أمي)، ثم كسبت الساعة من عمي، وكسبت مبلغا ماليا محترما من (بابا) مكافأة على تقديري لعمتي، وصرفته في سفرتي إلى تركيا وجلبت هدايا لكل عماتي وخالاتي، وأطلت أظافري لاحقا!.

قبلة ثمنها الصفع

ما كنت أتصور أن بإمكاني كتابة ما سوف أكتبه هنا، لأن هذا الموقف من أسرار حياتي التي لم أبح بها إلا لأمي حينها، ولم أبح به هنا لولا أن صاحب السر قد تحدث به، وما كنت سأكتب عنه لولا أن هذا الموقف قد أحدث تحولا في حياتي وضاعف ثقتي بنفسي، وثقة أمي بي.

لستُ مثل بعض البنات في مراهقتي اللاتي يُخفين عن أمهاتهن أي شيء في حياتهن، كانت علاقتي بأمي أشبه بعلاقة الصديقة بصديقاتها، نلعب معا وندرس معا، ونحفظ أسرارنا معا، حتى أن بنات العائلة إذا أردن الحديث بسر، يتلفتن حولهن إذا كن لا يردن أن تطلع أمي عليه، أو يسكتن ويقلن: لا تتحدثن أمامها، إنها فتانة، تنقل كل شيء إلى أمها. لا أعلم حينها لماذا كانت البنات يغضبن إذا ما نقلت أخبارهن لأمي، ولكنني عندما كبرت عرفت السبب، وذلك لأن أمي صاحبة شخصية قوية وحازمة لا تقبل الخطأ وتتدخل في خصوصيات بنات أخواتها، بل وتحاسبهن، وتشعر أنها مسؤولة تجاههن، وقد يكون أسلوب نصحها مع البنات غير مناسب أحيانا، ولكن من المدهش أنها لم تكن تعاملني مثلما تعامل بنات العائلة، فقد كانت شديدة ومسيطرة عليهن وتتدخل في نصحهن، ولكنها تتفاهم معي وتعطيني مساحة من الحرية. لا أعلم ما سبب هذه المساحة، فمن الممكن أن أبي كان يتدخل من خلفي دون علمي، لأنني اكتشفت أنه يمتلك كتبا كثيرة في التربية وعلم النفس، أو قد يكون قلب الأم المحب المتعاطف مع ابنتها هو السبب، فقد كانت أمي تختلف في تربيتي تماما عمن ربت من أخواتي بعد موت والدي رحمه الله.

ولعل من أبرز مواقف مرحلة المراهقة التي مررت بها موقفا مررت به غيّر حياتي وشكل شخصية أخرى لي، وخلق مني شخصية مختلفة. كنت آنذاك يمكن في الصف الثاني متوسط، لا أريد أن أحسبها بعمري بالسنوات، لأنني دخلت المدرسة مبكرا عن أقراني وتخرجت من الابتدائي قبل سني القانونية، وعلى العموم سأكمل لكم حكاية الموقف.

في فترة المتوسطة كان جسمي ناعما ونحيلا فلم أغطِ وجهي مثل بقية البنات في مرحلة المتوسطة؛ لأن شكلي الخارجي يبدو أصغر منهن، ولم تطلب مني أمي أو أبي أن أتغطى عن أي رجل في العائلة أو الأولاد الشباب، وما زال الوضع مستمرا، ألعب مع أبناء خالتي، وأجلس مع الجميع كما كنت طفلة. ولكن بدت تظهر عليّ علامات الأنوثة، ومما يضاعف أنوثتي الأناقة واللبس المميز والاهتمام، وكانت أمي تخيط لي بيدها ملابس أنيقة وذات تصاميم مميزة لا توجد في الأسواق، وكانت أيضا (توتا) تجلب لي الملابس ذات الماركات العالمية، فلبست منها أجمل التصاميم وأغربها، وأجمل الإكسسوارات.، وبالأخص لبس (الجاليه) الأحمر الشاموا الذي كان يميزني باستمرار.

وبحكم أنني تربيت مع ابن عمتي محمد نزهة وهو الأخ الأول في حياتي، ومع أبناء خالتي آمنة كلهم تربيت معهم في بيت واحد، وشوقي الأخ الثاني في حياتي، فهم بمثابة أخواني فلم أشعر أو لم يشعروا بأنني ابنة خالتهم، ما زلنا نتعامل بمشاعر الأخوة، ولكن الوضع اختلف مع ابن خالتي فاطمة، فهم لا يعيشون معنا، نتقابل في اجتماع العائلة كل أسبوع في بيت جدتي أمي غيثة، أو في اجتماعات الأقارب، ولكني أرفض اللعب مع ابن خالتي هذا تحديدا، كنت ألعب مع أخيه الأصغر منه، ولكنني أتحاشى الكلام معه. يحاول أن يتقرب مني ولكنني لا أعامله مثل باقي الأولاد، أنفر منه وأبتعد. يمكن أن تصرفاتي هذه تُنبئ عن وعي ساذج بمشاعره تجاهي.

كنت كما ذكرت عفوية في تعاملي مع جميع الأولاد، لا يهمني اللعب مع أي منهم ما عدا (ابن خالتي هذا)، وحدث ذات يوم ما كنت أخشاه، كانت كل العائلة مجتمعة في بيت خالي، وطلبت مني (أختي بالرضاعة وابنة خالي) الصعود إلى بيتهم في الدور الثاني لنجلب رضاعة أختها الصغيرة، لأكتشف أن كمينا نُصب لي من (ابن خالتي) ليخلو بي، وفجأة أجده يمسك بي ويحضنني وبخطفة سريعة يقبلني. كان رد فعلي قويا جدا، صفعته على وجهه، وركضت سريعا إلى الدور الأول، وأظن أن صوت دقات قلبي المتسارعة التي أشبهت الطبل فضحت سري، لم أصدق ما حدث، كيف أواري احمرار وجهي الذي أشعر به دما يفيض من وجنتي؟! لم أعرف كيف أتصرف؟

دخلت الغرفة التي يجتمع بها الجميع ووقفت في المنتصف، ثم اقتربت من أمي، ودنوت منها، أتذكر نظرات أمي مندهشة من تركيز نظري عليها، وأتذكر نظرات (ابن خالتي) بجوار الباب من الخارج ينتظر الفضيحة. دنوت على أمي هامسة: أمي توعدي ابن خالتي بحركة يدكِ، وإذا رجعنا البيت سأخبرك ما حدث، فعلت أمي ما طلبته منها، ثم دنوت من (خالتي) وطلبت منها أن تتوعد ابنها بأصابعها، وإذا (بابن خالتي) أصبح يرتعد مثل السعفة، ثم جلستُ بجوار أمي وانتهى الموقف في بيت خالي إلى هذا الحد.

التحدي الحقيقي، بدأ بعدما رجعنا إلى البيت، حكيت لأمي ما حصل، والعجيب ردها، أدهشني أكثر من الموقف نفسه، قالت لي حرفيا، كيف ستتصرفين؟ أريني كيف ستتصرفين؟ كنت أحسبها ستثور، ستتوعد بضربه، أو تتصل لتشكوه على خالتي، لم أستوعب هدوء أمي، بل أُعجبتْ بتصرفي والحكمة التي بدت مني، وقالت لي: يبدو من الأفضل أنك لم تخبريني هناك، ولو أنني علمتْ في وقتها لم يخطر ببالي أتصرف مثل تصرفك، ويمكن أن يكون رد فعلي قويا وربما ضربته، ودخلنا في مشكلة أنا وأختي، ولكن ماذا ستفعلين؟ أخبريني كيف ستتصرفين؟ غدا سنذهب بيت عمته، وسيكون هناك وأختي هناك، فكيف سنتصرف؟

أخبرتُ أمي أن تتظاهر وكأنها لا تعلم بشيء وأنا سيكون تصرفي (بالغطاء عليه) أي لايدخل علينا ولا يجلس معنا، وبالفعل بدأت أول قرار بنفسي اتخذته تجاه شخص أخطأ في حقي، وذهبنا إلى بيت عمته، وبالفعل أعلنت القرار أمام الجميع، وطلبت منه الخروج، فوقف مذهولا، وهو قد أخبر أخته لتكون شفيعه له وتعتذر عنه، ولكنني صممت على موقفي بالغطاء ومنعه من الدخول والجلوس معنا في مجلس واحد، أخرجته أخته وقالت له إعلانك عن إعجابك بها أو حبك لها بهذه الطريقة ليست في صالحك، فيبدو أنه قرار قوي من أمل لن تتراجع عنه، فمن الأفضل حاليا تنفيذ قرارها حتى تلين بعد مرور الموقف.

بدا قراري صاعقا على جميع أفراد عائلة والدتي، كيف سأقسم العائلة بهذا القرار، الجميع يجلس في مجلس واحد وعلى سفرة واحدة، وأمل ليست البنت الوحيدة في العائلة وليست الكبرى، فهناك بنات هن أكبر منها لم يفعلن مثل فعلها. أمي باركت موقفي جدا، وعززت من موقفي حتى لا أنهار بعد أخذ القرار، وأضطر للجلوس وحدي، ولكن بعد فترة من الزمن وجدت نفسي بهذا القرار قد أصبحت لي هيبة أكثر بين أفراد العائلة وأصبح الجميع يحثون بناتهم على تقليد أمل.

وهذا الولد الذي صفعته يوما ما أصبح هو زوجي، واعترف لي أن سر إعجابه بي، كان تصرفي في ذلك الموقف، بالإضافة إلى أنني جميلة الجمال الذي يحب، وفيّ جميع الصفات التي يرغب، لأنني كنت صعبة المنال، وهو ما ضاعف من حبه لي، وأصبحت فتاة أحلامه، وعمل المستحيل كي يحصل علي زوجة له، وأنا وجدته الرجل المثالي وحب الدنيا، ويعد هذا الزواج من اختيار الشاب نفسه للزوجة التي أحبها.

وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا

تدرج أبي رحمه الله في تعويدي على كل شيء ومن ذلك الصلاة، ولكن ما أندم عليه هو إدعائي بالصلاة كذبا، كان منهج (بابا) قبل أن يعطينا المصروف يسألنا (صليتوا؟)، فمن يصلي يأخذ المصروف فورا، وقبل اجتماعنا على الغداء يسألنا جميعا، صليتم؟ فكنت أحيانا أكون جائعة، فأكذب عليه، قائلة: صليت، ويعرف أبي رحمه الله أن إجابتي: صليت، هي الكذب، فيجبرني على القيام من الطعام حتى أصلي، ثم أغيب عن عينيه، وأقف قليلا عند الباب ثم أعود، ما كنت وقتها أدرك، أن أبي يفهم كذبي، ويعلم بوقوفي بجوار الباب، وما كان يمل من النّصح، والتوجيه، وينوع بين النصائح.

كما كان أبي لا يمل من تعويدنا على الأكل المفيد، فكان يرغبنا في الطعام ويحسب اللقمة بريال، فما كنت أحب الخضروات وخصوصا (اللفت، والسبانخ)، فكان يحسب لقمة اللفت بنصف ريال أو بريال، ويرغبنا بأن نصبح أقوياء مثل (بباي)، وكان أيضا، حتى يرغبنا في أكل البيض، يكسر البيضة المسلوقة في جبهتنا حتى نضحك، وكان مما أذكره في هذا المقام، وكنت أستغربه كثيرا، أنه بعدما ننتهي من الأكل يقول: اللهم لا تزلها نعمة، ثم يقول إذا تأخر عن الصلاة: ﴿... **إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ**...﴾، فلم أدرك قول أبي إلا حينما كبرت، كنت أحسب أنه يقول: (اللهم لا تزدها نعمة) فأشعر بابتسامة لعبارة كنت أسمعها كل يوم من أبي ولا أفهمها، وقس على مثل هذه العبارات كثيرا. فلنكن على يقين أن الطفل قد لا يفهم كل ما يقال له، ولكنه يخزنه في باله وذكرياته، وفي الوقت المناسب يستوعب ما كان يسمعه بشكل متكرر ويوميا.

وكان أبي لا يمل من تكرار تأكيد فوائد الفطور قبل الذهاب إلى المدرسة، فكبيرة من الكبائر لا يمكن حدوثها في بيتنا وهي أن نخرج بدون فطور، ولا بد من أكل التمر، وشرب الحليب، ولا بد من أخذ الساندويش إلى المدرسة. فكنت أحيانا أسايره وأخذ الساندويش، وأدسه في الدرج، خلف أنبوبة الغاز ظنا مني أن أبي لن يراه ولا يعلم به، وأفاجأ بأنه يعلم كل شيء كنت أظنه لا يعلمه. وكان أبي يجلس معي لساعات لينصحني، ومن ضمن الأيام التي كان يجلس في غرفتي لينصحني، كان يوما حدث فيه موقف طريف. كانت غرفتي من إيكيا وبها كرسي يسقط مقعده ويسقط من يجلس عليه في داخله، وكان أبي ينصحني أنا وفاطمة، ثم جلس على الكرسي وسقط في داخله، فضحكنا، ومن جمال شخصية أبي أنه ضحك معنا، وقال: (يضحكوا عليكم أولادكم) فضحكنا. وكذلك إذا وضع نظارتين فوق بعض، كنت أضحك، فيقول: (يضحكوا عليك أولادك).

لم أكن أنزعج من نصائح أبي رحمه الله، فكانت حياته معنا عامرة بالضحك والقصص والشعر والغناء، ماعدا موقف واحد لم يمر على أبي بالضحك، وإنما كان هذا الموقف سببا في بكاء أبي، فغالبا ما يحب أبي التنزه في الحدائق، ويحكي لنا الحكايات، وذات مرة، كنا عند جبل المساجد السبعة، وكنا نحيط أبي باندماج عميق وهو يحكي لنا عن غزوة الخندق، وبينما كان أبي يحكي لنا قصة المكان، قاطعنا أخي عبد الواحد وهو يلعب بالزبالة، فنهرته صارخة، وصرختي على عبد الواحد زلزلت قلب أبي، وجعلته يبكي بكاء مرا، وقال عبارة لا أنساها أبدا، ولا أخواني: (في حياتي تصرخين على أخيك فكيف إذا مت ماذا تفعلين؟! في حياتي أخت تصرخ على أخيها؟). هي المرة الوحيدة التي صرخت على عبد الواحد والأخيرة، ولم أفعلها البتة، احتراما لدمعة أبي رحمه الله، وتقديرا للأخوة التي كان يريدها بيننا بالحب والتقدير والاحترام وليس بالأمر والسيطرة والصراخ.

هذا ما كان مع أبي، وكذلك مع أمي حفظها الله، فهي لا تمل من النصائح، وما زالت تنصحنا وتنصح أحفادها ولا تكل ولا تمل من النصائح والوصايا، ولكن بعدما أصبحت أُمّا أصبحت أدرك حب الوالدين، وأن تكرارهما للنصيحة كان حبا فينا، وليس هناك أغلى من الولد في حياة الشخص، ولا يدرك الشخص هذا الحب إلا حينما يجربه. وقديما قيل:

لا يــدرك الشــوق إلا مــن يُكابــده ولا الصّبابــة إلا مــن يعانيهــا

الطفل يعاند بدون إدراك بأن ما يقوم به هو عناد، وكرم الوالدين يجعله يترك هذا العناد ولهما الفضل في ذلك، فأنا مثل كل طفل كنت أعاند في غسل يدي، فتغني لي أمي:

غسل وجهك يا قمر والصابونة ع الحجر وينك يا قمر

غسل وجهي

مشط شعرك يا قمر والمشط الحلو مكسر وينك يا قمر

مشط شعري

هذه سياسة في التربية لطفل عنيد، بدل القوة والقسوة، نتصرف معه بالتدريج والغناء واللعب، فكنا نعاند في رفض النوم أنا وأخواني، فيقوم أبي وبعده أمي، ثم أنا ثم فاطمة ثم غصون، لنركض في شكل قطار، ونغني مثل طريقة مسلسل (لا يا ابنتي العزيزة) لعبد المنعم مدبولي وهدى سلطان:

توت توت قطر صغنطوت

حطي الملايات واتغطوا وناموا

واللي ينام راح يشوف في منامه....

التربية بالغناء والتحدي لا تكسر الطفل، ولكن تمنحه قوة في الشخصية وتكسبه والديه. خضت مغامرات كثيرة بعدما كبرت وعلمت إلى أي قدر يعود الفضل إلى والديّ في تربيتي تربية رائعة بدلا من أن أكون شخصية عنيدة وانتقامية.

سأحكي هذه المواقف التي لعلنا ندرك بعدها فضل الوالدين في مستقبل الطفل. كان خالي شديدا جدا في التربية، ويستخدم الضرب في تربيته، وذات يوم كانت أمي ستذهب مع خالي إلى مكان ما، وكنت متعودة على اصطحاب أمي إلى كل مكان ولا يفصلني عنها أي شيء، ولم أتعود أن يُفرض علي أي أمر، وخالي عنده أولاد كثيرون - ما شاء الله - وقرر خالي أن لا أذهب مع أمي حتى لا يزعل أولاده، فقرر من ناحيته بالأمر (أمل لا تذهب وتبقى مع الأولاد في بيتي)، وكان موقف أمي صعبا، فلم تتكلم ونفذت أمر أخيها احتراما له.

جرب خالي تطبيق التّنمر على أمل فكان خاسرا أمام الجميع، بعد أن أغلق خالي الباب وسارت السيارة بأمي كدت أجن، لم أتصرف بجنون الأطفال الذين يبكون، ولكنني، جمعت أولاد خالي والبنات جميعهم، فاقترحت عليهم نلعب سيارة، فجعلتهم يجمعون المساند في وسط الغرفة، ولعبنا وعمت الفوضى في المكان، وبعدما مللت، اقترحت عليهم أن نلعب لعبة الغميضة، وجعلتهم يختبئون بمخزن الأكل بين (أخياش) أكياس الأرز والسكر، ثم اقترحت عليهم أن نلعب على سطوح البيت، وتأملت خزانات البيت، فاقترحت عليهم السباحة في خزان الماء، فسمعوا كلامي، وسبحوا. ثم اقترحت عليهم أن نلعب جلب السكر والأرز من المخزن ونملأ خزانات الماء بالسكر والأرز على طريقة برنامج المسابقات الشهير (تيلي ماتش)، وانطلقوا يتسابقون، لملأ خزان بالسكر، وخزان بالأرز، وذلك يعني أن خالي خسر الأرزاق التي في مخزنه، وخسر خزانات المياه التي صارت تحتاج إلى جهد كبير للتنظيف. كل بيت خالي لا ينسون هذه الحادثة، بمن فيهم بطلا المغامرة أخي عبدالعزيز وأخي عبدالحميد، كانت هذه الحادثة درسا لخالي بأن لا يتنمر على أمل، ولا يأخذ قرارا دون أخذ رأيي، وكانت لأولاده تنفيسا لما يعمله والده فيهم، فعملوا فوضى في البيت لم يحدثوها في حياتهم إلا

بتوجيه مني. وزوجة خالي التي هي أمي بالرضاعة (أمي نور) كان موقفها غريبا، فرحت كثيرا وكأنني انتقمت لها من خالي، وأنني استطعت أن أعمل فيه ما لم يستطع أحد عمله.

خالي رحمه الله هو أبي بالرضاعة، لم يكن يتصور أن يحدث فيه ما حدث وأن يكون رد فعله كما فعل، أمي رفضت بشكل قاطع أن يمسني أذى من خالي، لأنها تعرف بأنه لو ضربني ضربة سيقتلني، فهي تعرف تاريخه في الضرب. الموقف لم يكن عاديا أبدا، الكل ينتظر رد فعل خالي، موقف أمي غيّر مجريات الأمور، واضطر خالي إلى أن يمرر هذا الموقف، وكأنه نكته، وأصبحنا أنا وهو من بعد هذا الموقف (أصحابا وأحبابا)، وكسبني باللين والدلال والحب وأصبح كل يوم يخصني بقهوة المغرب.

أمي نور لا تنسى هذا الموقف أبدا، وتعلم الجميع أن شخصية أمل قوية ولا تقبل الأمر، وتعلمت من موقف أمي، حماية الأم لأبنائها، الأم هي من تعطي أبناءها الهيبة والحقوق، وتجعلهم طوال حياتهم، يستمدون الثّقة من مواقفهم وهم أطفال، تعلمت من أمي أن لا تجعل أحدا أبدا يضرب أبناءها، قرار أمي وقتها علمني (القوة)، علمني أن ضربة الخال أو الأقارب لا يمكن أن يغفرها الطفل، فلم تجعل أحدا يمد يده على ابن من أبنائها مطلقا، وبهذا القرار تمنح أمي أبناءها السلام، والتسامح والصفاء مع أقاربهم فليس في ذكرياتهم إلا الأحداث المضحكة والعابرة، وحقيقة ولا أبالغ، أصبحت هذه القصة تتكرر في بيت خالي على سبيل العظة والعبرة بأن لا أحد يتعرض لأمل وإلا سوف تعطيه درسا لا ينساه أبدا.

خصام وهجر

كان أبي وأمي يتخاصمان بالأغاني، ويتعاتبان بالأغاني، أقولها صراحة ولا أبالغ، لم أرَ أبي وأمي على مدى حياتي معهما يتخاصمان أمامي، أو يتشاجران أمامي، وهذا الأمر أحبه كثيرا في والديّ، وأحب هذه الصّفة في أمي كثيرا، فما سمعتها يوما حتى بعد وفاة أبي رحمه الله تقول كلمة عليه، مثل بعض النساء اللاتي يشتكين ويثرثرن عن أخبار بيوتهن. فأمي مهما عانت من مشاكل مع أبي، من الممكن أن يكون بينهما خلاف مثل أي زوجين، وقد يكون خلافا كبيرا، ولكنني لا أشعر به، ولا أعرف ما بينهما، وكم تمنيت أن أكون مثلهما، ولكن هذا في حقيقة الأمر صعب جدا، ونادر الحدوث. ولولا أنني عشت هذه الحياة لما صدقت، ولو نصحني أحد بعدم إظهار المشاكل أمام الأطفال لأعتبرت ذلك ضربا من ضروب الخيال، لأنني أنا ما استطعت أن أخفي الخلاف بيني وبين زوجي أمام أبنائي ووجدته أمرا صعبا جدا، شعرت أنني عاجزة على تطبيق أمر كنت أحسبه هينا، وهذا الأمر دائما يكون مشتركا، ولا يكون من طرف واحد فقط.

وذات مرة، انهار الجبل أمامي، يبدو أن أبي تكلم عن شيء بينه وبين أمي، لا أعرف ما هو، ولا أعرف أي تفاصيل سوى أنهما متخاصمان، فجاء خالي للسهر عندنا، كالعادة، ففتح أبي (الشريط الكاترج) بصوت فريد الأطرش، أو أم كلثوم، وعادة أمي دائما، تقشر لأبي الفستق وتطحنه له؛ لأن أسنانه لا يستطيع بها مضغ المكسرات، فيبدو أن أمي كانت غاضبة من أبي في قرارة نفسها ولكن لا يبدو ذلك عليها، فشاكسها أبي قائلا: مريم قشري الفستق

وامضغيه لي، أو اطحنيه لي بالمطحنة لكن لا تجعليه ناعما، بل اجعليه مقروشا، وإلا أحضري لي يد الهوند لأفعل هذا بنفسي. فتماهلت أمي عن القيام لطحن الفستق لأبي، فقال خالي: يبدو أن سماءكم عليها غيوم، فشغل أبي أغنية أم كلثوم (يامسهرني) ليراضي أمي، ويذكرها بإهدائه إياها هذه الأغنية على شاطئ بيروت، و(القمرة) في ليلة قمراء تلمع فيها أضواء القمر على الشاطئ، وبصوت أبي مصاحبا لصوت أم كلثوم غنى لأمي:

ما خطرتش على بالك يوم تسأل عني
وعينيا مجافيها النوم يا مسهرني
دانا قلبي بيسألني إيه غير أحواله
ويقول لي بقى يعني ما خطرتش على باله
أمال غلاوة حبك فين وفين حنان قلبه عليا
وفين حلاوة قربك فين فين الوداد والحنية
يا ناسيني وأنت على بالي وخيالك ما يفارق عيني
ريحني واعطف على حالي وارحمني من كتر ظنوني
لا عينيا بيهواها النوم ولا باخطر على بالك يوم
اسأل عني يا مسهرني

قضينا الليل في أنس كالمعتاد، ولم نشعر بخصام أمي وأبي إلا بالأغاني، ثم أهدت أمي لأبي أغنية وردة الجزائرية (لو سألوك):

ولو سألوك يا حبيبي، يا حبيبي عني وعن هوايا لو سألوك
لو سألوك ما تقولش يا حبيبي إنك زعلان معايا ده لو سألوك
ويعز عليّ العشرة يا عينيّ، وكلام الناس علينا وتجريحهم فيّ
وداري، داري ع الجراح زي ما بتداري يا حبيبي ع الحب والأفراح
وكفاية يا غالي صابرة بجرح الليالي كفاية
ليه تشمت عذالي فيّ وفي اللي جرى كفاية، كفاية

وداري، داري ع الجراح زي ما بتداري يا حبيبي ع الحب والأفراح
ولا يصعب علينا، علينا إلا الفراق يا عينينا، يا عينينا يا حبيبي

أحلى غزل رأيته وسمعته في بيتنا، وأحلى عتاب، وأمي تعاتب أبي بدمع أنثوي، وتتراقص على صوت وردة الجزائرية، أصبحت هذه الأغنية **الرمزية في** تودد أمي إلى أبي، وفي ذات يوم شعرت أن أبي زعّل أمي، لا أعرف السبب، ولكن حميتي أصبحت مع أمي، فغضبت من أبي، وقررت هجر أبي، وعبرت عن غضبي على دفاتر المدرسة، وأعلنت تمردي عليه، فمسحت اسمي (أمل بنت محمد عبد الواحد) وغيرت اسمي إلى (أمل بنت مريم صالح).

كانت هذ الحادثة أكبر موقف اعتراض مني على أبي، بوصفة سحرية تشبه وصفة أمي، فأمي تعاتبه بأغنية وردة (لو سألوك)، وأنا شطبت اسم أبي من جميع دفاتر المدرسة اعتراضا، واستبدلته باسم أمي. النكتة أن الله ستر على أمي وأبي في بيتهما، يتعاتبان بالأغاني، وأنا ذهبت إلى المدرسة، بالاسم المستبدل، وسألتني المعلمة: لماذا فعلتِ هذا؟!

فغنيت لها أغنية وردة (لو سألوك) وكان صوتي جميلا بالغناء ومدرب، فلا أنسى دهشة تلك المعلمة من تصرفي، ومن صوت غنائي، ولا تستشعر تأثير الأغنية إلا حينما تسمع كلماتها، ثم تسمع قصتي، ثم تسمعها بصوتي. لهذه الأغنية على أمي تأثير السحر، غالبا ما أغنيها بجوار أمي، فمهما قاومت أمي الأغاني حاليا وأصبحت لا تسمعها أبدا، فإنها مع هذا إذا سمعت مني أغانيها مع أبي غنت معي وكأنها تسترجع الماضي بصوتي، والعجيب أن أخي عبد الواحد لم يعش مع أبي طويلا ومع هذا يتفاعل مع القصص وأغاني أم كلثوم، وكأن أبي بيننا، وما إن نبدأ (بكبليه)، إلا ونكمل قصة عن أمي وأبي وأغنية معها، يعني هذا أن مرحلة الطفولة تؤثر فينا كثيرا، وتحفر فينا ذكرى يصعب نسيانها، بل تتحكم في مستقبلنا في كثير من الأحيان.

غربةٌ مُرّة ويتمٌ أمر

كانت صورة الطفل اليتيم الباكي للفنان الإيطالي جيوفاني براغولين في بيت جدي أو بيت عمتي، لا أتذكر أين رأيتها أوّل مرة، وعشت على أن ذاك اليتيم المسكين يحتاج إلى من يغطيه في برد الشّتاء، كان أبي رحمه الله يصحو بالليل عدة مرات، يطمئن علينا، يطبع على جبهة كلّ منا قبلة ويغطينا. كنت أنا وأختي فاطمة في غرفة مشتركة، فنكشف غطاءنا عنوة حتى يأتي أبي ليغطينا، ونراقبه بصمت طوال الليل وأحيانا بضحك وكركرة الأطفال، فحين تجد من يغطيك طوال الليل فهذه رحمة من رب العالمين.

والحقيقة أن بعض الأشياء تصنع الفرق في حياتنا حينما نفتح عيوننا على تجارب أخرى نعيش بها تجارب الآخرين، كنت أرى عين أبي قوية وتلمع بالذكاء، ولكن اكتشفت ضعف يتمه بالليل، المساحة التي يقضيها الرجل في بيته بالليل، هي ملكه الخاص، وأول مرة اكتشفت يتم أبي، كان في وقته الخاص بالليل، كان يصلي بالليل ويسجد فترة طويلة دون أن يتحرك، وفي ليلة من تلك الليالي، وهو ساجد مكث فترة طويلة جدا، أذهب وأعود وهو

على نفس الوضع، ثم أذهب وأعود وهو على نفس الوضع، أبي من جهته لا يعلم بوجود أعين تترقبه بالليل، ثم استشرت أختي فاطمة، ففكرنا أنه مات. خفت من الفكرة، خفت أن أحركه، وانتظرت طويلا، ومع هذا أبي لا يتحرك كان ساجدا، أيقظت أمي من النوم فزعة من ثبات أبي بالسجود، وكنت على يقين أنه ميت، فما إن لمسته وقلت (بابا) ارتفع صوته (الله أكبر)، تنبه أبي لوجودي، فأسرع في التسليم، ورأيت نهرا من الدموع يجري من تلك العينين العسليتين اللامعتين.

كان أبي شاعرا، ويحفظ الشعر، فرد علي شعرا بعدما رأى في عيني الخوف عليه، بأبيات لأبي فراس الحمداني، غالبا ما كان يرددها حتى حفظتها منه:

أَبُنَيَّتي لا تَحزَني ... كُلُّ الأَنامِ إِلى ذَهابِ
أَبُنَيَّتي صَبراً جَميلا ... لِلجَليلِ مِنَ المُصابِ
نوحي عَلَيَّ بِحَسرَةٍ ... مِن خَلفِ سِترِكِ وَالحِجابِ
قولي إِذا نادَيتِني ... وَعَيِيتِ عَن رَدِّ الجَوابِ
زَينُ الشَبابِ أَبو فِرا ... سٍ لَم يُمَتَّع بِالشَبابِ

لم أكن أعلم أن اليتم يؤلم بالليل حتى جربته، لم أكن أعلم أن الرجل يؤلمه اليتم حتى شكاه أبي، لم أعلم أن ليل الشتاء يجدد الأحزان حتى أصبح عندي ما أحزن على فقده. كانت دموع أبي السرية تنهمر بالليل ساجدا، وتجف تلك الدموع بالصباح، وتتبدل الدموع إلى فيض من الحنان على أولاده وكل الناس من حوله. عرفت سر الحلوى (التوفي) أو (حلاوة بقرة) التي يحملها في جيبه ليفرح بها الأطفال، عرفت سر بره بجميع زوجات أبيه رحمهم الله.

الطفل وهو صغير لا يفهم العلاقات التي حوله حتى يألفها شيئا فشيئا، كان أبي الوحيد الذي ينادي زوجات أبيه (خالتي) ولكن لا ينادي أي واحدة منهن (بأمي) كان أبي وعمتي مريم هما الشقيقان الوحيدان اليتيمان بدون

أم، كل عماتي وأعمامي عندهم أمهات أحياء ماعدا (أبي وعمتي مريم)، في طفولتي أدركت أن أبي يتيم ويحتاج (حب الأم)، لذلك كان عطوفا على أخته، بارا بزوجات أبيه، حنونا وبارا بأم زوجته، وبارا بخالته نورة شقيقة والدته، وجميعهن يقول لهن (خالتي) ولم يقل لأحداهن منهن (أمي).

بعدما أدركت أن أبي يتيم زاد حبي له، فكأن اليتم نقص يعوضنا الله بالقبول أو المحبة بين الناس جزاء على الصبر، لو قلت ما سوف أقوله الآن، لتصور القارئ أنني أبالغ، ولكنها الحقيقة، فالطفل لا يعرف كل شيء على حقيقته، ولكن بتصوره. حينما حكى لي أبي (حكايات اليتيم)، حزنت كثيرا، فكان يحكي لي أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يتيما، وكان في بيت جدي لوحة مكتوب عليها باللون الأصفر الذهبي (محمد صلى الله عليه وسلم) فظننت أن أبي النبي محمد، واللوحة الأخرى مكتوب عليها (إبراهيم عليه الصلاة والسلام) وبسذاجة الطفلة وقتها حسبت أن أبي النبي محمد وأن عمي إبراهيم النبي إبراهيم وأردت أن أعرف بقية أعمامي أي الأنبياء.

الطفل يرى الأشياء كما يراها، ويشعر بما يتصوره، والطفل يشعر بألم والديه، وإن لم يعبر فهو يحمل ذاك الألم عنهما، أحرقتني دمعة بابا وأشغلني يتمه فكنت أسأله عن مشاعره وأحاول أن أعوضه عن كل ما يشعره بالخسارة في داخله لفقد أمه، فأبي دائما يعلمني كيف أبر خالاته (زوجات أبيه)، فكنت أرى بعيني مدى حبه لمرشودة والدة إبراهيم، وأرى تقديره لملكة والدة زينب وعبد الهادي وعبد الرحمن، وسؤاله عن زينب والدة عيشة، ووصله لزينب والدة عبد العزيز. تعلمت من أبي أن الخالة والدة، ورأيت كيف كانت أمي تصلهن جميعا وتبرهن مثلما تبر والدتها وجدتها، فاليتم شعور ومشاعر مهما حاول من حولنا التخفيف عنا فيظل الاحتياج إلى مشاعر الأم الحقيقية.

وهكذا عشت أنا بعد فراق أبي، أتأمل صورة أبي (الطفل اليتيم)، فتجربته مع اليتم مرة وذكرياته معه أمر من المر، فهو لا يعرف والدته ويشعر بألم اليتم،

فكيف من جربت حب والدها، وتعلقت به. فبعدما سافرت عن أهلي عشت على صفيح ساخن، فرحت بالزواج في بداية الأمر، ولكن غالبا لا تستمر الحياة كما نحب، فتصبح حياة مختلفة عن ذاك البيت الذي فيه أعمام وعمات، فقد أصبحت في بلد الغربة وحدي أعاني مرارتها، والحمد لله أن أسرتي دللتني؛ لأن عراك الحياة سيعصر قلوبنا في بعض الأحيان. عانيت في بداية الأمر البعاد عن أهلي فأبي أصبح لا يطيق الحياة بعدي، وأخوتي ولا أبالغ مرضوا بالحمى على بعادي عنهم، تجرعت ألم الغربة رغم أنها كانت باختياري، ومع هذا تألمت، تألمت ألم البعد عن أمي، فهي ليست أمي فحسب، بل أختي التي كبرنا أنا وإياها معا، وصديقتي التي يسعدني الثرثرة معها، تزوجت في سن مبكرة جدا منذ الثانوية العامة واغتربت عن أهلي في المنطقة الشرقية، ومنذ ذلك الحين وأنا في دوامة الصعاب والعراقيل وكأنني في سباق خيل لا يتوقف، ألم الغربة والإحباط والعلاج وتحقيق الذات وتحقيق المستحيل.

رحلة اليتم بدأت وأنا في المنطقة الشرقية، خلال دراستي المرحلة الجامعية ولم أتخرج بعد، رحلة فيها صعاب وتحدٍّ، ونهايتها فخر واعتزاز، سأحكي مرارة تلك الأيام ولكن في جزء آخر بكتاب مستقل بإذن الله حيث أتناول فيه صعاب الغربة واليتم.

يحتفظ أبي بكل ما يخصني وأنا طفلة اهتماما بتفاصيل تخصني، ومنها بعض الدفاتر التي يكتب عليها أشعاره، كانت حوارات كثيرة تدار بيني وأبي شعرا ونصائح فأكتبها بخط يدي، فلم يكن وقتها (جوجل) موجودا، فالكتابة في الدفاترهي التوثيق لما أسمعه منه، وكذلك بيننا حوارات مسجلة، ولكنني لا أستطيع حتى اليوم سماع صوت أبي، فاخترت قصيدة، للشاعر أحمد سالم باعطب، سمعتها منه فكتبتها وقتها بخط يدي:

أبـــنـــيّـــتـــي لا تـــســـرفـــي صـــونـــي الـــدمـــوع وكـفـكـفـي
وإذا تـــعـــثـــر فـــي الـــثـــرى جـــســـد فـــلا تـــتـــأســـفـــي

واحمي إزاري أن يدنس في الهوان ومعطفي
دوسي على الأشواك ثا ئرة المشاعر واهتفي
وإذا دعاكِ النصر لا تهني ولا تتوقفي
شدي حزامك واصعدي علما يشع ورفرفي
قولي هنا بطل الفداء هنا الأبي هنا الوفي
وقفي على قبري إذا عصفت بك الذكرى قفي
وخذي زنادي واقذفي قلب العداة به اقذفي
الجرح لم يقطر دما الجرح ينزف علقما
ينساب ملتهب الحشا حمما ويلتهم الدمى

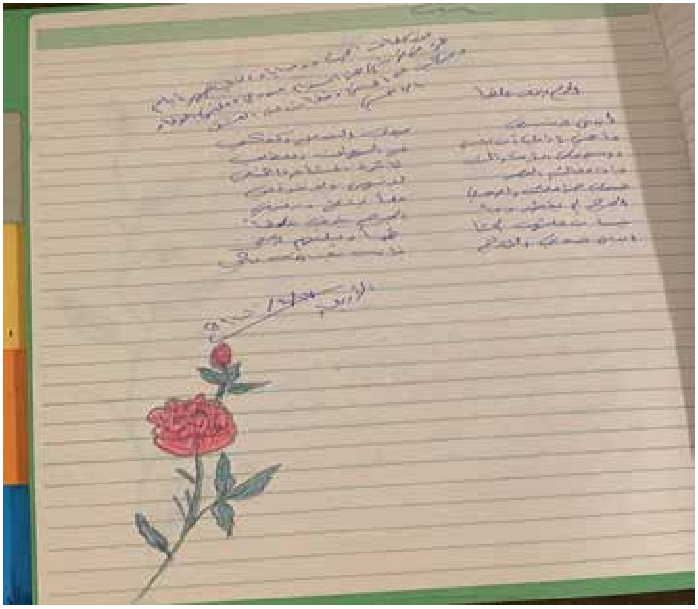

كان أبي رحمه الله يخاف عليّ من ألم الدنيا، فكان غالبا ما يوصيني، ويسلحني للمستقبل بأسلحة كثيرة أهمها الدعاء: (فكان لا يتحرك حركة وإلا يقول فيها دعاءه المعتاد لي)، **(الله يرضى عليك، الله لا يولي عليك ظالم، ومن أراد بك سوءا جعل الله كيده في نحره، وجعل تميره في تدبيره، وجعل دائرة السوء عليه).**

كان أبي ينصحني بأدق تفاصيل يمكن أن ينصح بها أب ابنته، فكان يشرح لنا تطبيقيا حرصه على العفة من خلال حمله كأس نظيفة، فيقول لي أو لإحدى أخواتي: المسيها، فإذا ظهرت بصمات اللمس عليها يبدأ يشرح لنا أن البنت مثل الزجاج البلور، تبقى لامعة نظيفة من الدنس ما لم تلمسها الأيدي، ثم يكسر الكأس أمامنا، فيقول من تجمع بقايا الزجاج المكسر، فيصعب جمعه باليد حتى لايدمينا ثم نجمع بالمجرفة فيقول يصبح الشرف محطما كهذه مكانها الوحيد القمامة، فهذه تجارب العفة، تعجبنا أنا وأخواتي وهو يشرح لنا بكل حنان.

لم يتركني أبي للجهل، فمنذ أن خُطبت بدأ يهديني الكتب التي تثقفني في حياتي الزوجية مثل كتاب (**تحفة العروس**)، فبنيت حياتي على المعرفة العلمية والنفسية والاجتماعية بالكتب، فبعدد حبات الحصى رحمك الله يا أبي، يا من نورت طريقي بالعلم، وسلحتني بالأخلاق، ورفعت قدري بالدعاء.

كان أبي يحب التنزه بين الجبال، ويكثر مع الدعاء النصائح والحكايات والشعر، فما أنظر إلى الجبال وإلا وأتذكر صوت أبي، فكان ينظر إلى الجبل ويقول: رأيت ذاك الجبل الشامخ العالي، إذا مات العبد، وليس عنده عمل، يأتي يوم القيامة وعنده أعمال مثل هذه الجبال فيقول العبد للرب: من أين لي هذا؟! فيقول ربي سبحانه وتعالى هذا من دعاء ولدك الصالح وصدقته. ما كان يردده عليّ أبي رحمه الله، عن يتمه بأمه، أستعيده، وأنا يتيمة الأب، ما كان يفعله لأمه، أحاول قدر الإمكان أن أفعله له، كأنه يوصيني بفعلي له، كان يقول أبي: النظر إلى وجه الوالدين عبادة، فأنا كنت أتأمل وجه أبي أستشعر أنني في عبادة، والدعاء للوالدين عبادة، فكان يردد حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه إذا مات ابن آدم من العمل انقطع عمله إلا من ثلاث... ويقول: (ولد صالح يدعو له).

مضت تلك الليالي الشتوية، ولن تكل مخيلتي من مشاهدة صورة أبي

في صورة تلك الليالي، وأصبحت أعلق صورة اليتيم الباكي على جدار مكتبي وهي صورة أبي التي تصاحبني في كل ايامي وصباحاتي ومساءاتي، وهي الحارس الحنون لي في كل أسفاري، وهي التي ترقبني في كل نجاحاتي وتلهمني في كل كتاباتي، كان أبي يبكي على الولد اليتيم، وأصبحت أبكي على الطفلة اليتيمة، فالغربة ألم، وضاعف ألمها ألم اليتم.

الطفل اليتيم الباكي

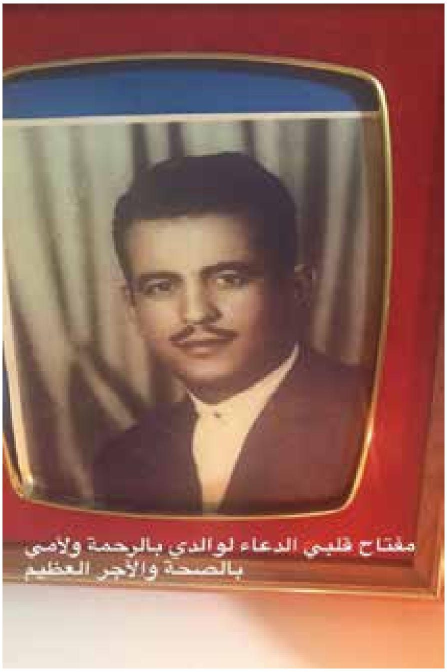

أبي الطفل اليتم الباكي

مشالح التّخرج

كانت أوّل حفلة تخرج أحضرها أثناء تولي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز إمارة المدينة المنورة، لا أذكر بالضبط، الحفل لأي مرحلة كان وأعتقد أنه حفل احتفائي بالأميرة سارة بنت عبد المحسن العنقري زوجة الأمير عبد المجيد، كنت صغيرة حينها ولست خريجة، ولا أتذكر التفاصيل. ما أتذكره أنني بطلة الحضور أنا وعمتي بوصفي ضيفة من طرف أبي (محمد عبد الواحد)، مدعوة ببطاقة عليها اسمي، كانت هذه الدعوة هدية لأبي نظير ما بذله من جهد في الاستعدادات للحفلة، كنت أساعد أبي في عمله كثيرا بفرز الأوراق، ويعطيني لقاء هذا العمل مقابلا ماديا تشجيعيا لكي أشاركه كل شيء، فكنت أعرف كل أسرار عمله ومستودعه، وكنت أذهب مع أبي كثيرا إلى المدارس التي كان يشرف عليها ويرصد احتياجاتها ويلبيها، وخصوصا في ما يتعلق بالتكييف، وبرادات الماء...إلخ.

إنها حفلة أستعيد ذكراها بفخر شديد واعتزاز، أثناء الاستعدادات لاحتفال أهل المدينة المنورة بالأمير عبد المجيد. فقد كنت أصحب أبي إلى مكان أعدوه لحفل الطالبات وأشرف والدي على عقود إنارة (اللمبات) لتزيين معظم مدارس المدينة المنورة ومكان الاحتفال، وكان في مكان الحفل مكان مخصص لاستعراض التراث المديني، فأخذ أبي أشياء كثيرة من ممتلكاته الخاصة لتكون في المعرض الاحتفالي، وكذلك طلب من خالته (ملكة) زوجة أبيه سحارة حجازية كانت قديمة ليعرضها في المعرض، فطلبت المشرفات والمديرات على الحفل حضور من يريد أبي أن يدعوها باسمها، كانت أمي

حاملا بعبد الواحد، وجاء من نصيبي الدعوة للحضور أنا وعمتي مريم.

في ذاك الحفل، رأيت دنيا لا أعرفها، أبي كان قائما على ذاك الحفل، بدأ جسمي الأنثوي يتشكل فأعدت لي أمي فستانا رائعا قصته قصة تشبه السمكة، وبدأتُ ألبس الكعب العالي، وقصصت شعري (قصة الأسد)، وكان شعري أكثر ما يميز شخصيتي بكثافته وجماله ولمعانه، وألبستني عمتي مريم أول (خاتم ألماس) في حياتي به خمس عشرة قطعة من الألماس الخالص، واستقبلتنا القائمات على الحفل بحفاوة تشابه الاحتفاء بالأميرة سارة العنقري، وأجلسونا بجوارها.

جلوسي في الصف الأمامي ولّد في داخلي شعورا لا يمكن وصفه وسعادة غامرة. كنت أتأمل الأميرة سارة العنقري بإعجاب شديد، كان شموخ جلستها يدل على أنها أميرة رغم بساطتها وتواضعها، بدأت أتأمل تقاسيم وجهها الجميل ولون فستانها الأحمر القاني الياقوتي، وعليها طرحة خفيفة سوداء وضعتها على منتصف الشعر وتلفها على كتفها، وهذه الطرحة لا تضعها سوى الأميرات وبنات الشيوخ للزينة، وزادت هذه الطرحة الشفافة جمالها جمالا، ولم تلبس من المجوهرات سوى خاتم كبير فصوصه من الألماس والياقوت. كنت أتأمل شموخها وبساطتها وأعجبت بها وتمنيت أن أكون في مكانها ذات يوم، أن أكون صاحبة مشروع أرعى به الآخرين، ويكون الحفل برعاية أمل. كان هذا الحفل بمثابة القوة التي تدفع (مرجوحة) كنت أجلس عليها لصنع مستقبل يشابه جلوس الأميرة سارة العنقري، وأجلس في الصف الأمامي مثلها، ويستقبلني الناس بهذه الحفاوة ويُصب لي فنجان القهوة وتحاط بي مباخر العود.

مضت الأيام، وأول مشلح للتخرج لبسته بعد موت أبي رحمه الله تخرجي من كلية البنات بالدمام، وكانت أمي حاضرة وعمتي مريم وعمتي زينب، حينما استلمت وثيقة التخرج من الأميرة الجوهرة بنت نايف بن عبد

العزيز في ذاك اليوم الذي كان من أجمل أيام عمري، لم أشعر بالحزن في يوم تخرجي. يمكن أن يكون وجود أمي وعماتي بجواري ووجود صالحة جارتي وصديقتي لم يشعرني وجودهم باليتم، بل انتهى ذاك اليوم بالاحتفال والهدايا والرقص، والهدايا الثمينة التي تلقيتها وكانت هدية عمتي مريم مميزة كونها طقم مجوهرات من قطع الألماس وحجر الزفير الكحلي النفيس.

كان من الطبيعي أن تكون حفلة تخرجي من الماجستير أكثر فرحا وخصوصا أنني من ضمن المكرمات المرشحات لجائزة التفوق العلمي (1425هـ)، وأخُبرنا بأننا سوف نكرم من قبل صاحبة السمو الملكي الأميرة الجوهرة بنت إبراهيم الإبراهيم حرم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، ولم يخطر ببالي أثناء الترتيبات لحضور التكريم أن أخبر والدتي أو عماتي أو صالحة للحضور.

أثناء الاستعداد للترشيح لجائزة التفوق العلمي في مجال (الدراسات العليا) لحرم خادم الحرمين الشريفين الأميرة جواهر البراهيم للطالبات المميزات من حقل التعليم الجامعي والعالي للجامعات السعودية كافة، كنت أشعر بالتميز والفخر فقد طلبني المسؤولون الحضور إلى الرياض أكثر من مرة للقاء لجان قادمة من جميع أنحاء المملكة، وأذكر أنه كان هناك ضيفات من البحرين في أحد اللقاءات بهدف تشجيع الطالبات المرشحات على التميز والإبداع والاجتهاد، ولتشكل دافعا للتحصيل العلمي والسعي للوصول إلى أرقى المستويات، كنت أنزل من المنطقة الشرقية إلى الرياض لإجراءات الترشيح.

أتذكر أنني قابلت شخصيات كثيرة في جامعة الملك سعود: منهن الدكتورة حصة المبارك عميدة مركز الدراسات الجامعية في عليشة، وأثناء الاستعداد لحضور حفل تكريم التفوق العلمي الذي سيكون في قاعة الشيخ حمد الجاسر بالمدينة الجامعية بالدرعية، كان هناك مكان للخريجات

وللمرشحات لجائزة التفوق العلمي، وأخبرتني د. نادية آل الشيخ بأنني من ضمن الشخصيات المختارة في غرفة التشريفات للسلام على صاحبة السمو الملكي الأميرة الجوهرة الإبراهيم، ومعها صاحبة السمو الملكي الأميرة لولوة بنت عبد العزيز ابنة الملك عبد العزيز وأخت الملك فهد، وصاحبات سمو كثيرات أتذكر منهن الأميرة العنود بنت الملك فهد رحمه الله والأميرة لطيفة... إلخ.

قبل دخول قاعة الاحتفال حينما أقبلت على غرفة التشريفات على مد البصر كان هناك مباخر يتصاعد منها دخان بخور العود الذي فاحت رائحته وذكرتني برائحة جدي عبد الواحد رحمه الله ومجالس الأمراء والشيوخ، وبين ضباب دخان العود، تصاعد صوت نجدي جميل قائلا بصوت عالٍ: (هلا ببنتنا، هلا ببنيتنا، هلا ببنيتنا) كان الصوت باللهجة النجدية، تملكني هذا الصوت واخترق مسام جلدي متجها إلى قلبي. دخل الصوت إلى قلبي صانعا الفرق بين كل تلك الأصوات المرحبة، وعلا صوت قائلا: هذه الأميرة لولوة، (لا أذكر بالضبط من عرفني بها قائلا أخت الملك عبد العزيز وعمة الملك فهد أو العكس أخت الملك فهد ابنة الملك عبد العزيز)، منذ دخولي ذاك المكان وأنا متورطة في غيبوبة غريبة مذهلة. اقتربت من الأميرة لولوة وسلمت عليها، فقبلتني باعتزاز شديد وكلمات حارة، أصبحت كلماتها تلتف حولي وكأنها دثار أرتديه، وما أن اقتربت منها ولامس خدي خدها حتى شممت رائحة جدي عبد الواحد رائحة الورد المعتق الممزوج بالعود.

سلامي على الأميرة لولوة كأنه السحر الذي دب في جسدي، كل صوت منها أو لمسة تدخلني في غيبوبة أكبر لم أعرف سر تلك الغيبوبة حينها، ولكن ما أتذكره أنني كنت أتأملها وكأنني أتأمل أحدا من أسرتي وعائلتي، لم أكن أشعر بالسعادة لذلك الاستقبال الملكي بقدر الألم الذي حفره في داخلي، أتأمل بشرتها الحمراء التي تشبه تراب نجد، كأنها جزء من ذاك التراب، وكأنني

جزء منها، كانت نظراتي إليها وكأنني أتأمل لوحة نجدية باهرة الجمال، بلون بشرتها المذهل بلون تراب نجد، وكان لون لباسها قريبا من لون بشرتها (الترابي النود) تلبس الفستان النجدي (الكرتة) وهو فستان بخصر ضيق وواسع من الأسفل، وتلف شعرها بمسفع التل، وحولها نساء كثيرات يحملن المباخر، ويلبسن اللبس النجدي، وأغطية الرأس من (شيلة التلّي) وهي مصنوعة من الشيلة ذات الثقوب التي تشبه شبكة المنخل، تلف هذه الشيلة من طرفين على الكتف إلى أعلى الرأس وتأخذ شكل علامة الضرب من الخلف.

خرجت من غرفة التشريفات، ووقفت مع المكرمات في حفل التخرج، كانت طوابير الخريجات تسير بفرح شديد وكأنهن فراشات تطير، وأنا أسير ببطء وكأنني أسير على الشوك الذي يغرز قلبي، شغل بالي رائحة المكان والصوت النجدي، وتملكني حزن شديد، وبكيت بكاء لم أبكه في حياتي.

كانت الأميرة الجوهرة بنت إبراهيم الإبراهيم ذات حضور بهي، ولها إطلالة تشبه إطلالة أم كلثوم على المسرح، لديها فصاحة رائعة في الكلام، وكنت أسمعها بكل حواسي: «إذا كانت هذه الجامعة العريقة هي إحدى منارات نهضتنا التعليمية، فإن هذه النخبة المتميزة من الخريجات هي ثمار جنية ونتاج طبيعي للدعم المتواصل الذي يوليه ولاة الأمر للتعليم، وحرصهم على تعزيز دور مؤسساته في تأهيل الإنسان السعودي الوفي الذي يشعر بنبض مجتمعه، ويتفاعل مع أحلام وطنه وطموحاته، ويشارك في مسيرة البناء والتحديث، ويمتلك القدرة على مواجهة التحديات والتغلب عليها.

وقالت.. بناتي الطالبات لئن كنا نحتفل اليوم بتخرجكن في هذا الصرح العلمي، ونسعد بانتقالكن من مرحلة الدراسة إلى مرحلة العطاء للوطن الحبيب، فإنه يسعدني إن أقدم لكن خالص التهنئة بهذا الإنجاز الكبير، فأنتن تمتلكن من الخلق الرفيع والعلم النافع ما يسهم في نهضة الوطن ورقيه حتى يظل منارة عالية تشع ضياءها على العالم أجمع.

مرة أخرى أهنئ بناتي الطالبات والحاصلات منهن على جوائز التميز العلمي، وأشكر الآباء والأمهات والمعلمات، وكل من شارك في صناعة هذا التفوق ووضع لبنة في بناء الوطن وأسهم في مسيرة تطوره التي يقود خطواتها المظفرة خادم الحرمين الشريفين ومؤازرة سمو ولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني، يحفظهم الله تعالى».

انتهى كلام صاحبة السمو بالتصفيق الحار على كلامها المصفوف الجميل، ثم تتلفت فترى حولك هذه العبارات «حب الوطن من الإيمان»...»وطني الحبيب»...»وطني يا خلف جداني‘‘...‘‘وطني يا بعد حيي وميتي»... نقشت هذه الكلمات وغيرها على «تي شيرت» «تتحلى» به عضوات هيئة التدريس من مركز الدراسات الجامعية بحي عليشة، أثناء حفلة تخرج الدفعة الأربعين للطالبات في جامعة الملك سعود للأقسام العلمية والأدبية، وتحدثت عميدة مركز الدراسات الجامعية في عليشة الدكتورة حصة المبارك قائلة: «صممنا شعار الحفلة للتعبير عن الانتماء الوطني...».

الوطن والانتماء، الانتماء لمكان يسكن روحنا، الشوق إلى البقعة التي سكن فيها أبي وجدي وأهلي، وبدأ طرق الطبول يقرع في قلبي مراسم اليتم. خرجتُ من الحفل وحيدة، وبيدي شهادة ليس لها أي قيمة في نظري حينها، شعرت بيتم وحرقة قلب، وكأنها نار تلهب قلبي وتحرق جوفي، وندمت ندما أني لم أطلب من أمي أو عماتي الحضور، يمكن أن يخفف حضورهن من الشعور باليتم، ولكان من المؤكد أن تلك النيران التي أحرقتني ما شعرت بها إلى ذاك الحد، واكتشفت بعدها أن مجالس الأمراء ورائحة البخور تذكرني بأجمل فترات حياتي التي انتهت بقطيعة تامة لا يمكن أن تعود.

وعند حصولي على جائزة التميز العلمي من جامعة الملك سعود (1439هـ - 2018م)، ولأول مرة يطلب أمير منطقة الرياض صاحب السمو الملكي فيصل بن بندر آل سعود تكريم الفائزين جميعا النساء والرجال

معا على مسرح قاعة حمد الجاسر، وكانت تلك الفرصة جميلة لتجمعني أنا وزوجي في قاعة واحدة فخففت عني حزن اليتم، فحضور زوجي وابن عمي محمد إبراهيم التميمي وابنتي مناير، وجمع من أساتذتي وزميلاتي لم يشعرني باليتم، واستحضرت صورة أبي وهو يلبس مشلح المناسبات الجميلة ويشاركني الفرح.

أمل واسطتها كبيرة

أثناء طفولتي كان اسم والدي واسطة كبيرة لأمل، في طفولتي شعرت بتميزي على أقراني، وكنت استشعر أن وراء تميزي سندا وظهرا، اسم أبي (محمد عبد الواحد) كان اسم والدي له ثقله في رئاسة تعليم البنات، حتى أن معالي وزير التعليم (محمد الرشيد) رحمه الله كنت أستشعر بتميز اسم والدي عنده، فكان يحب والدي، رحمهما الله.

ولكن منذ أن توفي والدي رحمه الله، وأنا أعتمد على الله ثم على نفسي، فأنا من أقدم نفسي بنفسي لا بوصفي ابنة أبي، وكم تمنيت أن يكون أبي موجودا في بعض المواقف ليكون لي عونا وسندا أو مستشارا.

ظهر شخص حكيم في حياتي للاستشارة، معالي الفريق عم عطية الطوري الجهني، فأصبح مستشاري الأمين، وحينما انتهيت من الماجستير، وردني اتصال من ديوان الخدمة المدنية، يفيدني بضرورة مباشرتي على وظيفة معيد في كلية الآداب للبنات بالدمام، وأن قرار تعييني قد صدر من تاريخ شهر صفر ولم أباشر حتى تاريخ شعبان 1425هـ، لا أذكر حينها أنني قدمت على وظيفة، واستشرت عم عطية بالتوظيف على رتبة معيد فحمسني وشجعني ونصحني.

توظفت بتوفيق من الله، ولكن كثيرا ما كانت زميلاتٌ لي يشككن بأنني توظفت بواسطة كبيرة لكني أخبيء عنهن ذلك. كنت أحاول التوضيح، والتبرير، لذنب أنا بريئة منه، فالتوظيف جريمة في نظر بعد الأقران، (حكاية التبرير) لم تكن تسعدني أبدا، ولكن نعمة التوفيق هي الحكاية الأثيرة على نفسي.

وغالبا ما كنت أجد بعدما توظفت استجوابات عديدة من بعض الزميلات من مثل: كيف حصلت على وظيفة؟

كنت أخوض في نقاش مع كل واحدة منهن وكأنني مرتكبة ذنبا، ثم ما ألبث أن أسمع منهن، (والله إنك توظفتِ بواسطة ولا تريدين تبينين لنا)، حقا كان هذا الاتهام يؤلمني جدا، ولا أستطيع نفيه عني، رغم كل المحاولات التي أحاول إقناعهن بها كنّ لا يصدّقن، فأشير عليهن بالنصائح أو التوسل بالدعاء لتحقيق الأمنيات، كنت أشعر بالحرقة بداخلي، ولكنني كنت أتوسل إلى الله أن يعطي الزميلات الوظيفة التي يرجينها.

حقيقة الأمر أنني لا أستطيع فهم كيف حصلت على وظيفة بدون واسطة، إلى درجة أن لا أحد يصدق أمل، وجدت وظيفتي هدية من رب العالمين لأسباب منها: في ليلة التخرج أدركت رحمة الله ورجعت إلى دعاء والدي لي واقتنعت في داخلي أن واسطتي (الدعاء) ورضى الوالدين، ودعاء الشخص، ودعوة جد كان يدعوها لكل ذريته.

ذات مرة واجهتني زميلة بوقاحة فلم أستطع تصديق أن يتكلم شخص بهذه الوقاحة، ولكن وقاحتها جعلتني أعرف سبب توفيقي، هذه الإنسانة قدمت لها معروفا، بأن اقترحت أن يكون اسمها ضمن اللجنة المختارة في لجنة مشورة الجنادرية، وبعدما انتهت الاجتماعات عدنا في طائرة واحدة، وشاءت الأقدار أن نجلس في صف واحد أنا وهي وزوجي، فعرفتها على زوجي، ومع الحديث تطرقت إلى موضوع لم أتوقعه، قائلة: كنا نضع لك العراقيل، ولكن يقولون أمل واسطتها كبيرة، ومهما عرقلتم أمرها ستسير أمورها كما تريد. صعقني كلامها، وصعقت زوجي وقاحتها، فاستدار إلى المجلة ولم يعرها بعد هذا الكلام اهتمام، وبعد هذا اللقاء، عجب من حبي لها وثنائي عليها وهي تكن لك كل هذه المشاعر السامة.

نعم، **المشاعر السامة** غالبا ما نجدها من المقربين منا في المجتمع، ويحيطنا الله منهم بسياج يحمينا، ولكن كنت أسأل نفسي، لماذا تأتيني الفرص؟ سألت نفسي، وتذكرت اللوحة التي جاء بها أبي من مصر ومكتوب عليها بالقصب: (**يقيني بالله يقيني**).

لم أعرف ما هو مكتوب عليها حينها، ولكن مع تكرار الشرح من أبي رحمه الله عرفت أن الإنسان إذا جعل يقينه صادقا مع ربه يقيه الله شرور المخلوقات من الإنس والجن، فيقيني بالله يقيني، هي منهج إنسان متوكل بصدق على ربه.

ليس هذا وحسب، فقد كان في بيتنا لوحة عليها أسماء الله الحسنى، كنت غالبا مشغولة بالدعاء بأسماء الله، وأهدتني هذه اللوحة أمي، وأصبحت من أثمن ممتلكاتي. نعم، أدركت أن واسطتي كبيرة، وهو التوفيق، والدعاء، ورضى الوالدين.

التّنمر

التنمر المدرسي غالبا ما يكون على زميلاتي أما أنا فلا أحد كان يمارس تنمره علي، وأحاول الإصلاح إذا استطعت، ولكن، ذات مرة، مارست أستاذة تنمرها عليّ على مرأى من الطالبات، مثلي مثل أي طالبة قد تتعرض إلى ظروف معينة. توفيّ والد زوج خالتي آمنة فانشغلت الأمهات بالعزاء وجمعونا نحن الأطفال في بيت واحد (ليقشنا) خالي الصبح كلنا على المدارس، ثم ذهبت إلى المدرسة وأنا لست على أناقة كل يوم، ومريول المدرسة لم يكن مكويا، فأنا حتما لا أعرف بأن شكلي لم يكن كما يرام، يعني ذلك بوصفي طفلة لا أدرك أن في شكلي ما يبدو مثيرا أو مضحكا، فإذا بتلك الأستاذة ثقيلة الدم، تدخل الفصل لتجعلني أضحوكة بين زميلاتي، بقولها: (ليش مريولك كذا مو مكوي كأنه ماضغته بقرة؟)، هي سعت لتضحك البنات على شكل مريولي، ولكن العجيب أن البنات تأذين من كلامها ولم يتفاعلن معها وحقدن عليها، أنا لا أذكر لي رد فعل إلا أنني خجلت بعد كلامها وذهبت وحكيت لأمي، أن المعلمة سخرت مني بسبب مريولي، لكن البنات زميلاتي لم يجعلوا الموقف يمر على تنمر تلك المعلمة مرور الكرام، فولّدت مثل هذه المعلمة نزعة الانتقام عند زميلاتي، اللواتي أحضرن فلفلا أسود ووضعنه فوق المروحة، واتفقن جميعهن أن يسدوا أنوفهن، ومضغن لبانا ووضعنه لها على الكرسي، فكانت النتيجة أن المعلمة غرقت في دموعها وتكاثر عطاسها والتصقت بالكرسي. لقد انتقمت منها البنات شر انتقام، وجعلنها سخرية لا يمكن أن تنساها. سلسلة العبث الانتقامي الذي جرى من البنات كنت فيه متفرجة ولم أشارك أبدا فيه، ولكن كان دورهم الانتقام لأمل.

ولعلني لا أبالغ إن قلت، كلما تنمّر عليّ أحد منذ طفولتي وحتى في عملي حاليا، يسخر الله لي من يدافع عني وينتقم لي، ودوري يكون دور المتفرج لهذا (الانتقام). وكما أن في حياة الطفل مواقف من التنمر لا تُنسى وتؤثر فيه، فكذلك نحن في عالم الكبار إذا تعرّضنا للتنمر في حياتنا قد لا نستطيع رد التنمر على المتنمر بالمثل. ومهما بحثت في أحداث حياتي، لم أندم على أنني لم أرد على متنمر، لأنه مهما (أخذ راحته) تطاول عليّ وتمادى فإن الله ينتقم من المتنمر. قد يؤلمني أحيانا أنني لست سريعة البديهة في الرد، ولكنني لم أندم على صمت أبدا.

وفي حياتي طرف كثيرة في المدرسة، ولعبت كثيرا مع المتنمرات، ولكنني لم أتنمر، فمثلا لعبنا لعبة الثوما في المدرسة، ولعبنا مسح الوجه بكريم النيفيا، وعصر غراء الداج باليد، ألعب معهن ثم يتعرضن للعقاب من الإدارة، أما أنا فأبدو وكأن على رأسي طاقية الإخفاء، محبوبة جدا من الإدارة.

وذات مرة، كنت سارحة في درس الدين، وغالبا عندما أسرح أمص لساني، فعندي عادة منذ صغري، مثل بعض الأطفال أطوي لساني، ثم أنسجم في مصه، وأسرح وأغيب عمن حولي، وأحيانا أنام بدون أن أشعر، وفي الحصة كانت المعلمة تشرح كيفية صلاة الجمعة ومن السنة قراءة)**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**(، فما أن ذكرت المعلمة كلمة (**سبح**)، وإلا أنا أقفز من غفلتي، وأقف قائلة: ها نعم، فضحكت زميلاتي، وبعد الدرس أصررن على معرفة سبب فزعي وهلعي، فضحكت، وحكيت لهم السبب.

كانت أمي حتى لا تحرجني إذا رأتني غافلة في مص لساني، سارحة تنبهني بقراءة (**سبح**)، فأنتبه من غفلتي، فسبح شفرة بيني وبين أمي، وبعد هذا الدرس فُضح أمري أمام زميلاتي، وهذه النكتة دائما تذكرها أمي، فلم تتوقع يوما ما أن تكون هذه الشفرة التي بيننا للتواصل في سر نخفيه تصبح حكايات كل زميلاتي المقربات وأقاربي. فهذا يعكس صورة الأمر التي تعزز من ثقة طفلتها ولا تتنمر عليها عندما تكون عندها عادة غير محببة.

الاستديو الإعلامي

كنت متعددة المواهب في طفولتي، وكان اللعب يضاعف من رغبتي في ممارسة كل المواهب بشكل تطبيقي. كنت أميل إلى الخياطة فكنت أخيط مع أمي وصديقاتي، وكانت عندي ماكينة لعبة اشترتها لي أمي وعلمتني على الخياطة بها، وأحيانا عند خروج أمي من البيت أعبث بالماكينة الخاصة بها، وحينما يصعب عليّ استخدامها أطلب من أبي المساعدة والغريب أنه لا يحذرني من اللعب بها بل يساعدني على استكشاف أجزائها واكتشف بعد ذلك أنه مثلي لا يعرف. ذات مرة كان عنده عزيمة رجال، وطلبت منه مساعدتي فترك الرجال، ليساعدني أكثر من مرة في تركيب خيط الماكينة حتى تخيط وتعمل بشكل جيد، رغم تكرار محاولاتي أنا وأبي على تشغيلها ومع هذا فإن هذه الماكينة ظلت لا تخيط، فاكتشفنا من أمي أن أبي لا يركب (الماكوك) بشكل جيد فقط يفتح الدرج ويرمي ماكوك الخياطة ويظن أنها تعمل هكذا بشكل جيد.

كانت أمي تطلق عليّ (عم لافي) نسبة إلى رجل كان طوال الوقت يمضي وقته في الخياطة، وهذا الرجل يخيط ولكن لا يخيط بشكل جيد ويكتشف أن عمله يذهب هباء منثورا، واكتشف أنه يقضي حياته فقط ليمضي الوقت والعمر، وكانت فتلة خياطته طويلة، وجدتي أمي غيثة كانت تفكرني بأن فتلة العويلة طويلة. تعلمت دروسا كثيرة من حبي للخياطة، وأفتكر كل تلك التوجيهات في مسكي كل إبرة وخيط، وليس هذا وحسب، كانت تسخر أمي من عدم معرفتنا تركيب الماكينة ثم نريد الإبداع في الخياطة، فأول أسرار الخياطة معرفة تركيب الماكينة، ما اكتشفته من أمي، كان دروسا في التوجيه، ومساعدة الوعي في اكتشاف

الغموض، اكتشفت أنني بمساعدة أبي خربنا لها قماشا غالي الثمن يسمى فتافيت السكر، لأننا قمنا بتفصيل الفستان وفرده بطبقه واحدة فقط، ولم نضعه طبقتين بل طبقة واحدة، فخربنا قطعة القماش أنا وأبي. خرجت من التجربة بعدة اكتشافات وهذا ما كان يهم أبي، أن أفكك أسرار ما أحب واكتشف ما كان مستترا.

وكذلك من هواياتي المبكرة أن يكون لي مختبر تحاليل، فكنت أعشق تركيب المواد، والأعشاب التي أضعها على شعري مع الحنا، وكان شعري له بريق مميز، والكل يسأل عن سر هذا البريق، وأخبر من يسألني عن سر الخلطات بفرح. وكنت ألعب كثيرا في المطبخ باعتبار أنه يتضمن تركيب بعض المواد، فغالبا كنت أفشل في تركيب أكلة صعبة اسمها (اللبنية) وهي عبارة عن حليب وسكر، وسر التركيبة هي في الوقت المناسب لعقد الشيرة بحيث لا تكون قاسية أو لينة، فكانت تنقصني الخبرة في ضبط الوقت، فتخرب الطبخة فاضطر إلى رمي القدر المحروق، حتى لا تكتشف أمي أنني خلصت علبة حليب النيدو في التجريب والتخريب، وكان أبي يستر عليّ ويجلب علبة حليب بدلا من التي خلصتها باللعب، ولكن اكتشفت أن أمي قد عرفت برمي قدور الطبخ، من خلال جارتنا خالة رقية رحمها الله، فجلبت لأمي العديد من قدورنا المرمية بالشارع، وقالت (ماذا دهى مريم ترمي قدورها جديدة)، فاكتشفوا أنني أرمي القدور بعد حرقي للأكل، وما زالت أمي تحكي قصة رمي القدور في الشارع وكيف اكتشفت ضياع قدورها.

وأيضا من الطريف في مختبر التحاليل الخاص بي، كانت أمي تشك أنها حامل بأختي وديان، ورجوتها أن أعمل أنا لها التحليل في مختبري، فأخذت عينة البول ووضعتها على الشريط، فظهرت نتيجة التحليل (حامل) ففرحت وبشرتها، فإذا بيدها ترتفع وتضربني كف مزاحا، فضحكنا، على رد الفعل، واكتشفت أن الطبيب قد يتعرض إلى رد فعل المرضى ولا بد أن يكون دبلوماسيا، ويتقبل ردود الأفعال القوية.

كنت مولوعة جدا بحب مشاهدة التلفزيون وأنا صغيرة جدا، فإذا جاء المذيع، قمت أغطي التلفزيون بالبطانية حتى لا يرى أمي، فتضحك وتحلف لي أن المذيع لا يرانا، وجدتي مرشودة رحمها الله تعلق قائلة: التلفزيون أعمى مثلي ما يشوف، كنت لا أصدق كلامهم، وصنعت لنفسي تلفزيونا من كرتون، وزينت شاشته بأزارير الملابس الملونة فاكتشفت أنني أستطيع مشاهدتهم حينما أضع رأسي خلف الشاشة، وحينما كبرت أصبحت أضحك كثيرا على إصراري بأن ما أراه هو الحق، واكتشفت أنه ليس بالضرورة أن كل ما نراه هو الحق، فقد تكون رؤيتنا ما زالت قاصرة.

ومن مواهبي أيضا كتابة المسرحيات والتمثيل، والعزف على الأورج، وهي آلة تشبه البيانو لها مفاتيح باللون الأبيض والأسود، وقد تطورت مواهبي الإعلامية إلى درجة تكوين استديو إعلامي احترافي في البيت، استديو متكامل ومتطور من سماعات ومسجلات ومكبرات صوت، وتلفزيون وفيديو وأشرطة كاست، وكانت عائلتي كريمة العطايا للأطفال جدا، فكل ما يتم إعطائي من كرم هذه العائلة أضعه في هذا الاستديو، فعمي عبد العزيز يعطيني 500 ريال فأشتري بها ما يطور الاستديو، وعمتي مريم تعطيني فأعمل على نشر المواد الإعلامية في كاست بمساعدة توتا، وحينما رأى أبي رحمه الله ولعي بالإعلام إلى هذه الدرجة، لا أعرف كيف نسق لمشاركتي بالتلفزيون في برنامج الأطفال.

فرحت حينما عرفت خبر مشاركتي في برامج أطفال المدينة، كانت فرحتي في التجهز أشبه بفرحة الطفل ليوم العيد، كان استعدادا حافلا بتجهيز ملابس جديدة خيطتها لي أمي عند خياط، وسرحت لي شعري، وكذلك استعدت ابنة خالتي سوزان لتشارك معي في البرنامج. كانت أياما لا أنساها في التجهيز للمشاركة في برامج الأطفال.

وذهبنا مع أبي، أنا وابنة خالتي سوزان وأختي فاطمة، كان المشوار طويلا والمبنى خارج المدينة تقريبا، ومع هذا كان قلبي يقفز من الفرح، دخلنا المبنى

وكان رائعا، استقبلنا رجال كثر، وعرفونا بالموقع وشرحوا لنا واستقبلوا أبي بحفاوة ونحن معه، كنت أكاد أطير من الفرح، ثم سمعنا توجيهات المخرج وكنا نعمل على تنفيذ التوجيهات، كنت أسمع بقلبي وأذني وكل حواسي واستمتعت بالحفاوة التي استقبلوني بها، شاركت في تصوير حلقتين في يوم واحد، وأخبرونا بمواعيد البث بأنها ستكون كل يوم أحد، وشاهدت الحلقات، وكنت سأستمر ثم كان رد فعلي غريبا بعد زيارتي لمبنى التلفزيون، وحاول أبي رحمه الله كثيرا أن يغير موقفي ولكنه فشل تماما.

فشل أبي أن يغير موقفي من زيارة مبنى التلفزيون مرة أخرى، كنت صغيرة ولكن كان عندي كرامة عالية، واكتشفت بعدما كبرت أن بعض الصغيرات هن أطفال، ولكنهن شياطين في شكل بنات، فمن عجائب ما رأيت، أن الرجال أصحاب أبي حينما استقبلونا بحفاوة جدا، أغاظ هذا الاهتمام بعض البنات ونحن لا نعلم أنا وابنة خالتي سوزان. ففي وقت الاستراحة كانت امرأة تساعدنا في تسريح شعرنا ومسح اللمعة التي في وجهنا من قوة الإضاءة، وفي هذا الفاصل للاستراحة، تنمرت علينا مجموعة من البنات وكأننا وطأنا مساحة مخصصة لهن، فحاولن مضايقتنا، والتنمر علينا، وتنمر هؤلاء البنات جعلني أكره المكان كرها لا أستطيع دخوله مرة ثانية تماما.

لم أكتشف حينها شخصيتي، ولكن فشل أبي تماما أن يحببني إلى مكان تعرضت فيه إلى التنمر، طالت دروسه ونصائحه معي في أن أرجع ولكنني لم أستطع ذلك، واكتشفت بعدها أنها سمة من سمات شخصيتي، أنني لا أحب المكان الذي لا أشعر فيه بأهميتي وأنني محاطة بالحفاوة والاهتمام، وإذا تعرضت إلى تنمر من أي شخص أكره المكان تماما، وأطوي هذه الصفحة تماما من صفحات حياتي، وأبحث عن صفحة جديدة أكون فيها محل اهتمام. والحس الإعلامي المبكر لدي كان من ثماره الكثير من المحاورات الجميلة واللقاءات المسجلة التي أسعدت أهلي وما زالت تسعدهم بالاستماع إلى الأشرطة أو مشاهدتها.

رقصة المشلح

في طفولتي تعودت أن أرى أبي يرقص بالمشلح وبيده يبرق السيف، لم يكن يلبسه فقط في المناسبات كالأعراس والأعياد وأيام الجمع لعموم الناس وفي صلاة العيد، ولكنني تعودت على أن أبي يلبس المشلح في حياته العادية باستمرار، وله أنواع من المشالح يلبسها في البيت يتلحف بها، وأحيانا يلبس الفروة يتلحف بها من البرد. ولم تكن طريقة حفظ المشالح واحدة، فبعضها يتركها مثل الملابس الأخرى، ولكن المشالح الرسمية لها عناية خاصة ويضع معها القرنفل والمعطرات في حفظها، وأمي تساعده في تبخير المشلح قبل لبسه وبعده، وكان بمزاج عالٍ يحب إعادة صقل قصب المشلح بنفسه، فيأتي بالهوند وهو يقول له الهاون، ويضرب القصب بيد الهوند، وكلما بدأ أبي بضرب قصب المشلح بيد الهاون تبدأ الاستجوابات مني، وهو يجيب عن تلك التفاصيل بدون ملل، أيا كانت طبيعة الأسئلة وكثرتها، فقد كان يجيب عنها كلها. كان أبي طويل البال جدا، فنحن غالبا ما نمل بعد عدد معين من أسئلة الأطفال.

كان أبي نجديا حجازيا بامتياز، بمعنى أنه يحترم كل العادات، فيلبس الفوطة في البيت، وغالبا تكون الفوطة مصدر سعادة ومرح وتعليقات مع أخوالي حينما يلبسها، فتكون الفوطة موضوع الحديث حينما يلبس الفوطة، ويتنافس هو وخالي حسن في طريقة لبس الفوطة، على الطريقة اليمنية وعلى الطريقة الحجازية وعلى الطريقة الهندية، ثم يستطردان بالحديث ويتحدثان عن عادات الشعوب في لبس الفوطة، وكان الهندي أكثر رجل محل تعجب

منهما في لبس الفوطة التي عجزا عن تقليده فيها وحصر استخداماتها، كانت الفوطة تأخذ منهما كثيرا من الحوارات والضحك، وكنت أحب أن أتابع مرح أبي مع خالي بإعجاب شديد، وكان أبي شديد المرح مع أهله وأخوانه.

وهذا لا يعني أن أبي لم يكن يلبس لبسا تقليديا واحدا ولا يخرج إلا بالمشلح، ولكن كان يلبس اللبس الرسمي الأجنبي كبدلة كاملة أحيانا في السفر، ويمكن أن يلبس ويجرب الفوطة والبيجامة في حياته الخاصة، ولكن كان يفضل اللبس التقليدي في حياته العامة، وكثيرا ما يلبس الزي التقليدي حتى في السفر خارج السعودية، ومما يستعيده أبي وخالي عن ذكريات الفوطة والبيجامة الموقف الذي حدث لأبي في بلد عربي، حيث نزل إلى بهو الفندق بالبيجامة، فطلب منه رجال في الاستقبال أن يتستر قبل نزوله البهو، بقولهم: (استر نفسك يا زلمة)، فضحك أبي بكل ثقة، قائلا: (البيجامة كشف ستر!؟ فما حال النساء إذا لبسن فوق الركبة؟!)، فهي ذكرى على سبيل النكتة.

ولكن أبي كان كثيرا ما يحب رقص العرضة النجدية في البيت على أنها تراثنا النجدي ويلبس المشلح ويرفع بيده السيف، فغالبا ما يلبس أبي المشلح الأسود، وأحيانا يلبس اللون الجملي، وأبي له إطلالة جميلة في كل لون يلبسه، وإذا لبس اللون الأبيض تظن أمي في أبي الظنون، فتتحرك غيرة النساء، فينجح المشلح في تحريك غيرة أمي أحيانا، وتظن أن وراء لبس المشلح عروسة جديدة، رغم تعود أمي على لبس أبي للمشلح ومعرفتها أن طريقة ارتدائه تدل على فرحه أو برده، أو غضبه، فهي تتنبأ أو تتوجس من لبس المشلح أن وراءه عروسا جديدة، فيتدخل جدي عبد الواحد رحمه الله في التهوين على أمي، وأمي دائما تستحضر قصص جدي باللهجة النجدية مثله لتسعدنا بأن جدي عبد الواحد رحمه الله دائما في صفها ويوصى عليها أبي، وأمي تستعيد الحكايات لتشعرنا بحب جدي عبد الواحد لها وأنه كان يعاملها بحب مثل بناته، وهي تحب أن تحكي لنا كيف كان جدي يمسك

بيدها بطريقة الأب الحنون الرفيق بابنته ليواسيها على أمور الحياة أو ينصحها أو يطلب منها التصبر، وتحب أن تحكي لنا أن جدي يحب طبخها، وتحكي لنا أن جدي يضع يد أبيكم بيده ويوصيه عليّ، وغالبا ما تكرر على مسامعنا بحب أن آخر شيء قام به جدكم قبل موته رحمه الله هو بتوصية أبيكم عليّ.

ومن ضمن الحكايات التي كان يواسي بها جدي عبد الواحد أمي، في ما يتعلق بخوف النساء من المشالح والزواج، الحكاية التالية، يحكي جدي عبد الواحد لأمي: يقول لها: كان هناك امرأة (سنعة) أي امرأة جيدة في خدمة زوجها، وطلبها زوجها أن تحضر قدرا من بيت الجيران لأن عندهم (معازيم) أي ضيوف على الغداء، وشكت المرأة في أن زوجها سيتزوج عليها، وأن طلبه للقدور هو لكي تطبخ له وليمة عرسه بنفسها، فذهبت إلى الجيران لتجلب القدور كما طلب منها زوجها، ولكن قلبها ينغزها أنه سيتزوج عليها، ويوم دخلت عليهم لقت الجيران يرقصون السامري، فانشغلت بالرقص عن القدور. وحين أبطأت على الرجل قرر أن يذهب إلى بيت الجيران ويرى سبب تأخيرها، فحمل مشلحه ومعه السيف وهو يضمر الشر بها، ودخل عليهم بالسيف. وحين أقبل، تذكرت المرأة أن زوجها أرسلها لتأتي بالقدور، ولذكائها، قامت تغني بين النساء لزوجها: (جاكم ابن العامر يسمر السامر)، ففرح الرجل بتهلية زوجته له أمام الناس، ونسي أمر القدور والخصام، وقام ابن العامر يرقص بمشلحه وبالسيف، ويقول: (صادقة يا مرا صادقة يا مرا، صادقة يا مرا) وبذكائها حولت الخوف إلى فرح وطبول وتسمير ابن العامر. وهذه من حكايات الطفولة التي تتكرر في حياتي كثيرا وأمي تحكيها بشعور الفرح والسعادة والابتهاج. وكان جدي رحمه الله قادرا على أن يحول مخاوف أمي إلى سعادة وفرح وصبر، فيتغيّر الموقف من بداية استجواب ومشكلة إلى رقص وتمايل يشبه السامري.

وإذا وقف أبي أمام المرآة كذلك يحكي جدي عبد الواحد لأمي هذه

الحكاية، التي تستعيدها أمي باللهجة النجدية، يقول لها: كان هناك رجل نوى يتزوج على زوجته بالسر والخفاء، وهو واقف أمام المرأة يتزين ولابس مشلحه، فاهتزت الشجرة وتمايلت، فأصبح يراها تتمايل وترقص كأنها قد اكتشفت أمره، فأخذ يرقص ويتمايل ويقول للشجرة: (وش دراك يا أم الدوار إني عِرّيس)، وتنتهي الحكايات بالابتسامة والمرح وتمايل اليد والرقصة النجدية الشبيهة بالعرضة النجدية.

بقي في وجداني عند رؤية كل مشلح حكايات جدي عبد الواحد لأمي (حكاية صادقة يا مرا، وحكاية وش درّاك يا أم الدوار إني عريس)، وبقي في وجداني رقص أبي واستعراضه لنا بالمشلح والسيف، فكلما رأيت المشلح يستهويني الحنين كثيرا إلى رقص أبي وخصوصا تمايله على (نخوة العوجا) ويتأثر كثيرا حينما تصل إلى سيدي سمعا وطاعة، نخوة العوجا تُوقظ في داخلي الحنين إلى الذكريات، إلى رقص أبي بالمشلح وقصائد أبي الوطنية التي تلهب الجوف بالحنين إلى عهد الملك عبد العزيز رحمه الله.

وفي كل مناسبة أو عيد يتجدد الحنين إلى مشلح أبي وابتسامته الجميلة، وابني عبد الإله هو الطفل الذي يجعل الحنين يتضاعف إلى تمايل أبي، لأن فيه كثيرا من مرحه وجمال ابتسامته، وحبه إلى اللبس النجدي التقليدي، وكذلك ابن أخي عبد الواحد الثاني محمد عبد الواحد، شديد الشبه بأبي وبطيبته وحنانه. فعندما يجمعهما أخي عبد الواحد ويراقصهما بالرقص النجدي التقليدي، أعرف أنه سيصنع لهما ذكريات جميلة كما فعل أبي. ففي فرحة العيد فرصة إلى الرقصة النجدية مع الأولاد، وكأني أرى أبي يتمايل بطرب شديد رحمه الله. فحب الوطن تتوارثه الأجيال بالتعود وبعفوية وهو حب نعيشه ونتشربه من أهلنا ونشعر بالفخر والاعتزاز والنخوة والقشعريرة بتلقائية مع الرقصة النجدية التقليدية.

عيدكم مبارك
كل عام وأنتم بخير
أمل
غصون
هنادي
وديان
مريم
فاطمة

الفستان الرقمي

كنت مولعة بشراء الأقمشة وخياطة الملابس منذ طفولتي وحتى مرحلة مراهقتي، ففي مرحلة مراهقتي تطور حس التّصميم ورسم الملابس قبل خياطتها عندي، وفي مرحلة مراهقتي المبكرة تم خطبتي على ابن خالتي، وبدأت مرحلة جديدة من حياتي، في عالم الموضة والأزياء والجمال.

كان عندي حصالتي الخاصة التي أدخر فيها لشراء الملابس من السفر، ولكن حصالتي لا تكفي أمام هوس الجمال الذي بدأت به في هذه المرحلة وأنا أعي فيه نفسي، فمن حكايات أمي أنها كانت تخبرني بهوسي في اهتمامي بنفسي وأناقتي إلى درجة أنني أنام بالجزمة والشراب ولا أفسخها حتى أنام ويخلعونها لي بالحيلة، وأن ابنتَي أختي فاطمة سما ومرايم غالبا ما يشبهونهما بأناقة أمل في الطفولة، فأحب لبس الأميرات، والفساتين المنفوشة الكبيرة التي أكون فيها مثل الأميرة سندريلا.

بعد خطبتي على ابن خالتي، تضاعف هوسي بخياطة الأزياء، لأن زوج خالتي فرح بخطبتي على ابنه فرحا شديدا وأخبر خياطه أن يخيط لأمل ما تشاء وبالمجان ولا تأخذ منها أي فلوس، فأصبح الخياط تحت أمري، فلكم أن تتخيلوا كمية شراء الأقمشة في حياتي التي اشتريتها في تلك الفترة وبدأت مواهبي في التصميم تبرز بشكل لافت، وخصوصا أن قامتي كانت تليق عليها التصاميم البسيطة والملكية. شكرا لأبي زوجي الذي منحني حلم أي فتاة، وأعتقد أن الشخص إذا مُنح الحرية تزداد مواهبه وتتضاعف.

ولكن في تجهيزات فساتين فرحي أخذتني خالتي آمنة إلى مدينة جدة

لنصمم فستان ليلة الزفاف، فأستهواني تصميم جناحي الحمامة على الأكتاف، والذيل الطويل مثل فستان الأميرة ديانا، كنت أحلم أن ألبس فستان ليلة زفافي من تصميمي ويكون الفستان قريبا من شخصيتي، فأحببت في تصميم فستاني جناحي الحمامة رمزا للحرية في كل شيء، ورمزا للسلام والوداعة، ورمزا للرسائل التي تُربط بشال من حرير على الرسائل، فيستهويني منظر الشال ملفوفا، وضمن التصميم صولجان كنت أحمله مرصع بالفصوص، وذيل طويل مكتوب عليه مبروك للعروسين، وهو يعتمد كذلك على شخصيتي الطاووسية.

لكم أن تتخيلوا كيف تحلم كل بنت بشكلها في فستان ليلة العرس، وليس كل البنات مثل بعضهن، فلم اشترط في فستان الخطوبة والملكة وتركت ذلك لأمي وخالتي، ولكن في ليلة الزفاف بدأت أحلامي تتشكل، وإذا بأبي يشاركني في تصميم فستان ليلة زفافي، فهو يحلم بحلم يشابه شخصيته، ويختلف عني تماما، حاولنا أن ندمج بين رغبتي ورغبته فعجزنا.

كان أبي يحلم أن يلبسني فستانا رقميا متطورا ومن ضمن تصميمه وجود عقود اللمبات، فكان أبي مولوعا بعقود الكهرباء في تصوير الفرح والبهجة، فيوم خطبتي ركبوا في بيت خالتي خيمة من العقود تعبيرا عن الفرح وتلك العقود منذ خطبتي وحتى هذا اليوم تزين بيتهم، ويعمل لها صيانة سنوية في الأعياد والمناسبات، هكذا أبي أراد أن يكون فستان فرحي خيمة فرح تعبر عن وضاءة قلبه وحبه للضياء والنور.

تناقشنا طويلا في تفاصيل هذا الفستان، وحاول أبي إقناعي، بأن يجعل له ذيلا طويلا كما أريد، ويكتب عليه العبارات التي أرغب، ويجعل لها جناح حمامة، وكان أبي يريد أن يضع في الفستان مسجلا صغيرا للصوت بالأشعار أو أي صوت أرغب، وهو أشبه بالفستان الرقمي الذي لم يعاصر فيه أبي تطور التقنية تماما، ولم يدرك العصر الرقمي أبدا، ثم ناقشته في مسألة البطارية، فلو انتهت البطارية وانطفأت اللمبات فجأة، ماذا كان سيحدث؟! فاجتهد

في إقناعي، بأن يجعل تسليك كل جهة ببطاريات مستقلة، حتى لو انطفأت يطفأ جزء ويظل جزء آخر وكأنها حركة مقصودة، وكان يشرح لي بفستان تم تصميمه للشرح، بأنه سيضع تسليك البطارية جهة الصدر ويسهل تغيير البطاريات، كان أبي يحلم بهذا الفستان حلما، وحاول كثيرا، ولما فشل في إقناعي طلب أن ألبس هذا الفستان وفستاني الذي صممته، ولكنني للأسف رفضت خوفا من ضحك الناس علي، وندمت كثيرا أنني لم أسمع كلام أبي وحققت له حلمه، ولكنه طيش المراهقات. فما الذي كنت سأخسره لو جعلت الناس يستنكرون أو يسخرون، والمهم أنني أفرحت أبي وحققت له حلمه.

ظل هذا الفستان حلم أبي ولم يتحقق، وأمي تذكرني دائما بحلم أبي (الفستان الكهربائي) في ليلة زفافي، ومضت الأيام ورغم كل التطور التي حصل في موضة الملابس لم أرَ مثل تصميم أبي، وفي يوم ما، حضرت حفل السينما في الأحساء عام (1440هـ)، ورأيت البنات يدخلن المسرح بفساتين عليها عقود اللمبات، ويرقصن وكأنهن الفراشات، كانت الفقرة من تصميم المخرجة إيمان الطويل. منظر البنات على المسرح جعلني، أقلب صفحات الماضي، وأتذكر حلم أبي الذي لم أحققه له، وصورت البنات بالسناب شات، ومنذ رأت أمي وأخواتي فساتين البنات ضحكن وتذكرن حلم أبي الذي لم أحققه، فشعرت بالندم والفرحة معا، لأن أبي كان شخصا متطورا سابقا لزمنه، كان يفكر أن يلبسني على أحدث صيحات الموضة التي لم تحدث حينها وهو شخص متطور، ومتقدم جدا في التفكير ولكنني شخصية تقليدية أخشى التّطور.

وبالفعل، بعدما نضجت أدركت أني كنت تقليدية، فكلما أراد أبي أن يطير معي بجناح الخيال، كنت أصدمه بتقليديتي، فبعدما يجرب الناس الجديد وترغمني الظروف على أن أفعل الجديد اضطرارا، وأحيانا أبدو سابقة زمني في أمور وأبدأ قبل الآخرين، ولكن كان أبي أكثر مني انفتاحا وتطورا، فكنت غالبا ما أخذله في رمي السلاح بخوفي، ورغم كل محاولاته في كسر حاجز

الخوف في قيادة السيارة وأنا صغيرة، حينما سمحوا بقيادة السيارة وأنا ناضجة رفضت القيادة باختياري، ولم أقد السيارة إلا باضطرار، كان غالبا ما يبدأ في فعل الأشياء الجديدة حتى يجعلني أكثر جرأة، ويمكن أن يكون قد استطاع في بعض منها وفشل في بعضها الآخر.

والد زوجي محمد خراز

محنة كورونا ومنحة الخالق
الوصية

عدت من مشاركتي في ملتقى النص الأدبي 16 بجدة وكان بصحبتي الدكتور صالح معيض الغامدي والدكتور فهد الطياش وزوجي، وكنا على ارتباط بإنجاز عمل ما بعد العودة، والذي أصاب عيني ما أصابها، لسنوات طويلة أعاني من عقد دهنية محبوسة في عيني تخف ثم تعود، ولكن بعد عودتي من جدة تضاعف تعب عينيى، وضاقت عليّ دنياي، فطلبت الله أمام الدكتور صالح معيض الغامدي إجازة وفرصة استريح بها من جهدي بعد قدومي من جدة. خفت أن أقصر في عملي المطلوب مني وشعرت أني أحتاج إلى إجازة لأقضيها مع أمي. والحقيقة أن شعورا غريبا انتباني في طلب إجازة مطولة من عملي رغبة في انتقالي إلى المدينة المنورة لفترة نقاهة.

وفجأة يُعلن عن انتشار وباء مرضي وعدوى جائحة كورونا؛ ولذلك أعلنت السعودية مثلها مثل أي بلد في العالم أن يكون التعليم عن بعد، والحمد لله كنت وقتها في المدينة المنورة وزوجي وأولادي في صحبتي، واتصل بي الدكتور صالح معيض الغامدي ليقول: (باب السماء مفتوح وحصل ما تتمنين).

نعم، كان عزل كورونا منحة لي من الله. غادرت بيت أهلي صغيرة جدا وفرجها الله لأعود إلى حضن أمي من جديد، منحني فرصة الرجوع إلى حضن أمي الذي غادرته منذ سنوات، كنت أزورها ضيفة، ولكن في عزل كورونا أصبح بيت أمي بيتي الذي عدت إليه من جديد. في فترة عزل كورونا معظم الناس قد يكونون شعروا بالعزلة والتقدم في العمر، وأنا شعرت بأن الله منحني فرصة العودة إلى حياتي في الطفولة، وأكون طوال الفترة في صحبة أمي كما كنت في الطفولة وقبل زواجي، هذه الفترة جعلتنا نفتح شريط الذكريات كثيرا، تأملنا الصور، وقرأنا الدفاتر العتيقة، وتسامرنا على حكايات جميلة كثيرة.

وكلما قلبت شريط الذكريات كانت تعود بي عجلة الزمن إلى ذاك الزمن الجميل، طفولتي الجميلة، كذلك حن القلب إلى حبيبي أبي، واستعدنا ذكرى موت أبي، وحياتنا الصعبة بعده، وكيف تجاوزت أمي كل تلك الصعاب بالإيمان بالله وبالصبر. اكتشفنا أن المرأة حياتها صعبة جدا بعد موت الأب، كان إخوتي جميعهم صغارا وأنا الوحيدة التي زوجها أبي وفرح بها، لأنني تزوجت صغيرة، والحمد لله أنني تزوجت صغيرة، فإن مات أبي فقد استودعني أمانة عند زوجي وأهله، قال لأم زوجي ليلة وفاته يوصيها علي وكأنه يشعر بدنو أجله: (أمانتكم أمل).

أبي في حياته لم يستعجلني يوما ما لأترك بيتي وزوجي رغبة في أن يراني، وقبل وفاته رحمه الله كان يستعجلني كي يراني، رغم أنه يعرف أن أهل زوجي في ضيافتي في المنطقة الشرقية، والعجيب أنه كلم خالتي طالبا نزولي

إلى المدينة، وصرّح لخالتي بقوله أطلبكم أن تجعلوا أمل تنزل لي أريدها في أمر هام، وأوصاها عليّ، وبالليل، ليلة وفاة أبي رحمه الله، بكيت على صدر زوجي راجية نزولي إلى أبي، ووعدني أن يحجز لي صباح الخميس (20-3-1418هـ) نمت على صدره ودموعي تجري على صدره أنهارا، وصحوت على دموع الفجيعة، صوت عمتي مريم قائلا: (أمل أبوك مات).

بهذا الصوت، توقفت حياتي سبع سنوات مندهشة من الخبر ولا أصدق الفراق، ما زال صوت أبي يناديني، متى تأتين؟ وحال قلبي، حيال ذاك الصوت شوقا، بأن الصوت الذي يقول: أين أنت يا أمل؟ أجيبه: قادمة لك يا أبي..كنت أقول له سوف أكون عندك يوم 20 في الشهر، ولم أكن أعلم أنني سأنزل في يوم (20) وأبي متوفٍّ.

لم أكن في شك من موت أبي، ولكنني كنت أتذكر دمعة عينيه وهو على ناقلة الموتى، كنت أرى دموعه، وأصيح صيحة بأنين خفي مالها من فواق، وأسمع من حولي قائلين: اصبري. كنت أصيح وأنا أرى دموع أبي، كان أبي يبكي وهو ميت، ومن حولي يقولون أن ماء الغسيل تسيل كأنها دموع، شغلتني دموع أبي، وشغلني شوقه، ووصيته، فكل أهلي، أمي وأختي فاطمة وأختي غصون، أكدوا لي بأن أبي كان شارد الذهن ويسأل عني، وعنده كلام لا يريد بوحه لأحد غير أمل، وظنوا جميعهم أن أبي عنده سر يريد إخباري به، فتخدعوه أن يقوله لهم، وتخدّعته فاطمة أن يخبرها، وهي ستخبرني، لأن أمل عندها ضيوف وصعب تتركهم في بيتها وتأتي حتى يسافروا. لا أعرف بماذا كان أبي يفكر، ظن أبي أن أجله سيطول حتى يخبرني بالسر، ولكن أجله سبق نزولي إلى المدينة المنورة، ورغم كل توسلاته أن تنزل أمل، فلم أسبق الأجل، فرحل أبي ودُفن سره معه.

بعد سنوات من موته، رأيته في المنام، رؤية بصوت غريب يقرع من السماء، سردت أحداث الرؤية على مفسر، فأخبرني بأنها (وصية ميت) سخر

الله رؤية أراها في المنام تخبرني بوصية أبي، هذا الذي لم أستطع تمالك نفسي حينها من الاستغراب، من خلال الرؤية تكشفت لي أمور لاأستطيع إدراكها حينها لصغر سني، كنت شابة تتوالى عليها غيبيات في رؤية تحسم ما كان أبي يريد إيصاله لي قبل وفاته. والعجيب، أن الرؤيا التي كنت أسردها على أكثر من مفسر فيؤكد لي أنها (وصية ميت) عرفت حينها من انشغالي بالرؤية، بأن الوصية يكلف الله بها ملكا ليوصلها إلى أهل الميت إن مات ولم يكتبها، فمن عظمة الله سبحانه وتعالى حينما يموت الشخص، وعنده وصية يوكل بها ملكا ليوصلها إلى أقرب أهله منه.

- رأيت أن صوتا ينادي عليّ بنداء صريح من السماء، بصوت غير صوته، صوت قوي يحذرني من عدم سماع الكلام وتنفيذ ما أسمعه، كان الصوت قويا إلى درجة التقريع، والتهديد والتنبيه لسماع الصوت، وما يُقال، سمعت الكلام بعد تكرار وتهديد ووعيد لتنفيذ ما أسمع.
- وقلبي يستجيب، ببكاء خفي.

فليس لنا خيار حينما يكلفنا رب السموات والأرض بتنفيذ الوصية، علينا بتنفيذها، ومن عجائب تلك الرؤية أنها أوصلتني إلى أمور خفية لم أكن أعلمها عن أبي، وخفايا وأسرار كان يخفيها في حياته عنا، ويوصي في استمرارها. اكتشفت بعد هذه الرؤية أن الذرية استمرار، وأن الذرية ميراث، وما أعظم نصر الله لاستمرار العمل النافع للعبد بذريته.

والشيء بالشيء يُذكر، فجدي عبد الواحد، كان يكتب وصيته كل عام ويجددها بموجب صك ورقم، ويوثقها بشهود ويضعها في حقيبته مع كفنه، رحمه الله، نستغرب أن شخصا يعد كفنه، كان يدرك أن الموت يلاحق العبد وهي نهاية مؤكدة، لا يجعلها للمفجأة أو الصدفة، تعلمت من وصية جدي أن الشخص لا يترك النهاية بدون توقع، يتوقع هذه النهاية ويعد لها إعدادا جيدا،

حتى الكفن يجعله جاهزا للنهاية، كيف ننهي الخوف من الموت؟ كيف نقلل من وحشة الفراق والموت؟

أيام عزل كورونا كسرت حاجز الألم، وبدأت أنبش في الذكريات، بدأت أتأمل الصور، بدأت أستطيع قراءة بعض الأوراق بدون دموع، وبدأت استعيد الذكريات ببعض المستندات بعبرة مؤلمة، وبعض الأشعار بدموع رقراقة، وبعض الأغاني بغياب وصمت طويل، وبعض الحقائب بالتردد في فتحها، وبعض الحقائب لم تفتح بعد، ولكن كانت فرصة لألم استطعت تجاوزه في عزل كورونا.

وجروح طوتها الأيام وعادت بالعمى المؤقت

وأنا أعبث في ذكرياتي، وجدت مراجعة أبي إلى مستشفى التخصصي للعيون بالرياض، كان أبي رحمه الله مصابا بمرض السكر، وكان يعاني من نوبات ارتفاع السكر أحيانا بالإغماء، ومرة نقلوه إلى المستشفى بسبب الإغماء، ولكن للأسف، استيقظ، وهو يسأل من أطفأ النور، كان مستغربا من عدم رؤيته الأشياء، ويسمع صوت الأخبار فكان يظن أن الكهرباء قد انقطعت، فكان الموقف حزينا جدا، أن ينقل إليه خبر فقدان بصره بسبب ارتفاع السكر.

مرحلة فقد أبي للبصر كانت مرحلة قاسية في حياة أبي رحمه الله، لا أحب أن أتذكر تفاصيلها أبدا، حاول الأطباء معالجة عصب البصر، ولكنه فقد البصر تماما، في هذه المرحلة من حياة أبي رحمه الله، كان زوجي الابن البار بأبي الذي صاحبه في سفره وقت علاجه، فكلما غضب قلبي عليه أو ساءني أمر منه تذكرت معروفه بأبي فأغفر له كل زلاته.

كان لأبي على الدوام تنهيدة عميقة مؤلمة يستنشق بها الهواء بمعمق، ثم تتبعها زفرة ثم تنهيدة، ثم يعقبها دعاء بقوله: (يارب اللي قلتلك)، فكنا نسأله عن سر هذه العبارة، (يارب اللي قلتلك) فيبتسم قائلا: يارب اللي قلتلك، فتضاعفت تنهيدات أبي بعدما أصيب بالعمى، أسرار أبي مع ربي كثيرة لانعلمها، ولكن التنهيدة كانت مؤشرا لنا على الإلحاح في الطلب من الله بما كان يريده.

وتمضي الأيام، ويصيبني ما أصابني في عيني، اضطررت لإجراء عملية في عيني، وبعدما خرجت وأنا في غرفة الإفاقة وبعدها بساعات كانت عيني مغمضة، لا أستطيع الرؤية، فكانت الساعات مريرة، استشعر بها نعمة النظر، وقسوة التجربة، التي مر بها أبي قبل موته، لا أستطيع التكملة، هنا أقف.

بعد هذه التجربة شعرت بانعتاق كبير من عقدة كبلتني لسنوات طويلة ومريرة، وأصبحت أعيش مرحلة جديدة من حياتي.

المواجهة والإرادة

أبي: أتلفت نحوك أبكي.

أمل: أتلفت نحوك أبتسم.

مناير: أتلفت نحوك أرى المستقبل.

كنتُ طفلة جريئة محبة للحياة، وفجأة قبل بلوغي سن العشرين في سن المراهقة، تزوجت مبكرا وكان هذا باختياري، وانتقلت إلى المنطقة الشرقية، فأصبحتْ هذه الصغيرة هي مسؤولة عن بيت، وهذا كان أيضا جميلا بالنسبة لي، وأهل زوجي أكملوا جميلهم معي فأعطوني عاملة ولم يتركوني أسافر وحدي في بلد الغربة، فقد فرحوا بي وبابنهم فرحا مبالغا فيه، فكنت رغم صغر سني إلا أنني لا أهتم بالإسراف المبالغ فيه في الاحتفالات ولكن والد زوجي حفظه الله فرح فرحا بنا وبالغ فيه جدا فما زال فرحي أشبه بالقصة الأسطورية التي حدثت في المدينة المنورة، واستكمل أولاد العائلة القصة الأسطورية بأنهم خرجوا بموكب سيارات تحف سيارتي المرسيدس زرقاء اللون وباب واحد وقد فرشوا ذيل فستاني ليغطي السيارة بأكملها، وخطف ابن خالتي عباءتي مني، وأصبحت أستر وجهي بباقة الورد التي بيدي، كانت السيارة فارهة جدا، وتمشي في شوارع المدينة ويحفها موكب سيارات من شباب العائلة، وكانوا يزمرون (ببوري) السيارات، وحينما وصلوا **سوق قباء** خرج معظم أصحاب المحلات على الأصوات، واحتشد الناس على جانبي الرصيف يمينا ويسارا، وأصبح معظم الناس على شقي السوق وعلى الأرصفة يصفقون ويلوحون بأيديهم لموكب العروس التي تسير فيه وتصاحبها الأغاني وبواري السيارات.

فرحت لهذا الموكب الملكي الذي لم يكن بالحسبان، وكذلك كنت محرجة بدون عباءة فكنت مشغولة بستر نفسي تارة بباقة الورد وتارة بطرف الطرحة.

حينما وصلنا قصر الزواج شاهد ابن عمتي عيشة محمد علي الموكب وهو عمي بالرضاعة، وخاصم محمد علي ابن خالتي عادل على أخذه عباءتي واقترب مني وقال أين عباءتك؟! تستري الله يسترك في الدنيا والآخرة، كان هذا الموقف من ابن عمتي أول اختبار يرجعني إلى طفولتي البريئة، وحب العباءة بالفطرة، ولم أكن قاصدة، ولكن غيرته عليّ أعجبتني، وفرق بين دخولي قصر الأفراح وخروجي منه، لفني زوجي بالعباءة، وكان مشغولا أن لا يرى طرفي أحد.

من خلال حياتي في الحياة العامة تعبت في فتح باب النقاش على حجابي، وما سألت واحدة يوما لماذا أنت سافرة عن وجهك، أو سافرة عن شعرك، والعجيب غالبا ما أتعرض لسؤال أهل الفضول، وعبثا أحاول إقناع الآخرين بأن لا يتدخلوا في حياتي، فبعض الزميلات يعتقدن أنني ألبس النقاب مجبرة أو من واقع ضغط عليّ، ولا أحب أن أدخل في نقاشات لا تعجبني، فلست أرتدي النقاب من أجل أحد سوى قناعة داخلية منبعها سمعنا وأطعنا، ليس بالضرورة أن يكون النقاب هو الحجاب، ولكن اقتناعي في الحجاب يتسبب في إشكالية للنقاش مع بعض زميلاتي.

حينما أقول بلد الغربة على المنطقة الشرقية فأنا لا أبالغ، كنت بقدر فرحي بالزواج والحب والبيت والمسؤولية، قد عانيت كثيرا اختلاف الثقافات والبيئة والفكر، فرغم أنني تربيت في بيت شيخ فلم أرَ البؤس الذي رأيته هناك من تحجر الفكر، ولأن زوجي عسكري فمن الطبيعي أن أعاشر أناس من بيئات مختلفة وأفكار عجيبة، فلم أشعر بالحرية التي كنت أشعر بها، وساءني كثيرا الانغلاق الذي أعيشه، وكرهت الحياة لكثرة المراقبة والتطفل على حياة الآخرين، ومحاسبتهم، صحيح أنني كنت سعيدة في بعض الأمور بمشاركة الناس طبائعهم المختلفة وعاداتهم وأكلاتهم ولهجاتهم، ولكنني لم أستطع

الاندماج معهم تماما، فغالبا أصبحت حياتي (تسليك) أي مجاراة أو مجاملة.

وبدون أن أشعر تغلغلتْ بعض أفكارهم في فكري وتسربت بعض عقدهم في سلوكياتي، فلم أشعر بعقد في طفولتي وفي هذه المرحلة أصبحت مليئة بالعقد من جراء ما رأيت، فكنا إذا ركبنا باص المدرسة، وشاهد سائق الباص يد واحدة أو ساقها فتح لنا محاضرة، وثاني يوم يحضر أشرطة كاست فيها وعيد وتهديد، فكان يهددنا بالستر ولبس القفازات وجوارب القدم، ويجعل ابنته أضحوكة أمام الجميع حتى نتعلم منها، فيضربها على وجهها إن تأخرت في ركوب الباص، ويسبها أمامنا إن ارتفع صوتها، فكان الباص أشبه بالعقوبة فلا كلام ولا ضحك ولا حركة، كان يراقبنا بالمرآة.

عاشرت كثيرا من الأسر على شاكلة سائق الباص، فكأن الأب بلاء على أسرته، فذاكرة ذاك المكان سطت على ذاكرة الطفولة وجعلتها من باب الذكريات، وحلت حياة محلها شديدة لم آلفها ولم أستطع التأقلم معها، ولكن تأثرت بها، فعند أول مواجهة للحياة العملية، وكان أبي قد مات رحمه الله، وأمثال هؤلاء الناس هم الموجودون في حياتي، فعند مشاركتي في أول ملتقى علمي أحضره هو ملتقى النص 8 في جدة، شعرت وكأنني رجعت إلى حياة أهلي، حياة الستر والعفاف وتمكين المرأة.

حاولت أن أشعر بأنني السيدة التي عاشت في كنف جدها ووالدها، ولكن للأسف، انغمست في ذهني بعض الأفكار، فرفضت الصور الجماعية، وكنت أصور ابنتي مناير عوضا عني، ولا أقبل بالظهور الإعلامي، وكنت أشعر بالتناقض في داخلي، وكنت أعرف لو أن أبي كان موجودا فلن يسمح لي بانزواء نفسي عن الأضواء مراعاة لعادات غريبة عنا، اكتسبتها بالعشرة.

ظللت لفترة طويلة أعاني من مشهد الطفلة القوية في داخلي، والشابة الضعيفة التي تتراجع وتتحكم فيها عادات مكتسبة، وتتوارى فيها عادات أصيلة، كونت ألبوما كبيرا لابنتي مناير من الذكريات، كنت أصورها في

المحافل العلمية وحدها مع الشخصيات المهمة ولكنني لا أتصور معهم. لم أكن واعية تماما أنها إشكالية تحكمت في شخصيتي من جراء تأثري ممن عاشرتهم لفترة طويلة، حتى جاء اليوم الذي أبكاني.

تلقّيت دعوة لحضور اجتماع للتبادل الثقافي والمعرفي بين مسؤولة البرامج في المملكة ومن السفارة الأمريكية، هذا الاجتماع كان كأنه صفعة أيقظني من نومي عن ذكريات طفولتي وعن قوة الطفلة التي في داخلي والتي تغلبتْ عليها الشابة الضعيفة، فاستقبلتنا مديرة البرنامج المسؤولة عنه في السفارة الأمريكية بحسب تقاليد بلدها باشرتنا بالعصير على الطريقة الأمريكية، كنت طوال الوقت أراقب اختلاف الثقافات للموجودات الحاضرات بثقافات مختلفة وجميعنا كنا نساء، فطلبت منا الدكتورة الأمريكية صورة جماعية للذكرى، وهنا الكارثة، ترددت كثيرا في أخذ صورة معهن.

كنا كلنا نساء ولكني خفت أن تنشر الصورة إعلاميا، ثم وبدون وعي أخذت الكاميرا منها وطلبت من مناير تكون معهن في الصورة، وأنا أقوم بعملية التصوير، وصورتهن صورا فائقة الجمال، فكن ينظرن في الكاميرا وأعيد لهن التصوير مرارا حتى انبسط الجميع، هذا الموقف جعلني أقف وأعيد حساباتي.

رجعت إلى البيت وأنا أبكي على نفسي، قد يكون موقفا عابرا، ولكنه تكرر مني كثيرا، وضعتهم جميعا تحت عدسة الكاميرا واحتفظت بالصورة لذكريات قد ننساها، والصورة توثق التاريخ، ووضعت نفسي خارج التاريخ، وخارج المشهد، وخارج الذاكرة!!

اجتمعت بأمي وأخواتي وحكيت لهن الموقف، فالجميع أجمع على أنني المخطئة في حق نفسي، فممن تخافين؟ ولماذا الخوف والتردد؟ ويمكنك أن تتصوري وحتى لو ظهرت الصورة في الإعلام، فيمكنك التصوير كما تحبين بالعباءة، المهم أن تكوني جزءا من المشهد وبهويتك الحقيقية، أمل.

كانت هذه الصفعة التي أيقظتني كي أتنبه للعادات الأصيلة التي تربيت

عليها، واستحضرتها من قول أبي (بنت الرجال ترخي ثوبها وتمشي صوبها)، وبعض هذا الموقف أصبح لمناير ذكرياتها الخاصة مع الشخصيات المهمة، ولي ذكرياتي الخاصة التي أكون فيها جزءا من المشهد والذاكرة.

جلست أمام صورة أبي طويلا واعتذرت له كثيرا، فحاولت أن أعود إلى ذكريات طفولتي وأكون مثل الطفلة التي رباها محمد عبد الواحد وعودها على القوة، وقلت له بصوت واثق: آسفة ووعدته بالتوبة، وبانكسار شديد أمامه اعترفت له بالخوف، وبحت له بقولي: غادرتنا يا أبي فجأة وأنا يافعة. كنت معك مجدا أترقب، فإذا بي أعلو مطيتي وحدي. كلما شعرت بالعجز أو الوحدة أو الاحتياج، أتلفت نحوك أبكي.

للأسف يا أبي أخطأت في حق نفسي، فاكتشفت أني كنت أعيش في الظل، كنت أوثق صورة مناير في كل محفل، وكل مناسبة ثقافية، ولا أجد نفسي في الصورة، كنت خارجها. ربما كنت أحسب أن مناير هي نفسي وهي امتداد لي، وأحببت أن أصنع لها تاريخا بصريا تتذكر من خلاله حياتها بمشاهد جميلة كما صنعت لي من أجمل ذكريات حياتي، وصنعت أمل للطفلة مناير ذكرياتها مصورة إياها ونسيت نفسها. أمل هي الطفلة التي ما زال الزمن يقف بها في زمن أبيها، وكانت تنتظر أحدا يدفعها إلى علو المنصات بدون خوف، وأن تكون في الصورة دون تردد، وكان علي أن أتذكر أن أضع ابنة محمد عبد الواحد في المشهد وداخل الصورة، وتصبح أمل الواعية أمل الطفلة بيد ومناير بيد أخرى، فتضع مناير داخل الإطار وأمل في الذكرى الجميلة معا.

عدت إلى ذكريات طفولتي كي أصقل نفسي من جديد، وأصبحت أفكر كيف أُلمع حاضري من ذكرياتي، كان أبي يغرس فيّ حكما وكأنني نسيتها، وتحكمتْ بي عادات أسر لم أتربَّ فيها، فأين حِكم أبي التي كان يرددها على مسامعي:

لا أحد يعصرك عصر الليمونة.

لا تكوني جسرا يمر عليه الناس حتى يحققوا الذي يريدونه.

لا تكوني حصانا يركب عليه الناس حتى يصلوا إلى المكان المقابل.

كوني جوهرة مصونة تحملين اسمي بشرف واعتزاز.

أدركت أن مناير نور يضيئ وأمل يتجدد، وأن أمل ابنة محمد عبد الواحد هي ذاتها أمل الطفلة والشابة والناضجة، تصفعنا أحيانا الذكريات لنتجدّد، ونراجع تسربات الآخرين فينا، فالذكريات مفيدة في مراجعة مكامن القوة، لنحضر أنفسنا لمعارك جديدة.

وسوف أسافر سفرا طويلا في أعماق ذكرياتي لأكتشف الأخطاء التي ارتكبتها في حق نفسي بالعادات المكتسبة، وأحكيها في الجزء الثاني بإذن الله، وسأعود قدر الإمكان إلى عاداتي الأصيلة بعون الله التي تربيت عليها تحت كنف مشلح أبي وجدي، لأنني اكتشف الفروق واخترت الأفضل.

مؤتمر
الأدباء
السعوديين
الثالث

مرحبا بكم

عالي القرشي دمحمد الربيع

بين كركرة الذكريات وبكاء الأنين

بعد أن كسرت حاجز الصّمت النفسي على ذكريات طفولتي بفأس قوي، كان عمر جدار الذكريات طويلا، أكثر من عشرين عاما منذ أن توفى أبي رحمه الله، كانت أوراق أبي خلف ذكريات صخرية وأوراقي الخاصة محبوسة مع أوراق أبي بحواجز زجاجية، كسرت الحواجز الزجاجية، وبدأت التنبيش بالصور القديمة وكأنني ضربت الجدار الحجري بفأس قوي فانفجرت الذكريات كأنها عين تفور مع بعض الذكريات ، دموع تنهمر ومع بعض الذكريات على الوجه بسمات ترتسم، بعض التفاصيل كشفتها الأوراق، وبعض الذكريات أوجزتها الصور، وكلما وقعت الفأس في الرأس غرقت في عبرات الذكريات حتى استطعت شيئا فشيئا تقليب الذكريات بشيء من الحنين وتجاوز عقد الفقد.

وذات يوم بعد رفع حظر كورونا، اجتمعنا عند عمتي مريم، وتشاركنا بعض الذكريات فضحكنا وتسامرنا بحكايات عذبة اجتلبت للنفس السعادة، خرجنا أنا وأخي عبد الواحد من تلك الجلسة وكأننا في نزهة سفر تجولنا في ذكريات عمتي مريم وعمتي زينب وتوتا، الأثر النفسي لتلك الجلسة التي حفزتنا للتنبيش أكثر عمن يشاركنا صندوق الذكريات. اعترف محمد نزهة أن طفولته كلها بل جميعها يلوح بها طيف أمل، ولا توجد في حياة محمد نزهة عن الطفولة ذكرى وإلا أمل فيها، فتذكرنا عباءة أم عليوة، فكنت ألبس العباءة على رأسي وفي يدي أحمل عروستي وفي اليد الأخرى أمسك بيد محمد نزهة؛ لذلك الكل يطلق عليّ (أم عليوة)، فالكل يذكر قصص طفولتنا أنا ومحمد نزهة الجنون والعبقرية.

واكتشفت أنني رقم صعب في ذكريات أهلي جميعهم، قصص طفولتي تشكل ذكريات مهمة من حياتهم، ويستعذبون حكاياتها. فعلا هكذا اكتشفت، أقع في ذكريات كل شخص بقيمة عالية جدا، ففرحت كثيرا، وذكرياتي تبعث على الضحك متلازمة مع ذكرياتهم، ويُجمعون جميعهم بأنني كنت طفلة صاحبة حضور قوي وجميل، والأجمل أنني لست صاحبة مشاكل أو تنمر أو متعالية بل صاحبة سمات جميلة، ومن أهمها مشاركة اللعب والهدايا وأحب الابتسامة والضحك ولكنني عنيدة في مواقفي ومعتدة بنفسي ولا أقبل جَرح كرامتي أبدا.

قلبنا صفحات ألبومات الصور، فكل بنات العائلة تجمعني صور جميلة معهن وكل أولاد العائلة تجمعني صور عفوية وأخوية وذكريات جميلة في الأعياد في حفلات النجاح في السفر، على البحر، على الطعام، صور عفوية تبعث على الحب، وحاليا من بقايا تلك الذكريات ما زلت الأخت التي يسأل عنها الجميع بدون استثناء، نساء ورجالا، وبيت أمي يزوره الجميع ليخصصوا أمل بالسلام، فما زلنا نحمل في مشاعرنا الحب الصادق لصفحات جميلة في حياتنا، فطفولتي عامرة بالحب مع أجمل أهل وهبني الله إياهم ولله الحمد.

العجيب، أنني قابلت صديقتي إيمان رفيع في روضة الفردوس، فذكرتني بذكريات جميلة، وامتدحت الأيام التي كنت أحضر معي أشياء للروضة نتقاسم بها الأكل واللعب، وقابلت كذلك بعض صديقاتي في مرحلة الابتدائي أمال العمري وفليز التركي، واستعدنا ذكريات جميلة عن خروجنا إلى الشارع من المدرسة إلى البيت في شكل جماعة وكان لنا مغامرات جميلة ضحكنا معها، وقابلت صديقتي فاطمة خضر في مرحلة المتوسط، والعجيب أن صديقاتي جميعهن المقربات أصبحن صديقات أمي ومنهن الغالية حنان محروس، كل تلك الذكريات الحبيسة وجدتها في دفاتر وصور تجمعني بأجمل مراحل الطفولة من أهل وصديقات وجيران، واستعدناها في جلسات شاي ومسامرة جميلة في تقليب ألبومات الصور وبعض الدفاتر والأوراق.

أردت مشاركة صندوق الذكريات مع أخواتي وأمي وأخي عبد الواحد فصورت بعض الصور والأوراق في مجموعة الواتس آب، وهنا المصيبة والدهشة، فكانت بعض الذكريات مصدر إزعاج لأمي، ورغم أن دمعة أمي عصية صعبة، إلا أنها بكت وأبكتها بعض الذكريات، كانت أمي طوال فترة تربية أبنائها الأيتام قوية لا نرى دموعها أبدا، منذ وفاة أبي، وأمي مثل الجبل الشّامخ أمامنا، هي من تقوم بكل الأدوار، فأنا تربيت بطريقة مختلفة عن أخواتي، كوني تزوجت صغيرة وفي حياة أبي رحمه الله، وزوجي لم يقصر فكان يعين أمي بالسفر، وينزه أخواتي، يقف موقف الأب لعبد الواحد.

لكن ذكريات أخواتي تختلف عني ويمكن أنها هي التي عذبت أمي وجعلتها تبكي، فأخواتي، بعد موت أبي تعودن على ركوب السيارة في الخلف، لأن الرجل الذي يركبون معه إما زوجي أو أزواج خالتي، فهنا تحدث الصدمة لهن، فحينما كبر عبد الواحد وركبوا في السيارة من الأمام رأوا دنيا غير التي يعرفونها، واكتشفوا أن الراكب الذي يركب في الأمام يرى غير الراكب في الخلف، هذا الاختلاف هو ما جعل أمي بعد أن قامت بدورها تبكي. ويمكن لأن أمي حاولت التخفيف من أنوثتها بعد موت أبي، فأصبحت تتحدث بطريقة جادة حتى لا يُطمع بها وتلبس عباءة كبيرة وفضفاضة، حاولت أن تكون الاثنين معا الأم الحنونة الرقيقة معنا والأب الذي يغامر خارج الحياة من أجل أولاده.

لم تكن أمي امرأة عاملة ولكنها متفرغة لأبنائها في البيت، وليس عندها دخل ولكن كانت تدبر معيشة أبنائها من راتب والدهم، فلم يكن المال هو العائق، ولكن لم يكن عندها خبرة في الحياة كونها ما زالت صغيرة وشابة واعتادت على الحياة في ظل رجل يوفر لها كل مطالب الحياة، فكانت تستشعر أنها مسؤولة عن مستقبل أيتام وحدها، فدمعة أمي عصية ومع هذا أبكتها الذكريات، وهذا يعني أنه قد لا تبكينا صعوبات الحياة وقتها ولكن تبكينا

الذكريات، لذلك قد تكون الذكريات أقوى من الصعوبات نفسها، هكذا تبين لي من دمعة أمي، أننا نتذوق جرعة الألم مع الذكريات بطعم أمر من التجربة ذاتها.

الذكريات نفسها التي أبكت أمي أضحكتنا جميعنا، اجتمعنا وأخواتي وأخي عبد الواحد فضحكنا من القلب، وكركرنا على كل الذكريات ولم تبكِنا، السؤال لماذا بكت أمي، وهي عصية الدمع؟!

كانت هذه الذكريات قراءة عميقة لنفسية كل منا، فاجتمعنا جميعنا على الذكريات التي تخص أبي رحمه الله، أن أبي متسامح جدا، وصاحب قلب كبير، وتخيلنا لو أن أبناءنا حاليا يفعلون مثل ماكنا نفعل في حياة أبي، من المؤكد أننا كنا نتعرض للعقاب، فنحن لا نتعامل مع أولادنا بتسامح أبي وذكائه ودلاله لنا، فغصون ضحكت وقالت: هل تذكرون حينما أخذت شفرة أبي وحلقت شنبي وخدي وساقي وذراعي، وأقبلت أختي أمل لتضربني على فعلتي، فأبي قال لها: هدي هدي هدي، وضحك وابتسم رحمه الله، وقال: اتركوها، عادي هي نسناسة. هكذا كان يسمي غصون لأنها شيء صغير يدخل السعادة، فضحكنا على شكل غصون وتعجبنا من موقف أبي.

تذكرنا موقف أبي مع تومي أختي فاطمة، فكانت كما تعودنا في حياة أبي، كل شيء طوال فترة العصر نقول بابا ريال، ويقول: روحي من الجيب وخذي ريال، هكذا كل عصر يوم جديد، وفي أحد الأيام كالمعتاد راحت تومي وأخذت بدلا من الريال 500 ريال، واشترت من نعمة وهي بائعة في الدكان المجاور لنا في بيتنا بالعنبرية، وليس هناك دكان غيرها، وكانت شرسة في التعامل مع الأطفال وعنيفة ولكننا مضطرون للشراء منها فليس لدينا خيار أو بديل، فاكتشف أبي أن تومي أخطأت في إعطاء نعمة 500 ريال بدلا من الريال، وذهب إلى نعمة، ورأينا جميعنا 500 ريال مع الريالات في العلبة التي كانت تضع فيها الفلوس (علبة حليب كيكوز)، ولكنها أنكرت نعمة أن تومي

أعطتها هذا المبلغ، هنا تظهر براعة أبي في التعامل والدهاء، ضحك وقال: يا نعمة، منذ قدومك من اليمن، ومن يوم فتحتِ الدكان هذا، مين من أطفال الحارة أشترى منك بـ 500 ريال ما شاء الله، وماذا أشترى منك؟ وجعلها تصدق أنه صدقها، ولم يعاقب تومي، ولكنه طلب من نعمة أن تفتح له دفتر حساب خاص لتومي والأولاد يشترون منك حتى ما يسرقني أولادي مرة ثانية ويعطوها أولاد الناس ويشترون منك بفلوسي المسروقة. فاطمأنت نعمة، ولم يتعارك أبي معها أبدا، وأخذ موقفا بسهولة، وفتحت لنا دفتر حساب، وجعل أبي في بيتنا دفتر حساب وقال: إذا أخذتم منها بمبلغ 500 ريال أخذنا حقنا منها وأقفلنا دفتر الحساب. وهذه من الذكريات الجميلة لنا التي تعلمنا فيها من أبي أن لا نترك حقنا عند من يحتال علينا. وكانت نعمة وعبد الله زوجها يصفقان يدا على يد من دهاء أبي في أخذ حقه منهم بكل هدوء واحترام.

الحقيقة أن بعض الذكريات موجعة أكثر من الحياة نفسها وبعضها جميلة أكثر من المواقف نفسها. ولأنني الأخت الكبرى، كنت أتعامل مع أخواني تارة من منظور الأخت وتارة من منظور الأم التي تشعر بالمسؤولية تجاه أشقائها الصغار، فحينما تزوجت كنت في السادسة عشرة من عمري، وأخواني جميعهم مرضوا بالحمى لفراقي، فانفصالي عنهم كأنه انفصال الوريد عن الوريد، لا ينسون ولا أنسى ألم الغربة عنهم، وبعد موت أبي رحمه الله أصبحت أتقاسم المسؤولية مع أمي على توفير الحنان الذي يدعمهم وخصوصا أخي عبد الواحد ووديان، لأن أختي وديان، هذه الابنة اليتيمة التي لا تعرف أبي كثيرا ولم تعاشره سوى سنوات قليلة من حياته، فلا تذكر إلا أنه كان يدلعها أتو، فكان يناديها (أتو فترد عليه أتى)، فاستمريت أناديها بدلع أبي أتو. ولكن تظل الابنة تحن إلى دلال أبيها مهما أعطتها أمها وأخوانها والحياة والزوج، فحنان الأب هو الحب ومصدر للتوازن في الحياة، ومن يفقده يشعر أكثر ممن يحكي عنه مجرد حكاية.

اشترك عبد الواحد ووديان في اليتم المبكر، ولكن عبد الواحد ولد رجلا من الطفولة، فأبي رباه بمشلح منذ سنته الأولى، وبعد موته كان هو الرجل في حياة أمي الذي قام بكل أدوار الرجولة في حياتها، فمنذ بلغ عمر عبد الواحد تسع سنوات وهو رجل، تربى أخي عبد الواحد على الدلال والمسؤولية وقسوة الأيام، كأن أبي يستشعر أن عمره قصير، فأعطى كل ما يمكن إعطاؤه لابنه الوحيد عبد الواحد، والفرق بيني وبين عبد الواحد أنني كنت مع أبي في كل مكان من باب الترفيه، وهو يصاحب أبي من باب المسؤولية المبكرة.

صاحب أخي عبد الواحد أبي في أصعب فترة من حياته، فعندما فقد أبي البصر في سنته الأخيرة من عمره، كان عبد الواحد عكاز أبي ويد أبي وعين أبي، حتى في الاستحمام يكون مع أبي يدخل معه الحمام، ويتشرف بتحميم أبي، هذا البر الذي رأيته من الطفل لوالده من أجمل مشاهد حياتي، باختصار شديد فرح أبي بعبد الواحد كثيرا عند ولادته، ولكن لم يكن معه في أجمل فترات الحياة: الطفولة والمراهقة والتخرج والزواج.

في كل مجلس للآباء في المدرسة كان أبي يفتخر بابنه عبد الواحد وأخي عبد الواحد يفخر بأبي، حتى أصبح مجلس الآباء يوما صعبا ومؤلما بالنسبة لي وكل طفل لا يحضر والده المجلس، وكان زوجي أحيانا يقوم بهذا الدور، ولكن مثل هذا الدور صعب أن تقوم به الأخت في مدارس الأولاد، فكنت أقصه بالسؤال من بعيد، وأفعل كل ما تفعله بنات الرجال لأخيها، وكان مثل هذا اليوم لا يؤلمني فكنت أخت بألف رجل لأخيها، حاضرة في كل تفاصيل حياته، ويوم تخرج أخي عبد الواحد من الكلية الحربية لم أشعر بيتمه بل شعرت برجولته، وهي أجمل ذكرى لرجل يلبس بدلة عسكرية، تأملت صورة أخي عبد الواحد الطفل وهو يلبس المشلح الأبيض، وابتسمت على فراسة أبي في تعويده على المشلح منذ طفولته، فالرجال يولدون وتلفهم أمهاتهم بالمشالح منذ الولادة، وهذه أجمل ذكريات حياتنا كأخوة.

نلتف أنا وأخوتي حول أمي مثل طوق الورد، فإن أبكتها الذكريات مرة، فنحن نستعيد الذكريات لنضحك ألف مرة، نستعيد الذكريات بابتسامة، نستعيد الذكريات مع شرب أكواب الشاي المعتق، وأكواب القهوة المعدة بمزاج عال، ونفتح أنغام أم كلثوم فهي القاسم المشترك بيننا جميعا في غناء أبي وابتسامته، فالشاي والابتسامة وأم كلثوم والشعر هي الحلم اللذيذ الذي يجعلنا ننتظر جلسة الذكريات لمرات أحلى وأجمل.

الفصل الخامس

- السيرة المتخيّلة
- ولا نعرف شكل النهاية ولا نتوقعها

السيرة المتخيّلة

كوفي

- **بعد كل هذه السنوات، أهذا هو المكان الذي نتقابل فيه؟ (كوفي) يا أمل؟!**
- بابا، حبيبي، لا تكن غضبان أو زعلان لأن لقاءنا في الكوفي، هذا المكان حاليا الذي يعد مكانا رائعا للقاء المثقفين، والأسر، والأصحاب، وواعدتك هنا؛ لأن الجلوس هنا بمثابة **شرفة الحياة** التي كنت أرى منها الحياة في نافذة بيتنا. كل هذه المقاهي التي حولنا، هي طراز معماري حديث لا تعرفه يا عيون أمل، أعرف أن على أيامك كان يستحيل أن تجلس النساء في المقاهي، ولكن حاليا، أصبح هذا المكان المرتاد من كل النساء ومن كل الفئات، فلا تنزعج أو تندهش، وتقبل الوضع، وضع عينك في عيني، وسأطلب لك إبريقا من الشاي، واسمع صوت أم كلثوم تغني لك:

بعيد عنك حياتي عذاب ما تبعدنيش بعيد عنك

- **حسنا يا أمل حياتي، سأجلس معك في شرفة لا أعرف أحدا فيها، وليس معك مثلي ورقة ولا قلم، كنتِ دائما تتأبطين كتابا، ماذا جرى؟**
- بابا، حبيبي الحياة تغيرت، أصبح معي هاتف جوال، وآيباد، وأخزن فيه كل ما يخطر على بالي، بقدر ما كنت يا حبيبي متعلقا بالورقة والقلم، وأحيانا توقف السيارة، لتكتب ما يخطر على بالك، فأنا وكل الناس حولك معهم جوالاتهم ومتعلقون بها مثل تعلقك بمكتبتك

وكتبك والورقة والقلم، انظر يا حبيبي، كل أشعار نزار، والقصيبي، وخالد الفيصل، تسمعها من اليوتيوب، ولا داعي لخسائر المسجل.

- **يعني كل ما كنت أصرفه من أموال وطوَفان في الأرض لأجمع كتبا أو مخطوطات أو أشعارا تكون بقبضة يدي في هاتف جوال، ماذا فعلتِ بأوراقي إذن؟**
- بابا، حبيبي ما زالت أشعارك في مستودع مكتبتي، لأنني لا استطيع قراءة أشعارك بدونك وما استطعت كسر هذا الحاجز، وكنت مشغولة بالدراسة، وثمار أبي التي أينعت في تأليف كتبي التي بين يديك، وأبحاثي للترقية، وأعدك أن ألتفت إليها، وأجمع شتاتها، وأنقحها، وأطبعها، وأنشرها.
- **كل تلك السنوات، وما زلتِ تتأملين، سأقول لكِ، يا أم عبيدان، وخذي هذا الكلام خرصا في أذنك، إن لم يفعل الشخص مجدا لنفسه فلا يتأمل كثيرا في الآخرين وحتى ذريته، فأنتِ ما قمتِ به هو الصحيح وعين الصواب، أنفقتِ سنوات عمرك لتحقيق حلمك، والشعراء أمثالي، من ضيعوا هم أحلامهم بالورقة والقلم، ولم ينشروا وهم أحياء فلا ندامة على أعمارهم التي ضاعت هباء منثورا. ندمت يا أمل على الفرص التي ضيعتها بالتسويف، كنت أبحث عن الأفضل، ولكن كما يقول أحمد رامي:**

فتناثرت أيـــام هذا العمر كما   تناثـــرت الأوراق حـــول الشـــجر

- **كيف تيكم؟ كيف أصبحتم بعدي؟**
- الحمد لله، جاهدنا، ورزقنا الله من حيث لانحتسب، أمي لم تتزوج، ووهبت شبابها اليانع حبا لك ولنا، خطبها الكثير، ولم تتزوج، رزقنا الله جميعا العلم، واصلنا مسيرتنا وتخرجنا، ولم نكن عالة على أحد، إخوانك وأخواتك من بعدك أحسن إخوان

في الدنيا، أمي تتواصل معهم كما كنت في الدنيا، وهم يزورون بيتك كما عودتهم، البيت مفتوح لهم ليلا ونهارا، ولم يزدهم بُعدك عن البيت في التراب إلا وصلا وبرا ووفاء، وأولادك أصبحوا أشداء ورزقوا بالمال والبنين والجاه.

- **وكيف أولئك؟**
- بئس الناس هم كما حذرتني من قبل (يعصرونك عصر الليمونة)، لم أخذلك يا أبي، وسمعت نصحك، وعمي عبد الرحمن كان نعم العون والسند، لم يفرحوا بهواني وذلي، ولكن بلغت مبلغي منهم بنصر من الله وفتح عزيز، عاقبتهم الدنيا، وجرت عليهم المواجع التي أوجعوني بها، وتألموا بما تألمت، وكنت أشد منهم قوة في الأرض، فما رأوا بأسنا، آمنوا بأن الله حق، فلم ينفعهم أي كيد أو تدبير، وخسروا أنفسهم، وخسروا، وخسروا، وخسروا، ولكنني كنت تربيتك، لم أتشمت، وصافحت وسامحت. ولا تخف يا حبيبي لم يعصروني عصر الليمونة، بل عصرتهم الدنيا، وبقيت ليمونتك قوية بالله.
- **ما هذا تويتر؟ ومن صورة هؤلاء؟**
- بابا، يا نور عيني، تويتر مجلس يشبه المجلس الذي كنت تلتقي به مع المثقفين والشعراء، أو يشبه مجالس تكريم الأمراء أو سهراتك الليلية في مركاز بيتنا تمضي الليل وأنت تكتب ما يجول في خاطرك، وهذه صورة ابنتي مناير، تتوسط د. صالح معيض الغامدي، والدكتور ناصر الحجيلان، واخترت هذه الصورة التعريفية لي في تويتر، لإيجاز ميولي الفكرية، أمل تتوسط بين الأدب والإعلام، بين قامتين ثقافيتين في سماء السعودية، وهما من أبرز الأسماء اللامعة عربيا ودوليا، وأميل إلى توجههم الفكري والإداري، ويعجبني حب

الناس لهم، ويمكن أنني كنت أتمنى أن أكبر لمقامهما، والدكتور صالح الغامدي أستاذي الذي رافق مسيرة كفاحي العلمي، وكان يدعمني ويشجعني بقوله:

(رأيتك يا أمل نخلة باسقة شامخة تكبرين أمامي حتى أثمرت).

- **أهكذا قال عنك (صالح)؟! كيف أجازي من يدعمك يا أمل، يبدو أنك موفقة بكل الصوالح، نساء ورجالا، جارتك صالحة الجهني، وصالح الغامدي، صالحة يا صلوح، وصالح يا مالح، والله إذا ما خاب ظني فهو شاعر؟!**
- بابا، يا نور عيني، كيف عرفت أن صالح شاعر، ماشاء الله، بك من الذكاء دهاء، سأطلعك على أشعاره، وسأطوف بك في عالم الإنترنت، الكرة الأرضية بين يدينا، كنا نسافر بالسيارة والطائرة والقطار، وسأسافر معك في ثوانٍ في كل الأقطار.

- **بماذا تخصصتِ أو درستِ؟ وبماذا دعمك صالح؟**
- بابا يا نور عيني، صالح معيض الغامدي، منذ كان مناقشا لرسالتي في الماجستير، ثم مشرفا في الدكتوراه، وهو يقترح اسمي في معظم اللجان التي عملت فيها وخدمت الوطن من خلالها، أعلاها وأجلها، مشاركتي في لجنة تضمين الأدب السعودي في المناهج الدراسية.

شاركت بمعيته في السويد في جامعة ستوردون باستوكهولم، وبنا الاثنين رُفع العلم السعودي في تلك الديار، كنت سعيدة وأنا أسمع هذه الكلمات من كلمة المسؤولة عن المؤتمر وقتذاك، ونصب العلم السعودي رقميا في عرض كلمتها، كنت أشعر بالفخر وأنا مع أستاذي أمثل بلدي. ونفسي ووالدي، سهرنا مع أستاذ من فرنسا كان يناقش موضوعي عن البوح والمكاشفة في حياة المرأة العربية، وكنا نتناقش حول بوح زوجة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حادثة الإفك، وهذا الأستاذ أخّر رحلة سفره إلى فرنسا ليسمع منا ما سمع، عن مواضيع المرأة العربية المسلمة.

- **يا الله، يا أمل الحنان، ما زلت تحبين المسامرات، أتذكرين الليالي المقمرة والسفر والحكايات؟**
- بابا يا نور عيني، كما قلت، كنتُ وما زلتُ أحب الحكايات، وقصص البشر، تخصصت في السيرة الذاتية، وكما كنت أجلس مع جداتي وأسمع الحكايات، تخصصت في البداية في السيرة النسائية، وسمعت حكايات النساء، ثم تخصصت في السيرة الإعلامية.

- **يا الله يا أمل حياتي، كركرة ضحكاتي جعلت أهل كل الكوفي، (كل أبوهم) ينظرون، ويضحكون وهم لا يعلمون على ماذا يضحكون، يا بنت محمد عبد الواحد، أما زلتِ تحبين الضحك والأسلاك والمكروفون والإعلام؟ عسى ما أصبحتِ تغنين، كما كان صوتك يطربنا.**
- بابا، يا نور عيني، كنت تحضر لي كل أنواع المكبرات والمسجلات، وألعب وأطوف معك في تسجيل اللقاءات، كل تلك اللقاءات أحتفظ بها، آه، يا نور عيني، لا أغني إلا لك، أَومازلتَ تذكر أغنية أم كلثوم المقطع الذي تقول فيه:

هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفكر

هذه الدنيا ليال أنت فيها العمر

هذه الدنيا عيون أنت فيها البصر

يا نور عين أمل، لو رأيت بنت محمد عبد الواحد، بعدما كبرت، تعلو المسارح والمنصات، تأتيها الدعوات لعقد الندوات والمؤتمرات وزيارة الوزارات ومجلس الشورى. في المكان الملكي تخيلتك معي، والله أسمع صوت همسك، وأشم عطرك، وأتخيل وضع مشلحك، ترقص به يمينا ويسارا، وترقص العرضة النجدية فرحا، والسامري طربا. كلما كنت أقدم حفلا أو لقاء، أتخيلك تطوف بي على الجالسين قائلا لهم: هذه ابنتي أمل بنت محمد عبد الواحد، حينما أسير على السجاد الأحمر، أحمد الله وأشكره، سرت عليه بتوفيق من الله ثم بدعائك وبدعاء أمي، لم أنل مجدا بمال، وإنما نلته بتوفيق الله ثم بالعلم.

- **والنعم، وسبعة أنعام يا عزوتي وتاج رأسي، أول برنامج إذاعي في حياتك، عملتيه معي في روضة الفردوس، وبعدها أصبحتِ أستاذة تختارين مواضيعك، وتركبين الأصوات، وتعملين المونتاج؟!**

- بابا حبيبي، في مدرسة (محمد عبد الواحد) الذي يتحاور معي عن قضايا دينية، وشعرية، وطبية، وفوائد الأعشاب، وفي كل مسائل الحياة تعلمت كل مهارات الحياة، وفي مدرسة الدكتور فهد الطياش، تعلمت كيف أعيد اكتشاف الناس والحياة، فلا وجود للضعيف، ولا خلود للقوي الباطش، البقاء للإنسان، والخلود للصالح، تعلمت منه مدارس الحياة، فكل مدرسة لها تخطيط، واستراتيجية. كان ينصحني كثيرا، ويوجهني كثيرا، ويُخلص في الاستشارة كثيرا، ويستشهد بالأسماء والشخصيات، ويحيل إلى الكتب والنظريات، يبرهن بالدليل، ويأخذ بالخبرة والتّجديد. أسمع صوته في الاجتماعات والمجالس، وأُردد صداه في علو المنصات. وفي ذات مرة، كنت أعلو مسرح نادي جدة الأدبي، وقد أوكل لي إلقاء كلمة المشاركين والمشاركات، فكنت أسير، وصوته يمشي بجواري، أقف، فيمسك خياله مكبر الصوت، ألقي الكلام، فأراه يصفق مع الجمهور، في ذاك اليوم، يا بابا حبيبي، ابنة محمد عبد الواحد، أبهرت السامعين، ومنهم الدكتور عبد الله صادق دحلان، وماذا أقول لك عن هذا الشخص يا أبي؟ علم وأخلاق وذوق، فحينما أقول لك أعجب بي رجل بثقل دحلان، يعني أنني أصبحت ابنة محمد عبد الواحد الذي يريد.

- **وأنت تخبرينني يا أمل حياتي عما وصلتِ إليه، وأنا أرى صورك مع قمم نقدية في السعودية، أتذكر (تنبؤ نزار قباني) لمستقبلك، رغم كل الكتب التي قرأتِها وألفتِها، ألم تكتبي شعرا، أصابك توقع نزار قباني، أوَلم يصبك شيطان نزار؟**
- بابا، تعرف موقفي من الأشعار، كبحت جماع الشاعرة وطمرتها، بابا لا تزعل مني، فلا أحب أن أكون شاعرة، نعم أصبحت كما توقع نزار قباني، ولا أذكر، أين قالها لي، تحبين أن تصبحي ناقدة يا أمل، فأذكر أنني أجبته، بأنني لا أحب النقود، ببراءة الأطفال أجبت الشاعر نزار قباني، وحينما لم أفهم أن النقد حكم، كنت أتوقع الشعر وسوسة، ولم أرَ في بريق النقد حبا كنت أحسب أن النقد هو النقود والمال، كنت أحب أن أكون صاحبة رأي وكلمة تسعد الناس، وبوعي الراشدة، الحمد لله أن الشعر لم يكبر في داخلي، فالشعر موجع يا أبي، والشعر مشاعر، والشعر قيح إن لم تتقيأه، أصبح دملة تقتل صاحبها.
- **في كل مرة نتحدث عن الشعر، توجعين قلبي، دعينا من الشعر الغزلي الذي تخافين منه على قلبك، فأين أنتِ من شعر الوطنية والمناسبات الوطنية؟!**

- بابا حبيبي، والله لا أريد وجع قلبك ولا قلبي، ولكني أتذكر القصيدة التي كانت عندك وعند عمي عبد العزيز، ووجدت منها نسخة في أوراق جدي عبد الواحد رحمه الله، كنتم تتناقلونها عن جدكم الذي قتله الحب عشقا، عبد الرحمن المطوع التميمي، لحظة بابا، سأكتب بالنت، (قصة عبد الرحمن المطوع التميمي)، رأيت يا حبيبي بابا، القصيدة التي بين أوراق جدي عمرها طويل جدا كنتم تخافون عليها وتتناقلونها مخطوطة، فهذا الساحر (جوجل) وجدت فيه القصيدة كاملة كما هي عندنا في المخطوطة، ووجدت القصة يتناقلها الناس، فنحن يا بنو تميم يقتلنا العشق، ونكون أقوياء في الحق، فطمرت الشعر واخترت القوة بالحق.

يا حبيبي بابا، نعم أتذكر وطنيتك وشعرك الوطني، وقصائدك في المناسبات الوطنية التي كنت أكتبها لك بخط يدي أو بالآلة الكاتبة، لتلقيها في مجلس الأمير عبد المجيد رحمه الله، أو الأمير سلطان رحمه الله، ولكنني في جائحة كورونا، عملت عملا مشابها بالقصائد الوطنية والمناسبات، بودكاست (رابط)، وبرنامج في اليوتيوب (قمم وطنية) يتحدث عن سير من قدموا للوطن.

- والله تطورتم يا أمل، تذكرين أشياء ولا في الخيال، قصيدة جدي في (جوجل)، و(بودكاست)، و(اليوتيوب)، ألم أقل لك من صغرك أنك تحبين المكرفون والإعلام، ولكنك ذكرتِ رجالا كثرا دعموك وشجعوك، ألم تدعمك نساء؟

- بابا كلامك قوي ويحتاج إلى تأمل، ألم تدعمك امرأة؟

للأسف، خيرات الأرض لو كانت بيد امرأة مسؤولة لمسكته عن كل امرأة، ولو كانت زميلة لزميلة وتحسبها عونا وسندا، ما إن تصبح مسؤولة حتى تصبح العلاقة الجميلة، علاقة إلغاء لوجود، عجزت، يا أبي، أن أجد رئيسة تصادق زميلاتها، أو زميلة إن أصبحت رئيسة تسند زميلاتها.سؤالك، يا أبي، كأنه خنجر مسموم. أستغفر الله من كيد النساء، ولم يرد كيدهن عني إلا الدعاء، كادت السماء تتفطر من سماع دعواتي بأن يسخرهن الله لي ولغيري من النساء، وكنت أستغفر الله لهن، لعل الله ينزل على قلوبهن السلام. أقسم بالله، يا أبي لم تكد لي واحدة إلا ودعوت لها ومن حولها، فالنساء يكدن بشكل فريق، ولا يخفن أن يجاهرن بالمؤامرة، ولكن الله بكل شيء بصير، وما اختلفنا في شيء، ولكنني طوال حياتي على الله أتوكل، وجعل الله لي من كل ضيق فرجا، ليس كمثله شيء وهو سميع بصير، لم أكتب شكوى يوما، ولم أرد كيد الكائدين إلا بالدعاء، ثم يأتيني النصر كالشمس.

- **عجيب والله، كانت النساء رقيقات، وشقائق الرجال، ندعمهن، ونساعدهن، وحينما تمكّنَّ انقلبن، خسارة والله. خليك مثل أمك (مارغرت تاتشر) امرأة حديدية، لو اصطدم بها كل الناس لا تنغمس في حزب أو تيار، وكل الناس مؤيدون لها لأنها في منصبها لا تُحسب لأحد أو ضد أحد. وخليك أيضا مثل أمك (أنديرا غاندي) تطول فترة رئاستها بطول البال والحلم والصبر، إذا كانت المرأة قوية تنجح، وإذا كانت لينة تعصر.**

لكن شايف صورك بالنقاب؟!

- بابا حبيبي، والله أذكر حينما كنت صغيرة ونسافر تركيا وأنا ألبس عباءة على الرأس ويدي بيد محمد نزهة، وتضحكون عليّ بقول (أم عليوة).

- **لا ما أضحك عليك، بل أحذرك من أن تكون عينك مثل (كأس الخمرة) أساس كل معصية، أو مثل فلوس الربا التي تربو بالحلال أو الحرام.﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا...﴾، ويحسبون أنهما يتفقان في الزيادة.**
- بابا، فهمت، وكلامك يصل إلى حد النخاع في عظمي.

عمر السيف مثلك سابق زمنه

- **يا الله، هذه الصور لك في الأحساء، زرتِ قريبنا بن زرعة؟**
- بابا، حبيبي أعذرني إن قصرت في زيارة أقاربك في أي مكان في الأرض، بن زرعة في الأحساء أو العبيدي في الشرقية والزلفي، والبورسلي في الكويت، لم أستطيع الوفاء إلا للأقرباء المقربين أولاد عمي وعماتي، وأولاد خالك عيد، أما أولاد خالتك غالية في قطر وغيرهم من الأقارب الفروع فكان صعبا عليّ، ويكفي أن نصلهم بالدعاء. كنت في الأحساء لعمل ولمدة ليلة عابرة وكنت معي وحاضرا، وترحمنا عليك أنا والدكتور عمر السيف.

- **مَن هذا؟**
- عمر السيف، مثل أخي عبد الواحد تماما، يعجبني بالخير الذي يضمره للناس، له قبول عجيب بين الناس، كل ما أنزل الله من خير في قلب هذا الرجل تشعر به وكأن عنده خبيئة مع الله، جمع الله بيننا في عمل، في جمعية الثقافة والفنون. تذكرتك يا أبي وكنت معنا الخميس بتاريخ (12-4-2018م) وكما أنت يا أبي كنت سابق زمنك، تتذكر حينما يقولون لك الناس يامحمد لو وضعت يدك على الحجر لصار ذهبا، وهذا الرجل يشبهك في ذلك، عمر السيف سابق زمنه مثلك. أعطى الله هذا الرجل القبول والمحبة والنشاط، سافرنا الأحساء رفقاء خط كل في سيارته، أنا وزوجي، والدكتور عمر ورفاقه في سيارة أخرى وما أذكره كان معه د عبد الرحمن العاصم، وكأنك معنا في افتتاح الحفل في الأحساء سأعرض عليك صور الحفل وأقول لك متى تذكرتك وصورت الصورة لأخواتي حتى يشاركوني الشعور، على الفستان الكهربائي.
- **والله خسارة في زمني ما في (جوجل)، ولا (سناب شات)، في نفس اللحظة ترسلين لأخواتك الصور، عجيب والله، في القرآن**

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أنتم بالعلم غلبتم حتى العفاريت، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ يا ويلي على النعم التي أنتم بها، وِل وِل وِل.

- بابا، حبيبي، نحن سبقناكم بالتقنية وإنها من نعم والحمد لله، ولكن حتى أنت وأمثالك تقدمتم بالتفكير، حينما افتتح الدكتورعبد الرحمن العاصم المشرف العام على وكالة وزارة الثقافة والاعلام للشؤون الثقافية وبحضور رئيس مجلس إدارة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون الدكتور عمر، حينما تتالت فقرات الحفل، إذا ببنات يلبسن فساتين عليها عقود كهرباء، كأنها فكرتك التي كنت تتمنى تنفيذها ليلة زفافي. الناس في الحفل وأصبحت معك أحلم بذاك الفستان الرقمي الذي تمنيت تنفيذه ليلة زفافي، وكنت أمانعك خوفا من ضحك الناس علي، ثم كنت أقول لك، لو خلصت البطارية، فكنت تجد لي الحلول، بوضع البطارية في صدري، ويمكنني تغييرها بسهولة، كم ندمت أنني لم أسمع كلامك وألبس الفستان الرقمي ليلة زفافي، ولبست فستانا طويلا مثل الأميرة ديانا، كم ترك ذاك الحلم في نفسي أثرا عميقا، صورت البنات، فما بكت عيني مثل بكاء تلك الليلة، ندما على أنني لم ألبس فستانك الرقمي الذي كنت تحلم أن ألبسه.
- **عمر السيف هذا ابني الذي سبق زمنه في التخطيط لثقافة سعودية مميزة، وكنت أحلم أن تلبس ابنتي فستان زفاف مميزا، والحمد لله أنني فرحت فيك، وزوّجتك صغيرة، ورأيتك بفستان الفرح، يا أحلى عروس.**

ابن الجهنية

- **شوفي، كل الرجال الذين ذكرتيهم في كفة، وابن الجهنية في كفة أخرى، أغار عليك منه.**

- **في مشوارك لم أغر من أحد مثلما غرت من ابن الجهنية، وعجبت من الضعف الذي كان ينتابك وأنت تتعاملين معه بهذا الضعف والدموع، تفاجأت بإحساسك تجاهه؟!**
- لماذا الغيرة (بابا)!!
- **كنتِ تتعاملين معه وكأنه أبوكِ، كنتِ تتعاملين مع كل الرجال في حياتك بوعي، ومع هذا الرجل كنتِ تتعاملين بدون وعي، شغل تفكيرك، وأرهق قلمك، طوال دراستك للدكتوراه، وأنت تقتربين منه، وتكتبين له رسائل مليئة بالدموع، أنت ترينه (أنا) يا أمل، ولا يمكن لشخص يحل مكاني، حتى ابن الجهنية، هو يتعامل معك**

بوصفك طالبة مثل أي طالبة ذكية، وأنت تتعاملين معه وكأنه (أنا) ترينني في شكله وصوته وفكره وذكائه، وكنت تبكين عند قدميه في الأوراق منكسرة، تحسبين أنك تكتبين لي، البكاء علاج، والكتابة تنفيس، ولكن نبع الحنان من أبيك فقط، لا تستجديه من أحد سواي، الأب الذي فقدتِه، سيعوضك الله عنه، ولكن، لا تركضي وراء سراب، أو أوهام، كنت لا تنامين، تشغلين نفسك بالكتابة والليل يمر، وأنا أحاول أن أحذرك من هذه المشاعر، لاتذهب لغيري، وكنت أعرف أنك ستعودين مجروحة المشاعر، مضروبة الظهر، كسيرة القلب، الجروح التي في قلبك لا يداويها ابن الجهنية، لأنه ليس ابن الجهنية العامرية، أنا محمد عبد الواحد ابن فاطمة دغيليب العامرية الجهنية، وهو ابن فاطمة الصالح الجهنية، سأثور عليك حتى تدركي الفرق في مشاعرك، الأب فقط أنا، وهو مهما كانت مشاعرك تجاهه فهو لا يصل إلى رتبتي، فرقي بين الإحساس بالأبوة والأستاذية.

- بابا، أرجوك، لا تثر، لا تغضب، اهدأ، منذ وضعت يدك خلف ظهرك، علمت أنك وصلت مبلغك من الغضب، مشلحك (الترمومتر) هو مقياس أعرف منه مشاعرك، وبماذا تفكر، فإذا وقفت منحني الكتف قليلا، ورجعت بالمشلح إلى الخلف، ويدك اليمنى على اليد اليسرى، ومشيت مشية هادئة خفيفة، أعرف أنك مشغول بأمر ما، أنا جزء منك، وأعرف كيف تفكر، وكيف تثور، وكيف تغضب، وثقْ تماما، أن مشاعري، نحو الدكتور الغذامي، ما هي إلا مشاعر الباحثة المعجبة بأستاذ عظيم.
- **أنا معك تعجبين به بوصفه أستاذا عظيما لا أمانع وأنا مثلك معجب به بوصفه شخصية مثقفة، ومثل الغذامي شرف لنا أن تحاكيه وأن**

تمشي على خطاه، ولكن لا أسمح له أن يشاركني في حبك كأب، في هذه المنطقة، مشاعرك لأبيك فقط.

- بابا، حبيبي، لا أحد في الدنيا نافسك في حبي، لبسك للمشلح يزيدك فخامة وجمالا، أرخِ يدك من الخلف ولا تثر، ولا تغضب، وعدْ إلى لبس البشت بفخر واعتزاز، بأنك التميمي الذي خلف ابنة، بنت رجال، وأعطني فرصة جديدة، لكي أصعد منصة جديدة، تفتح بها يدك ملوحا بالفوز، ومباركا للمجد. فكما عودتك، سأدعوك إلى منصات عديدة، لا يمكنك الحضور فيها بدون مشلحك الغالي الفخم، تزورني بكامل أناقتك وفخامتك وجمالك.

- **طيب دعينا نستمر في مشاهدة منصات إنجازك في هذا الساحر جوالك، شيء يسعد والله وأفتخر بكِ، ماذا فعلت للوطن في الجانب الإعلامي الذي أنتِ شغوفة به؟ وماذا قدمتِ للوطن في الجانب الإعلامي؟**
- حاضر بابا من عيوني تبشر سأعرض لكَ تغريدات كثيرة وتغطيات إعلامية كثيرة عن إنجازي في قسم اللغة العربية وآدابها، وكذلك وأنا وكيلة قسم الإعلام.

الدراسات العليا و«التعليم» يبحثان المنح الدراسية

«التميمي» تشارك في حلقة نقاش عن «المرأة والإعلام»

«الكيمياء الكهربية 2019» في ورشة عمل

تدشين مجلة «ذوات» ضمن فعاليات ندوة «الأدب الرقمي والمرئي السعودي»

عام مضى من الإنجاز وفق رؤية جديدة ومتطورة

عضو لجنة الندوة العلمية
د. أمل بنت محمد التميمي

د. التميمي تحصد جائزة التميز العلمي عن كتابها الجديد

تفعيل استديوهات إعلام الطالبات وإطلاق فيلم ومجلة إذاعية

معهد النانو يشارك في مؤتمر التعاون الدولي

- **لحظة، لحظة.. أوقفي (مشاهدة التغريدات)، والله ماشاء الله فتح الله عليكِ يا بنت محمد عبدالواحد، دخلتِ مجلس الشورى، ووزارة المالية، وهيئة الاتصالات، وجائزة الملك فيصل، وشاهدتِ الملك سلمان،... من هذا الشاب الوسيم يا أمل الذي يشبه الملك عبد العزيز؟**

- هذه صور من ندوة (رحلات ولي العهد: دروس في العلاقات العامة الدولية) كانت يوم الاثنين 6 صفر 1440، ضمن فعاليات **البرنامج الثقافي** بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون. وأنا فخورة جدا يا بابا أنني كنت الشخص المؤسس **للملتقى الإعلامي** بفريق عظيم كانت هذه الندوة نقطة الانطلاق وحفلة التّدشين، وكان موضوعها وطنيا، ومن ضمن المواضيع التي تناولها الأساتذة **قضية مشلح ولي العهد الذي أحدث ضجة إعلامية عالمية**، وتخيل يا بابا أنني في حفلة التدشين طلبت من جمعية الثقافة والفنون أن يحضروا فرقة للعرضة النجدية التي تتناسب مع هذا الموضوع الوطني، وقد أبدع الأستاذ صالح العتيبي بإعاز من الدكتور عمر السيف في حفلة التدشين أيما إبداع بفرقة نجدية رائعة.

شكرا على دعمك سعادة العميد
قسم الإعلام
حفل منسوبات القسم

يسر الملتقى الإعلامي أن يدعوكم لمحاضرة بعنوان:
رحلات ولي العهد
دروس في العلاقات العامة الدولية
يقدمها:
أ.د نايف بن ثنيان آل سعود
د. علي بن دبكل العنزي
د. مطلق بن سعود المطيري
د. سعيد بن فشاش الغامدي
إدارة: د. فهد الطياش
الإثنين : 15 أكتوبر 2018 م
8:00 - 10:00 مساء
في الخيمة الثقافية بجمعية الثقافة والفنون بالرياض

حفل تدشين
الملتقى الإعلامي
بالشراكة بين قسم الإعلام بكلية الآداب بجامعة الملك سعود والجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

- **ما شاء الله عليكم، والله هذا تويتر ساحرعجيب وثق لكِ مسيرتك الإعلامية، افتحي تسجيل هذه الندوة أعجبتني أريد سماع فرسانها، لكن أريني رقصة العرضة النجدية السعودية التي بدأتم بها حفلة التدشين في هذا الساحر أولا.**
- تبشر بابا من عيوني. سأفتح لك العرضة وأريك صاحب السمو الأمير نايف بن ثنيان آل سعود وهو يلوح بالسيف بطريقة ذكرتني بك في ذلك اليوم، أدام الله علينا عز آل سعود.

- **مني عليكم يا هل العوجا سلام**

....

بابا

بابا

بابا

ولا نعرف شكل النهاية ولا نتوقعها

حاولت جاهدة أن أصنع لأبنائي ذكريات عشتها في طفولتي، ولا نعلم هل يكون الموت أسرع؟ أم أن الله يعطيني عمرا أطول لأكتب لأولادي الجزء الثاني من حياتي؟ مرحلة قفز الحواجز، وكيف انتصرت في معارك الحياة، بعدما تركني أبي وحيدة. وكنت أخاف على أمي فلا أحكي لها، ولهذا سوف تفاجأ أمي بصبري، كما يندهش كثير ممن حولي حين يعرفون أن وراء هذه الأنثى الرقيقة طفلة قوية ذات بأس شديد.

ونهاية لا نتوقعها

وقلبت ذكريات من صفحات حياتي كانت جدرانها تسمع النغم، إلى الجزء الثاني، الذي يحكي بكاء الجدران معي.